

الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر

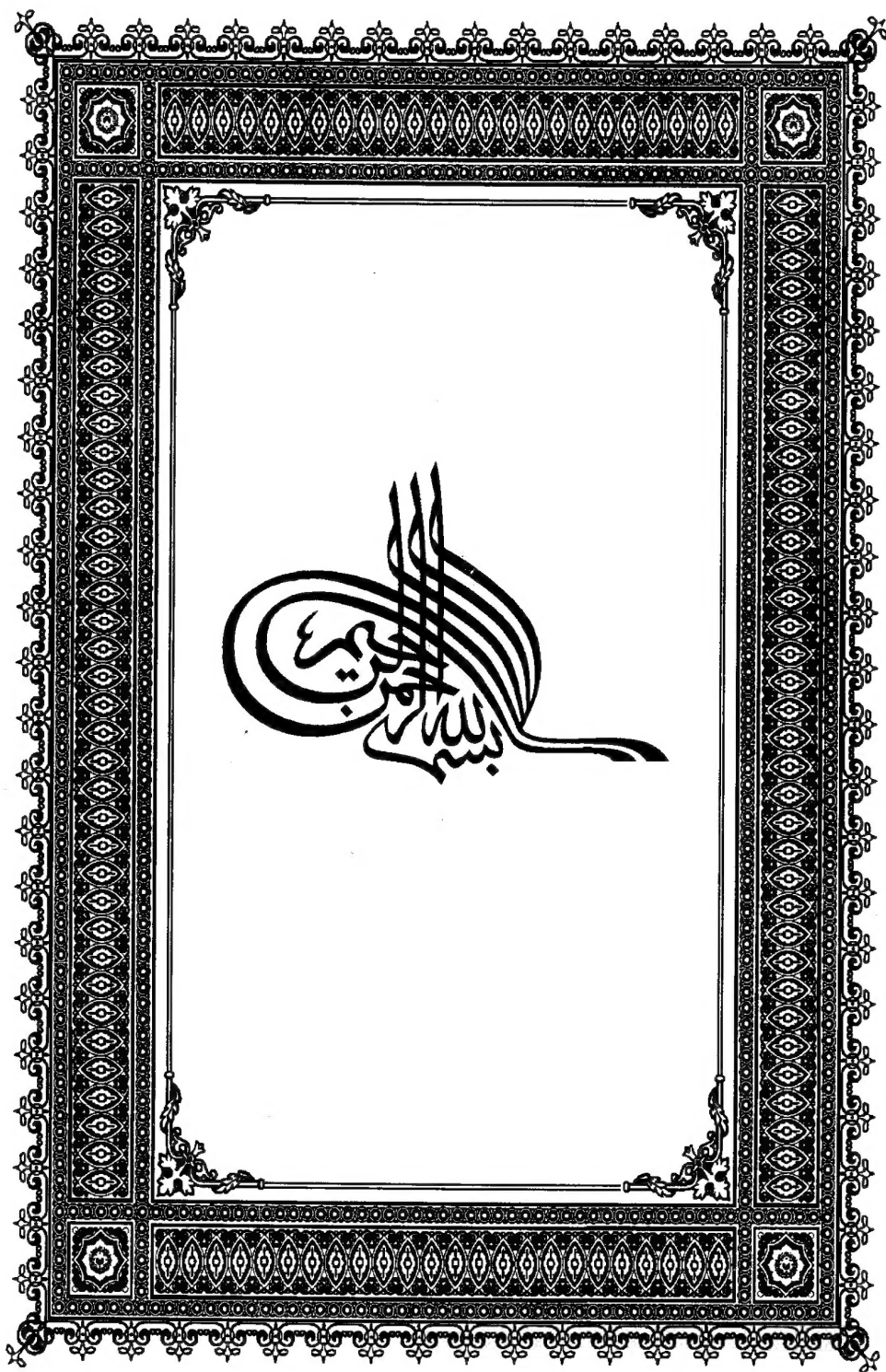
من خلال سور
(هود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل)

إعداد الباحثة: هيفاء عبدالرؤف رضوان
إشراف: د. رياض محمود قاسم

ضبط ومراجعة:
د. مروان محمد أبوراس

الجزء الخامس

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا
كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن
جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾
صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

[الشورى: ٥٢ - ٥٣].

شكر وتقدير

﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [الأحقاف: ١٥]

الحمد لله الذي بفضلہ تتم الصالحات، الحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، ملء السماوات، والأرض وملء كل شيء بعد، حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، سبحانه ربنا لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا وحبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد حمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة والسلام على النبي محمد ﷺ وآله وصحبه، وانطلاقاً من قول رسولنا محمد ﷺ (من لم يشكر الناس لم يشكر الله)^(١)، واعترافاً بالفضل لأهله، أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل:

الدكتور: رياض قاسم حفظه الله

الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة حتى خرجت بهذه الصورة، فلم يأل جهداً في نصحي وتوجيهي وإرشادي، وتشجيعي، وما بخل عليّ بعلم عِلِّمه، أو خبرة اكتسبها، أو مرجع حازه، فجزاه الله عني كل خير، وجعل ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذين الفاضلين:

الدكتور: عبدالسلام اللوح حفظه الله.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ح (١٩٦٢) ج٣ ص٣٨٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

والدكتور: زهدي أبو نعمة حفظه الله.

على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، لإثرائها بالملحوظات والتوجيهات.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى جميع أساتذتي الكرام في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية.

وأنتقدم بالشكر والتقدير إلى ذلك الصرح العلمي الفذ الذي خرّج للأمة العلماء والفقهاء، والمفكرين والقادة العظام، إلى الجامعة الإسلامية بغزة ممثلة بالقائمين عليها رئاسة وعمادة وأساتذة وإداريين، سائلة المولى ﷻ أن يديمها منارة للمسلمين، ويرد عنها كيد الحاقدين.

وأسمى آيات الشكر والتقدير إلى نبع العطاء الذي لا ينضب، إلى رمز التضحية والتفاني، إلى من احتسباني في خدمة كتاب الله العزيز رجاء الثواب من الله، إلى والذي الحبيبين، الذين ما فتئا يشجعانني على طلب العلم وبذله، فقد أثار دعاؤهما لي الطريق وأزال عني تعب المسير وشجعني على المواصلة، أطال الله عمرهما ورزقني برهما، فعبارات الشكر والثناء تعجز عن أداء حقهما ولا أملك إلا أن أقول كما أمر ربنا: ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

وأسمى آيات الشكر والتقدير إلى شيعي وأستاذي، ورفيق دربي، زوجي الحبيب الدكتور: عبدالرحمن الجمل، الذي علمني القرآن والقراءات، وشجعني على تعلم هذا العلم وتعليمه، ولم يأل جهداً في مساعدتي على إتمام هذه الرسالة من تشجيع، وتوجيه، ونصح، وإرشاد، وتوفير للمراجع، على الرغم من ضيق وقته وكثرة أعبائه، فجزاه الله عني كل خير.

كما وأتقدم بالشكر الخالص إلى أشقائي وشقيقتي الأحباء، الذين لم يدخروا جهداً في مساعدتي وتشجيعي حتى أتممت هذا البحث.

وشكري الخالص إلى الأستاذ الفاضل: محمد عوض الله على تفضله

بقبول تدقيق هذه الرسالة، فجزاه الله عني كل خير.

وأخيراً شكري الخالص إلى كل من ساهم ولو بأقل جهد في إتمام
هذا البحث، أو خصني بدعوة في ظهر الغيب.
والحمد لله أولاً وآخراً.

مفتاح مختصرات ورموز الرسالة

- إبراز المعاني = إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع.
- الإتيان = الإتيان في علوم القرآن.
- اختلاف أبنية الأسماء والأفعال في القراءات = اختلاف أبنية الأسماء والأفعال في القراءات المنقولة في تفسير أبي حيان (البحر المحيط).
- أسد الغابة = أسد الغابة في معرفة الصحابة.
- الاستيعاب = الاستيعاب في معرفة الأصحاب.
- الإصابة = الإصابة في معرفة الصحابة.
- الإرشاد = إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر.
- البرهان = البرهان في علوم القرآن.
- ت ١٢٣هـ = توفي سنة ١٢٣ هجرية.
- تحفة الأريب = تحفة الأريب بما في القرآن من غريب.
- التحليل اللغوي = دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر (٣) في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي، والنفي اللغوي، وأسلوب الاستفهام.

- التذكرة = التذكرة في القراءات الثمان.
- التسهيل = التسهيل لعلوم التنزيل.
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.
- تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم.
- تفسير البغوي = معالم التنزيل.
- تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل.
- تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل.
- تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.
- تفسير السمرقندي = بحر العلوم.
- تفسير الصنعاني = تفسير القرآن للصنعاني.
- تفسير الطبرسي = مجمع البيان في تفسير القرآن.
- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن.
- تفسير الفخر الرازي = التفسير الكبير.
- تفسير القاسمي = محاسن التأويل.
- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن.
- تفسير الماوردي = النكت والعيون.
- تفسير المنار = تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار.
- تناسق الدرر = تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور.
- تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل.
- التيسير = التيسير في القراءات السبع.
- ج = جزء.

- ح (١٢٣) = حديث رقم (١٢٣).
- حاشية الشهاب = حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي.
- حاشية زاده = حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي.
- خزانة الأدب = خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب.
- د = دكتور.
- الدر المنثور = الدر المنثور في التفسير بالمأثور.
- السبعة = السبعة في القراءات.
- ص = صفحة.
- شذا العرف = شذا العرف في فن الصرف.
- طبقات ابن سعد = الطبقات الكبرى.
- العباب الزاخر = العباب الزاخر واللباب الفاخر.
- علم القراءات نشأته أطواره = علم القراءات، نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية.
- عون المعبود = عون المعبود شرح سنن أبي داود.
- غاية الاختصار = غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار.
- غرر التبيان = غرر التبيان في من لم يُسمَّ في القرآن.
- فتح القدير = فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير.
- ق = قسم.

- القراءات القرآنية لعبدالحليم قابة = القراءات القرآنية - تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها.
- القراءات القرآنية للفضلي = القراءات القرآنية، تاريخ وثبوت.
- قلائد الفكر = قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر.
- القواعد والفوائد = القواعد والفوائد في الإعراب.
- الكافي = الكافي في القراءات السبع.
- الكشف = الكشف عن وجوه القراءات السبع.
- اللامات دراسة نحوية = اللامات دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات القرآنية.
- ما انفرد به كل من القراء السبعة = ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي.
- مجموع الفتاوى = مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية.
- مفاتيح الأغاني = مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني.
- ملاك التأويل = ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل.
- منجد المقرئين = منجد المقرئين ومرشد الطالبين.
- النشر = النشر في القراءات العشر.
- الهادي = الهادي شرح النشر في القراءات العشر، والكشف عن علل القراءات وتوجيهها.
- ... = في هذا المكان حذف كلام من النص المنقول.

الفصل الأول

تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سورتي هود ويوسف عليهما السلام

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: سورة هود عليه السلام.

المبحث الثاني: سورة يوسف عليه السلام.

المبحث الأول سورة هود عليه السلام

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة هود عليه السلام.

المطلب الثاني: تفسير سورة هود عليه السلام بالقراءات القرآنية العشر.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة هود عليه السلام.

اسمها:

سميت سورة هود عليه السلام في جميع المصاحف وكتب التفسير والسنة بهذا الاسم، ولا يعرف لها اسم غير ذلك^(٢)، ووردت هذه التسمية عن النبي ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنه: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَدْ شَبَّتْ، قَالَ: «شَبَبْتَنِي هُوْدُ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»^(٣). وقد تكرر فيها ذكر اسم هود عليه السلام خمس مرات وذكرت فيها قصته مع قومه. وما حكى عنه فيها أطول مما

(٢) انظر: التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٣١١.

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة الواقعة (ح ٣٣٠٣) ج ٥ ص ١٩٣. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

حكى عنه في غيرها^(٤).

نزولها:

سورة هود عليه السلام كلها مكية عند الجمهور، واستثنى بعضهم ثلاث آيات: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ كَثْرٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ [هود: ١٢]، ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَنْبَغٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحِمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧]، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]. واستدلوا على الأخيرة بما صرح من عدة طرق أنها نزلت بالمدينة في حق أبي اليسر^(٥).

(٤) انظر: التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٣١١.

(٥) أبو اليسر: «هو كعب بن عمرو الأنصاري له صحبة، شهد بدرًا مع النبي ﷺ» (التاريخ الكبير للبخاري ج ٤ ص ٢٢٠). قال الترمذي: «حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا قيس بن الربيع عن عثمان بن عبد الله بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبي اليسر قال: أتتني امرأة تبتاع تمرًا فقلت إن في البيت تمرًا أطيب منه فدخلت معي في البيت فأهويت إليها فقبلتها فاتيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً فلم أصبر فاتيت عمر فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً فلم أصبر فاتيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فذكرت ذلك له فقال: أَخْلَفْتُ غَازِيَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا؟ حَتَّى تَمْنَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ إِلَّا تِلْكَ السَّاعَةَ حَتَّى ظَنُّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ قَالَ: وَأَطْرَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طَوِيلًا حَتَّى أَوْحَى إِلَيْهِ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [١١٤]... سنن الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة هود ج ٥ ص ٨٠، ٨١، والحديث أخرجه ابن جرير ج ١٢ ص ١٣٧، والبخاري في التاريخ الكبير ج ٧ ص ٢٢١، والواحد في أسباب النزول. ص ١٣٥، ١٨٠، وهو حديث حسن لغيره. (انظر: الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٣٤).

(٦) انظر: الإتقان ج ١ ص ٢٠، روح المعاني ج ١٢ ص ٢٠٢، التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٣١١، ٣١٢، الأساس في التفسير ج ٥ ص ٢٥٢٦.

«والأصح أنها كلها مكية وأن ما روي من أسباب النزول في بعض آياتها توهم - لاشتباه الاستدلال بها في قصة - بأنها نزلت حينئذ»^(٧).

«ومراجعة هذه الآيات في سياق السورة تلهم أنها تجيء في موضعها من السياق، بحيث لا يكاد يتصور خلو السياق منها بادئ ذي بدء، فضلاً على أن موضوعاتها التي تقررها هي من صميم الموضوعات المكية المتعلقة بالعقيدة، وموقف مشركي قريش منها، وآثار هذا الموقف في نفس رسول الله ﷺ والقلة القليلة معه والعلاج القرآني الرباني لهذه الآثار»^(٨).

وقد نزلت هذه السورة بجملة ما بعد سورة يونس ﷺ وقبل سورة يوسف ﷺ، في فترة من أخرج الفترات في تاريخ الدعوة بمكة، فقد سبقها موت أبي طالب وخديجة ﷺ، وجرأة المشركين على ما لم يكونوا يجرون عليه من قبل. حيث بلغت الحرب المعلنة على الدعوة ذروتها^(٩).

عدد آياتها:

عدد آياتها مائة وإحدى وعشرون في العَدّ المدني الأخير، ومائة واثنان وعشرون في العَدّ المدني الأول وفي عَدّ أهل الشام، ومائة وثلاث وعشرون في عَدّ أهل البصرة وعَدّ أهل الكوفة^(١٠).

وجه اتصالها بما قبلها (سورة يونس ﷺ):

وجه اتصالها بسورة يونس ﷺ اتفاقاً معناها في المعنى والموضوع ثم إن مطلعها شديد الارتباط بمطلع تلك فإن قوله تعالى هنا: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَكْثَرُ أَلْبَسُوا لَهُمْ صِبْغًا مِّنْ دُونِهَا﴾ [يونس: ١] نظير قوله سبحانه هناك: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَكْثَرُ أَلْبَسُوا لَهُمْ صِبْغًا مِّنْ دُونِهَا﴾ [يونس: ١]، وتفصيلها ما أجمل في سورة يونس ﷺ من

(٧) التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٣١٢، وانظر: إتيان البرهان ج ١ ص ٣٨٤.

(٨) في ظلال القرآن ج ٤ ص ٤٨٩.

(٩) انظر: التحرير والتنوير ج ١١ ص ٣١٢، في ظلال القرآن ج ٤ ص ٤٩٠، ٤٩١.

(١٠) انظر: روح المعاني ج ١١ ص ٢٠٢، التحرير والتنوير ج ١١ ص ٣١٢، بشير اليسر شرح ناظمة الزهر ص ٩٥.

أمور الاعتقاد، من إثبات الوحي والتوحيد والبعث والمعاد والثواب والعقاب والحساب، وإعجاز القرآن وإحكام آياته، ومحااجة المشركين في ذلك وتحديهم بالقرآن، وذكر قصص بعض الأنبياء كنوح وإبراهيم وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، كما أنه ذكر في سورة يونس عليه السلام قصة نوح عليه السلام مختصرة مجملة فشرحت في هذه السورة وبسطت فيها ما لم تبسط في غيرها من السور، بل بين مطلع هذه وختام تلك شدة ارتباط أيضاً حيث ختمت سورة يونس عليه السلام بنفي الشرك وأتباع الوحي وافتتحت سورة هود عليه السلام ببيان الوحي والتحذير من الشرك، فكان أول هود تفصيلاً لخاتمة يونس (١١).

ما اشتملت عليه السورة:

تضمنت هذه السورة كسورة يونس عليه السلام أصول الدين العامة وهي التوحيد والرسالة، والبعث والجزاء، وتوضيح هذه العناصر إجمالاً فيما يلي: (١٢)

١ - إثبات كون القرآن من عند الله تعالى، من طريق إحكام آياته وإتقانها بنظمها نظاماً رصيناً محكماً لا نقص فيه ولا خلل، ثم تفصيلها في الحال دون تراخ.

٢ - إثبات الوجدانية لله تعالى، في ألوهيته، فهو وحده المستحق للعبادة، كذلك في ربوبيته، فهو وحده الخالق المدبر لهذا الكون، والمتصرف فيه على مقتضى حكمته ونظام سته.

٣ - إثبات البعث والجزاء.

٤ - إيراد قصص الأنبياء عليهم السلام تسلياً للنبي عليه السلام، وعبرة وعظة للمؤمنين. وقد ذكر الله تعالى قصة نوح عليه السلام ثم قصة هود عليه السلام، ثم

(١١) انظر: تناسق الدرر ص ٩٤، روح المعاني ج ١١ ص ٢٠٢، التفسير المنير ج ١٢ ص ٦.

(١٢) انظر: التفسير المنير ج ١٢ ص ٦ - ١٠.

قصة صالح عليه السلام مع قومه ثمود وأشار إلى قصة ضيوف إبراهيم عليه السلام من الملائكة، ثم قصة موسى عليه السلام مع فرعون.

٥ - التعقيب المباشر على ما في تلك القصص من عبر وعظات.

٦ - الأمر بالاستقامة في الدين.

٧ - بيان أن الطغيان سبيل الدمار، وأن الركون إلى الظلم موجب لعذاب النار.

٨ - الأمر بإقامة الصلاة في أوقاتها والصبر على الطاعة.

٩ - محاربة الفساد في الأرض من أجل حفظ الأمة والأفراد من الهلاك.

١٠ - تهديد المعرضين عن دعوة الحق.

١١ - التخفيف والتسرية عن الرسول ﷺ والمؤمنين وأمرهم بعبادة الله والتوكل عليه.

المطلب الثاني: تفسير سورة هود عليه السلام بالقراءات القرآنية العشر:

١ - ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَعْبُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [هود: ٧].

القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف العاشر (سَاجِرٌ) بفتح السين، وألف بعدها، وكسر الحاء.

٢ - قرأ الباقون (سِخْرٌ) بكسر السين وحذف الألف، وإسكان الحاء (١٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال الراغب: «السَّحَرُ طرف الحلقوم، والرئة، والسَّحَارَةُ ما يُنَزَّغُ من السَّحَرِ عند الذبح فيرمى به، وقيل منه اشتق السَّحَر وهو إصابة السَّحَر. والسَّحَرُ يقال على معانٍ: الأول: الخداع وتخيلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المُشْعَبِدُ بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يد، وما يفعله التمام بقول مزخرف عائق للأسماع. والثاني: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه. والثالث: ما يذهب إليه الأغتام^(١٤)، وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قُوَّتِهِ يُغَيِّرُ الصور والطبائع فيجعل الإنسان حماراً ولا حقيقة لذلك عند المُحْصِلِينَ. وقد تُصَوِّرُ من السحر تارة حُسْنُهُ فقيل: إِنَّ من البيان لسحراً، وتارة دقة فعله، وسُمِّيَ الغذاء ساحراً من حيث إنه يدق ويلطف تأثيره، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ﴾ (الشعراء: ١٥٣)، قيل: ممن جعل له سَحَرٌ تنبيهاً أنه محتاج إلى الغذاء، وقيل معناه ممن جعل له سَحَرٌ يتوصل بلطفه ودقته إلى ما يأتي به ويدعيه، على المعنى الثاني دلَّ قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [هود: ٧]»^(١٥).

التفسير:

قال تعالى: الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وكان عرشه على الماء قبل أن يخلقهما، ليختبركم أيكم أحسن له طاعة، فيجازيكم بحسب أعمالكم، ولئن قلت يا محمد ﷺ لهؤلاء المشركين من قومك إنكم مبعوثون أحياء من بعد مماتكم، فتلوت عليهم بذلك تنزيلاً ووحياً، لَيَقُولُنَّ ما هذا الذي تتلوه علينا مما تقول إلا سحر لسامعه، مبین حقيقته أنه سحر، وما أنت فيما أتيت به من ذلك إلا ساحر^(١٦).

(١٤) الأغتام: جمع أغتم، وهو من لا يفصح شيئاً، والغُتْمَةُ بالضم: العجمة. (القاموس المحيط ص ١٤٧٤).

(١٥) المفردات في غريب القرآن ص ٢٢٥، ٢٢٦ - باختصار وتصرف يسير.

(١٦) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ٤ - ٦، روح المعاني ج ١٢ ص ١٠.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿سَحَرٌ﴾ بغير ألف على جعل الإشارة إلى ما جاء به النبي ﷺ، حيث أخبر الله تعالى عنهم أنهم جعلوا ما جاء به النبي ﷺ سحراً، ويجوز أن تكون الإشارة إلى النبي ﷺ، وفي الكلام تقدير حذف مضاف، أي: إن هذا إلا ذو سحر، فتكون كالقراءة بالألف. والقراءة ﴿سَحَرٌ﴾ بألف على جعل الإشارة إلى النبي ﷺ، حيث أخبر الحق تعالى عنهم أنهم قالوا: إن هذا إلا ساحر، فأخبر عن الاسم باسم الفاعل وهو بابه. ويجوز أن يكون ﴿سَحَرٌ﴾ بمعنى سحر، لأن الاسم قد يقع موضع المصدر، كقولهم: عائذاً بالله من شرّها، أي عياداً، فتكون القراءة بالألف كالقراءة بغير ألف^(١٧). فالقراءتان كلٌّ منهما تشير إلى معنى ظاهر تحتمله الأخرى، ولا شك أن ورود المعنى بصيغة مباشرة مرة، وبأخرى غير مباشرة، فيه زيادة تأكيد للمعنى، فكلتا القراءتين أفادت أن المشركين قالوا: إن هذا إلا ساحر، وعبروا عنه تارة باسم الفاعل، وتارة بالمصدر حيث جعلوه السحر نفسه مبالغة^(١٨)، والساحر كاذب مبطل^(١٩) فلا يأتي إلا بما هو كذب. كما قال المشركون كذلك: إن ما جاء به الرسول ﷺ ما هو إلا سحر، وعبروا عنه تارة باسم الفاعل، وتارة بالمصدر، والسحر أمر باطل.

٢ - ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانْ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [هود: ٢٠].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب ﴿يُضْعَفُ﴾ بحذف الألف بعد الضاد وتشديد العين.

(١٧) انظر: الكشف ج ١ ص ٤٢١.

(١٨) انظر المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٣٢.

(١٩) انظر الكشف ج ٢ ص ٢٦٠.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُضْعَفُ﴾ بإثبات الألف وتخفيف العين^(٢٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

(ضعف): الضاد والعين والفاء أصلاً متباينان، يدل أحدهما على خلاف القوة، ويدل الآخر على أن يزداد الشيء مثله. فالأول الضعف وهو خلاف القوة، والآخر: أضعفت الشيء إضعافاً وضَعْفَةً وتضعيفاً وضَاعَفْتُهُ مُضَاعَفَةً، وهو أن يزداد على أصل الشيء فيجعل مثلين أو أكثر^(٢١).

قال الراغب: «الضَعْف من الألفاظ المتضايقة التي يقتضي وجود أحدهما وجود الآخر كالنصف والزوج، وهو تركيب قدرين متساويين ويختص بالعدد، فإذا قيل أضعفت الشيء وضَعْفْتُهُ وضاعفته ضمنت إليه مثله فصاعداً. قال بعضهم: ضاعفت أبلغ من ضَعَفْتُ»^(٢٢).

التفسير:

هؤلاء الذين وصف الله جلّ ثناؤه أنهم يصدون عن سبيل الله، لم يكونوا بالذين يعجزون ربهم بهربهم منه في الأرض إذا أراد عقابهم والانتقام منهم، ولكنهم في قبضته وملكه، لا يمتنعون منه إذا أرادهم، ولا يفوتونه هرباً إذا طلبهم، ولم يكن لهؤلاء المشركين إذا أراد عقابهم أنصار ينصرونهم من الله، ويحولون بينهم وبينه إذا هو عذبهم، وقد كانت لهم في الدنيا منعة يمتنعون بها ممن أرادهم من الناس بسوء. هؤلاء الصادون عن سبيل الله يزداد في عذابهم، فيضاعف عليهم العذاب، وذلك أَنَّ الله تعالى جعل لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم بل كانوا صماً عن سماع الحق عمياً عن اتباعه^(٢٣).

(٢٠) انظر النشر ج ٢ ص ٢٢٨، البدور الزاهرة ص ١٥٣.

(٢١) انظر: العين ج ١ ص ٢٨٢، معجم مقاييس اللغة ج ٣ ص ٣٦٢.

(٢٢) المفردات في غريب القرآن ص ٢٩٥.

(٢٣) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ٢٢، ٢٣، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٥١.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يرى أكثر العلماء أنَّ التشديد والتخفيف في هذه الكلمة على لغتين من لغات العرب، وأنَّ معنى التضعيف والإضعاف والمضاعفة واحد وهو الزيادة على أصل الشيء حتى يصير مثلين أو أكثر^(٢٤). وذلك أنَّ (فاعل) و(فعل) قد يأتيان بمعنى واحد^(٢٥). قال سيبويه: «وقد تجيء (فاعلت) لا تريد بها عمل اثنين، ولكنهم بنوا عليه الفعل كما بنوه على (أفعلت) وذلك قولهم: ناولته، وعاقبته، وعافاه الله، وسافرت ونحو ذلك: ضاعفت وضعت، مثل ناعمت ونعمت، فجاءوا به على مثال عاقبته»^(٢٦). وقال الكسائي: «المعنى فيهما واحد: ضعف وضاعف»^(٢٧).

ويرى ابن زنجلة أنَّ هنالك ثمَّ فرقاً في معنى القراءتين حيث يقول: «وحجة التشديد أنَّ المعنى فيه تكرير الفعل وزيادة الضعف على الواحد، إلى ما لا نهاية له، وحجة التخفيف: قالوا: إنَّ أمر الله أسرع من تكرير الفعل، إنما هو (كن فكان)»^(٢٨).

وبالجمع بين القراءتين على هذا القول يصبح المعنى: هؤلاء الصادون عن سبيل الله يزداد في عذابهم فيضاعف عليهم العذاب أضعافاً كثيرة، ولن يكون هناك تأخر في حصول هذا العذاب لأنه بأمر الله الذي إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون. والله تعالى أعلم.

٣ - ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِينَ مَثَلًا أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤].

(٢٤) مفاتيح الأغاني ص ١١٨.

(٢٥) انظر: شذا العرف ص ٢٩.

(٢٦) الكتاب ج ٤ ص ٦٨، وانظر: الترادف في صيغ الأفعال ص ٢٨.

(٢٧) حجة القراءات ص ١٣٩.

(٢٨) حجة القراءات ص ١٣٩.

القرئات:

١. قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال.

٢ - قرأ الباقون ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتشديد الذال^(٢٩).

المعنى اللغوي للقرئات:

الذكر الحفظ للشيء تذكُّره، والذكر أيضاً جرى الشيء على لسانك^(٣٠)، وذَكَرت الشيء خلاف نَسِيتَه^(٣١). والتذكير: خلاف التأنيث، والوعظ^(٣٢).

قال الراغب: «الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة.... وتارة يقال لحضور القلب أو القول»^(٣٣).

التفسير:

مثل فريقَي الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئاً، والأصم الذي لا يسمع شيئاً، فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا وفي الآخرة لا يهتدي لخير ولا يعرفه، أصم عن سماع الحجج فلا يسمع ما ينتفع به، وأما المؤمن ففطن ذكي لبيب بصير بالحق يميز بينه وبين الباطل فيتبع الخير ويترك الشرّ، سميع للحجة يفرق بينها وبين الشبهة فلا يرجع إليه باطل، فهل يستوي هذا وهذا؟ أفلا تعتبرون فتفرقون بين هؤلاء وهؤلاء^(٣٤).

(٢٩) انظر: السبعة ص ٢٧٢، ٢٧٣، النشر ج ٢ ص ٢١٦، البدور الزاهرة ص ١٥٣.

(٣٠) انظر: لسان العرب ج ٣ ص ١٥٠٧، القاموس المحيط ص ٥٠٧.

(٣١) انظر: معجم مقاييس اللغة مج ٢ ص ٣٥٨.

(٣٢) القاموس المحيط ص ٥٠٨.

(٣٣) المفردات في غريب القرآن ص ١٧٨.

(٣٤) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ٢٥، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٥٢.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بالتخفيف في الذال على حذف إحدى التاءين تخفيفاً وذلك أن أصله (تذكرون)، والقراءة بالتشديد في الذال على إدغام التاء الثانية من (تذكرون) في الذال^(٣٥)، وفي التشديد معنى المبالغة في التذكر والعمق فيه^(٣٦).

قال مكي: «وفي التشديد معنى تكرير التذكر، كأنه تذكر بعد تذكر، ليتفهم من خوطب بذلك»^(٣٧).

وحيث إن تكرار الفعل في المشدد يستدعي وقتاً أطول بخلاف المخفف فإن التخفيف في الفعل يتناسب مع ضرورة السرعة في الاستجابة لأمر الله تعالى بالاعتاظ وأخذ العبرة. والله تعالى أعلم.

٤ - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود: ٢٥].

القراءات:

١ - قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ بكسر الهمزة.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَنِّي لَكُمْ﴾ بفتح الهمزة^(٣٨).

التفسير:

يخبر الله تعالى عن نوح عليه السلام وكان أول رسول بعثه الله ﷻ إلى أهل الأرض من المشركين عبدة الأصنام أنه قال لقومه: إِنِّي لَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْم

(٣٥) انظر: الكشف ج ١ ص ٤٥٧. قال سيبويه: «مما يدغم إذا كان الحرفان من مخرج واحد، وإذا تقارب المخرجان قولهم: يطوعون في يتطوعون ويذكرون في يتذكرون، وإن شئت قلت في تتذكرون ونحوها تذكرون، ولا يجوز حذف واحدة منهما، يعني من التاء والذال في تذكرون، لأنه حذف منها حرف قبل ذلك وهو التاء» الكتاب ج ٤ ص ٤٧٤.

(٣٦) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص ٥٣.

(٣٧) الكشف ج ١ ص ٤٥٧.

(٣٨) انظر: السبعة ص ٣٣٢، المبسوط ص ٢٣٨.

﴿نَذِيرٌ﴾ ظاهر النذارة، أنذركم بأسه على كفركم به، وأبين لكم عما أرسل به إليكم من أمر الله ونهيه^(٣٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بفتح الهمزة على تقدير حذف حرف الجر أي بأنني^(٤٠) بمعنى: ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه بأنني لكم نذير مبين^(٤١). والقراءة بكسر الهمزة على إضمار القول بمعنى: قال لهم: إني لكم نذير^(٤٢).

قال ابن عاشور: «إني» بكسر الهمزة على أنه محكي بفعل قول محذوف في محل حال أي قائلاً، وبفتح الهمزة على تقدير حرف جر وهو الباء للملابسة، أي أرسلناه متلبساً بذلك، أي بمعنى المصدر المنسبك من ﴿أَنِّي لَكُمْ﴾، أي متلبساً بالنذارة البينة^(٤٣).

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه بالنذارة البينة فبلغ الرسالة وقال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُم نَذِيرٌ مُّبِينٌ...﴾. والله تعالى أعلم.

٥ - ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَّلَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا زَيَّ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَذِبًا﴾ [هود: ٢٧].

(٣٩) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ٢٦، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٥٢.

(٤٠) وذلك لأن أرسل يتعدى إلى مفعولين الثاني بحرف جر (انظر: الكشف ج ١ ص ٥٢٥، القراءات وأثرها في علوم العربية ج ٢ ص ٦٣).

(٤١) انظر: القطع والانتشاف ص ٢٦١، التذكرة ج ٢ ص ٣٧٠، إتحاف فضلاء البشر ص ٢٥٥.

(٤٢) انظر: التذكرة ج ٢ ص ٣٧٠، الكشف ج ١ ص ٥٢٥، مفاتيح الأغاني ص ٢١١، إعراب القرآن الكريم وبيانه لدرويش ج ٤ ص ٣٣٧.

(٤٣) التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٤٤، وانظر: روح المعاني ج ١٢ ص ٣٦.

القراءات:

١ - قرأ أبو عمرو ﴿بَادِي﴾ بهمزة مفتوحة بعد الدال.

٢ - قرأ الباقون ﴿بَادِي﴾ بياء مفتوحة بعد الدال^(٤٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - (بدا): بدا الشيء بَدَؤاً، وبداء أي ظهر ظهوراً بيناً^(٤٥).

٢ - (بدأ): بدأ بالشيء، فَعَلَهُ ابتداءً^(٤٦). ويقال بدأت بكذا وأَبْدَأْتُ وابتَدَأْتُ أي قَدُمْتُ، والبَدْءُ والإِبْدَاءُ تقديم الشيء على غيره ضرباً من التقديم، ومبدأ الشيء هو الذي منه يتركب أو منه يكون.
قال أبو حيان: «بادئ: أول، وبادي: ظاهر»^(٤٧).

التفسير:

يقول تعالى ذكره: فقال الكبراء من قوم نوح وأشرافهم - وهم الملأ الذين كفروا بالله وجحدوا نبوة نبيهم ﷺ: ما نراك يا نوح إلا بشراً مثلنا يعنون بذلك أنه آدمي مثلهم في الخلق والصورة والجنس، وذلك تعريض^(٤٨) بأنهم أحقّ بالنبوة منه، وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم، فقالوا: هب أنك واحد من الملأ، وموازي لهم في المنزلة، فما جعلك أحقّ منهم بها؟ ثم قالوا وما نراك اتبعك إلا الذين هم سفلتنا من الناس دون الكبراء والأشراف، ثم هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن ذلك عن تروٍّ منهم ولا فكر ولا نظر بل بمجرد ما دعوتهم أجابوك

(٤٤) انظر النشر ج ٢ ص ٢٨٨، البدور الزاهرة ص ١٥٣.

(٤٥) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٤٠.

(٤٦) انظر: القاموس المحيط ص ٤٢.

(٤٧) تحفة الأريب ص ٦١.

(٤٨) التعريض لغة: خلاف التصريح، وفي البلاغة: هو أن يطلق الكلام، ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق. (البلاغة العربية في ثوبها الجديد ص ١٤٩).

فاتبعوك^(٤٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وجه القراءة بالهمز أنه جعله من (بدأ يبدأ) إذا فعل الشيء أولاً، وحجة من لم يهمز أنه جعله من (بدا يبدو) إذا ظهر، ويجوز أن يكون من قرأه بالياء أراد الهمز، ثم أبدل الهمزة لانفتاحها وانكسار ما قبلها، فتكون القراءتان بمعنى من (الابتداء)^(٥٠).

«وهاتان الكلمتان تتقاربان في المعنى لأن الهمز في اللام فيها ابتداء للشيء وأوله، واللام إذا كانت واواً كان المعنى الظهور، وابتداء الشيء يكون ظهوراً؛ فلذلك تستعمل كل منهما في موضع الأخرى»^(٥١). والقراءتان بمجموعهما أفادتاً ظهور الرأي وبيانه من بدايته، من غير تأمل، أو تعقب بتفكر ونظر. والله تعالى أعلم.

٦ - ﴿قَالَ يَقْوِي أَرْءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَنْتَهٍ مِنْ رَبِّي وَءَالَتْنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنزَلْنَاهُمْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨].

القراءات:

١ - قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ بضم العين وتشديد الميم.

٢ - قرأ الباقون ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ بفتح العين وتخفيف الميم^(٥٢).

(٤٩) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ٢٧، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٥٢ - ٤٥٣، الإكسير في علم التفسير ص ١٦٦، البلاغة العربية في ثوبها الجديد ص ١٥٣.

(٥٠) انظر: حجة القراءات ص ٣٣٨، الكشف ج ١ ص ٥٢٦، مفاتيح الأغاني ص ٢١١، إتحاف فضلاء البشر ص ٢٥٥.

(٥١) الحجة للقراء السبعة ج ٤ ص ٣١٧، ٣١٨، وانظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه لدرويش ج ٤ ص ٣٣٦.

(٥٢) انظر: السبعة ص ٣٣٢، المبسوط ص ٢٣٨، النشر ج ٢ ص ٢٨٨، البدور الزاهرة ص ١٥٣.

المعنى اللغوي للقراءات:

(عمي): ذهب بصره كله، وعمّاه تَغْمِيَة: صَيَّرَهُ أَعْمَى، وعمّى معنى البيت: أخفاه. والعمّى أيضاً ذهب بصر القلب^(٥٣).

التفسير:

يقول الله تعالى مخبراً عمّا ردّ به نوح على قومه إذ كذبوه: أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتَ عَلَىٰ يَقِينٍ وَأَمْرٌ جَلِيٌّ وَنَبُوءَةٌ صَادِقَةٌ، وَهِيَ الرَّحْمَةُ الْعَظِيمَةُ مِنَ اللَّهِ، فَخَفِيتَ عَلَيْكُمْ فَلَمْ تَهْتَدُوا إِلَيْهَا وَلَا عَرَفْتُمْ قَدَرَهَا بَلْ بَادَرْتُمْ إِلَىٰ تَكْذِيبِهَا وَرُدَّهَا، أَفَنُغْصِبُكُمْ عَلَىٰ قَبُولِهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ، بَلْ لَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا نَكِلُ أَمْرَكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَيْكَ حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَقْضِي فِي أَمْرِكُمْ مَا يَرَىٰ وَيَشَاءُ^(٥٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ بفتح العين وتخفيف الميم مبنياً للفاعل، من العمى ضد البصر، والمراد به هنا الخفاء مجازاً، أي خفيت عليكم لأنكم لم تنظروا فيها حق النظر، وقيل الكلام على القلب، والأصل فَعَمِيَتْ عنها كما تقول العرب: أدخلت الخاتم في أصبعي. ويُقرأ بالتشديد والضم، أي: عمّاها الله عليكم عقوبة لكم^(٥٥).

قال ابن عاشور: «ومعنى ﴿فَعَمِيَتْ﴾: فخفيت وهو استعارة، إذ شُبِّهَتِ الْحِجَةُ الَّتِي لَمْ يَدْرِكْهَا الْمُخَاطَبُونَ كَالْعَمِيَاءِ فِي أَنَّهَا لَمْ تَصِلْ إِلَىٰ عَقُولِهِمْ كَمَا أَنَّ الْأَعْمَى لَا يَهْتَدِي لِلْوَصُولِ إِلَىٰ مَقْصَدِهِ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ. وَلَمَّا

(٥٣) انظر القاموس المحيط ص ١٦٩٥.

(٥٤) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ٢٨، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٥٣.

(٥٥) انظر: حجة القراءات ص ٣٣٨، ٣٣٩، الكشف ج ١ ص ٥٢٧، مفاتيح الأغاني ص ٢١١، إملاء ما منّ به الرحمن ج ٢ ص ٣٧، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٤٥٥، إتحاف فضلاء البشر ص ٢٥٥، ٢٥٦، روح المعاني ج ١٢ ص ٣٩، إعراب القرآن وبيانه لدرويش ج ٤ ص ٣٣٩.

ضُمِّنَ معنى الخفاء عُدِّي فعل ﴿فَعَمِيتَ﴾ بحرف ﴿عَلَى﴾ تجريداً للاستعارة. ومن بديع هذه الاستعارة هنا أَنَّ فيها طباقاً لمقابلة قولهم في مجادلتهم ﴿مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا - وَمَا نَزَّلَكَ أَتَّبَعَكَ - وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ فقابل نوح ﷺ كلامهم مقابلة بالمعنى واللفظ إذ جعل عدم رؤيتهم من قبيل العمى^(٥٦).

والم تأمل لهاتين القراءتين يلوح روعة التعبير، ودقة الوصف لهؤلاء القوم الذين كفروا بما أرسل به نوح ﷺ، حيث انعدمت لديهم وسائل الاهتداء بهذه الرحمة التي أرسلها الله إليهم، فقد خفيت عليهم الهداية وعموا عنها، ولشدة كفرهم كأن الهداية ضلت عنهم وعميت كما ضلوا عنها وعموا، فلا هم يتوقون إلى الهداية، ولا الهداية تتوق إليهم، وذلك مبالغة في وصف كفرهم وضلالهم. والله تعالى أعلم.

٧ - ﴿وَيَقُولُ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَفْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٣٠].

القراءات:

١ - قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال.

٢ - قرأ الباقر ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتشديد الذال^(٥٧).

تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْنَى وَالْأَصْبَرِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِينَ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤]^(٥٨).

٨ - ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤].

(٥٦) التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٥٢.

(٥٧) انظر: السبعة ص ٢٧٢، ٢٧٣، النشر ج ٢ ص ٢١٦، البدور الزاهرة ص ١٥٣.

(٥٨) انظر ص ٢٥ من هذا البحث.

القراءات:

- ١ - قرأ يعقوب (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم.
- ٢ - قرأ الباقون (تُرْجِعُونَ) بضم التاء وفتح الجيم^(٥٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

(رجع): الرجوع العود إلى ما كان منه البدء، أو تقديرُ البدء، مكاناً كانَ أو فعلاً أو قولاً، وبذات الشيء كان الرجوع أو بجزء من أجزائه، أو بفعل من أفعاله، والرجع الإعادة. فمن الرجوع قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أٰبِهَيْهِمْ﴾ [يوسف: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْرِي تَرْتَجِعُونَ﴾ ومن الرجوع قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْرِي تَرْتَجِعُونَ﴾^(٦٠).

التفسير:

قال نوح عليه السلام لقومه: ولا ينفعكم تذكيري إياكم ونصحي لكم إن أراد الله شقاوتكم وإغواءكم ودماركم، هو إلهكم الذي خلقكم، والمتصرف الحاكم العادل الذي لا يجور، له الخلق وله الأمر، وإليه مرجعكم ومصيركم فيجازيكم على أعمالكم^(٦١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿تَرْجِعُونَ﴾ من الفعل (رجع) اللازم و(واو) الجماعة في محل رفع فاعل، أما ﴿تُرْجِعُونَ﴾ فهو على ما لم يسم فاعله، وهو متعدٍ على هذا الوجه، ولولا ذلك لما بنى لما لم يسم فاعله. والعرب تقول: رجعتُ فرجع، لفظ اللازم والمتعدي سواء كقولك: نقصته فنقص^(٦٢).

(٥٩) انظر النشر ج٢ ص٢٠٨، البدور الزاهرة ص١٥٣.

(٦٠) انظر: المفردات في غريب القرآن ص١٨٨.

(٦١) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ ص٦٥٣، تفسير البيضاوي ج١ ص٤٥٩، تفسير الفخر الرازي ج١٧ ص٢٢٨، صفوة التفاسير ج٢ ص١٤.

(٦٢) انظر: معاني القراءات ص٧٤، ٧٥، إملاء ما من به الرحمن ج١ ص١١٨.

قال ابن عاشور: ﴿وَتَرْجِعُونَ﴾ بضم التاء وفتح الجيم في قراءة الجمهور، وقرأه يعقوب بفتح التاء وكسر الجيم والقراءة الأولى أن الله أرجعهم وإن كانوا كارهين لأنهم أنكروا البعث والقراءة الثانية باعتبار وقوع الرجوع منهم بقطع النظر عن الاختيار أو الجبر^(٦٣).

وقال أبو حيان: «لا يلزم من رجوع الشخص إلى شيء أن غيره رجعه إليه، إذ قد يرجع بنفسه من غير راد»^(٦٤).

قال الشعراوي: «وقوله تعالى: ﴿وَالَيْهِ تَرْجَعُونَ﴾ تقرأ قراءتان: بضمه على التاء، ومرة بفتحة على التاء، الأولى معناها: أننا نُجَبِّرُ على الرجوع، فلا يكون الرجوع إلى الله تعالى بإرادتنا، وهذا ينطبق على الكفار الذين يتمنون عدم الرجوع إلى الله، أما الثانية ﴿تَرْجَعُونَ﴾ فهذه فيها إرادة، وهي تنطبق على المؤمنين لأنهم يتمنون الرجوع إلى الله»^(٦٥).

قلت: ما أشار إليه ابن عاشور رحمه الله أقرب إلى معنى الآية حيث إن الخطاب فيها للكافرين.

مما سبق يتبين أن القراءتين معاً تؤكدان وقوع الرجوع إلى الله تعالى. فالقراءة بالبناء للمفعول تخبر أن الله تعالى يُرجع الكفار جبراً لا بإرادتهم، والقراءة بالبناء للفاعل بيان لمدى خضوع الكفار إلى تصرف الله ﷻ، برجوعهم إليه خاضعين، على الرغم مما ينتظرهم من عذاب. والله تعالى أعلم.

٩ - ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۖ﴾ [هود: ٤٠]

(٦٣) التحرير والتنوير ج ١ ص ٣٧٧.

(٦٤) البحر المحيط ج ١ ص ٢٧٨.

(٦٥) تفسير الشعراوي ج ١ ص ٢٢٨.

القراءات:

- ١ - قرأ حفص (كل) بالتنوين.
- ٢ - قرأ الباقر (كل) بترك التنوين^(٦٦).

التفسير:

يقول تعالى مخاطباً نوحاً عليه السلام: إذا جاء أمرنا من الأمطار المتتابعة، وتفجرت الأرض عيوناً، حتى صارت التنانير التي هي مكان النار تفور ماءً، فحينئذٍ احمل معك في السفينة من كل زوجين اثنين من صنوف المخلوقات ذوات الأرواح - قيل وغيرها من النباتات - ، ذكراً وأنثى، واحمل فيها أهلك - وهم أهل بيته وقربته - إلا من سبق عليه القول منهم ممن لم يؤمن بالله، واحمل في السفينة من آمن من قومك. وما آمن معه إلا نزر يسير مع طول المدة والمقام^(٦٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة ﴿كل﴾ بالتنوين، على معنى: من كل شيء ومن كل زوج زوجين، فحذف المضاف إليه^(٦٨) وهو لفظ: شيء أو زوج وعوض عنه بالتنوين^(٦٩). ومفعول ﴿أَحْمِلْ﴾ هو ﴿زَوْجَيْنِ﴾، و﴿أَتَيْنِ﴾ تأكيد له^(٧٠). وقراءة ﴿كل﴾ بترك التنوين على الإضافة، وفيه وجهان: أحدهما أن مفعول ﴿أَحْمِلْ﴾ هو ﴿أَتَيْنِ﴾، تقديره: احمل فيها اثنين من كل زوج. والثاني أن ﴿من﴾ زائدة والمفعول ﴿كل﴾ واثنين تأكيد^(٧١).

(٦٦) انظر: السبعة ص ٣٣٣، النشر ج ٢ ص ٢٨٨، البدور الزاهرة ص ١٥٤.

(٦٧) انظر: تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٥٦.

(٦٨) انظر: مفاتيح الأغاني ص ٢١٢.

(٦٩) وهو تنوين عوض لأنه عوض عن المحذوف. (انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج ١ ص ٢٢، النحو الوافي ج ١ ص ٤٠).

(٧٠) انظر: إملاء ما من به الرحمن ج ٢ ص ٣٨.

(٧١) انظر: إملاء ما من به الرحمن ج ٢ ص ٣٨، الكشف ج ١ ص ٥٢٨، التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٧٢.

قال الفخر الرازي: «الزوجان عبارة عن كل شيئين يكون أحدهما ذكراً والآخر أنثى^(٧٢)، والتقدير كل شيئين هما كذلك فاحمل منهما في السفينة اثنين، واحد ذكر والآخر أنثى، ولذلك قرأ حفص ﴿مِنْ كُلٍّ﴾ بالتنوين وأراد: واحمل من كل شيء زوجين اثنين، الذكر والأنثى زوج، لا يقال عليه إن الزوجين لا يكونان إلا اثنين فما الفائدة في قوله ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ لأننا نقول هذا على مثال قوله: ﴿لَا تَخْذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١] وقوله: ﴿نَفَقَةً وَحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٣]، وأما على القراءة المشهورة فهذا السؤال غير وارد»^(٧٣).

وعليه فإن القراءة بالإضافة جاءت موضحة للقراءة بالتنوين وعلى كلتا القراءتين يصبح معنى الآية: احمل في السفينة من كل صنف زوجين، ذكراً وأنثى. والله أعلم.

١٠ - ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَعَلْنَاهَا مَسَاجِدَ وَمَوْسِمَاتٍ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: ٤١].

القراءات:

١ - قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿جَعَلْنَاهَا﴾ بفتح الميم.

٢ - قرأ الباقون ﴿مُجَرَّاهَا﴾ بضم الميم^(٧٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

(الْجَزْيُ): الْمَرُّ السَّرِيعُ، يُقَالُ: جَرَى يَجْرِي جَرِيًّا وَجَرِيَانًا وَجَرِيَّةً، وَأَصْلُهُ كَمَرُ الْمَاءِ، وَلِذَا يَجْرِي بِجَرِيهِ وَ﴿مُجَرَّاهَا﴾ بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ: مُصَدِّرًا

(٧٢) قال الطبري: «وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين: الزوجان في كلام العرب: الاثنان مطلقاً» (تفسير الطبري ج ١٢ ص ٤١).

(٧٣) تفسير الفخر الرازي ج ١٧ ص ٢٣٥.

(٧٤) انظر: السبعة ص ٣٣٣، النشر ج ٢ ص ٢٨٨، البدر الزاهرة ص ١٥٤، ١٥٥، وقد تركت الباحثة ذكر اختلاف القراء في الإمالة والفتح والتقليل في هذه الكلمة لأنها لم تتناول الأصول حسب ما بيته في منهج البحث.

جَرَى وَأَجْرَى^(٧٥).

التفسير:

يقول تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام أنه قال للذين أمر بحملهم معه في السفينة: اصعدوا إلى السفينة، بسم الله يكون جريها على وجه الماء، وبسم الله يكون منتهى سيرها وهو رسوها، إن ربي لستار لذنوب من تاب وأناب وهو رحيم بهم أن يعذبهم بعد التوبة^(٧٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بفتح الميم مصدر (جری) الثلاثي من قولهم: جرت السفينة جَرياً ومَجَرى، على معنى: بسم الله حين تجري. والقراءة بالضم مصدر (أجرى) الرباعي، على معنى: بالله إجراؤها^(٧٧).

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: قال اركبوا فيها بسم الله حين تجري وبالله إجراؤها. والمتأمل لكلا المعنيين يلحظ أن القراءة الأولى نسبت (الجري) إلى السفينة، ولا يخفى ما في هذا من إشارة إلى ضرورة الأخذ بالأسباب فلولا إتقان صنعها - بفضل الله تعالى - ما جرت، أما القراءة الثانية فإنها نسبت (الإجراء) إلى الله تعالى، ولا يخفى ما في هذا من الإشارة إلى أن مقاليد الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى فلو قضى عدم جري السفينة - رغم إتقان صنعها - ما جرت، فلهذا الأمر كله، وفي ذلك تنبيه على ضرورة التوكل على الله في جميع الأمور بعد الأخذ بالأسباب. والله تعالى أعلم.

١١ - ﴿وَهُوَ يَجْرِي فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي

(٧٥) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٩٢، القاموس المحيط ص ١٦٣٩.

(٧٦) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ٤٥، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٥٦، روح المعاني ج ١٢ ص ٥٦، ٥٧.

(٧٧) انظر: حجة القراءات ص ٣٤٠، مفاتيح الأغاني ص ٢١٢، إملاء ما من به الرحمن ص ٣٩، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٢٤٥.

مَعَزِلٍ يَنْبُئُ أَزْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ [هود: ٤٢].

القراءات:

١ - قرأ عاصم (يا بني) بفتح الياء.

٢ - قرأ الباقر (يا بني) بكسر الياء^(٧٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

(الْبَنِيُّ): نقيض الهدم، يقال: بَنَاهُ يَبْنِيهِ بَنِيًّا وَبِنَاءً وَبُنْيَانًا وَبِنْيَةً وَبِنَايَةً، والابن: الولد، وأصله بَنِيٌّ أَوْ بَنُو، والجمع: أبناء، والاسم: البُنُوَّة، وتصغيره: بُنْيٌ، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْ لَا تَقْصُصْ رُءُوكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ﴾ [يوسف: ٥]، ﴿يَبْنِيْ إِتَى أَرَى فِي الْمَنَازِرِ أَتَى أَذْبَحَكَ﴾ [الصفات: ١٠٢]، ﴿يَبْنِيْ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ [لقمان: ١٣]^(٧٩).

قال الراغب: «وسمي الابن بذلك لكونه بناءً للأب فإن الأب هو الذي بناه وجعله الله بناءً في إيجاده ويقال لكل ما يَخْصُلُ مِنْ جِهَةٍ شَيْءٍ أَوْ مِنْ تَرْبِيَتِهِ أَوْ يَتَفَقَّدُهُ أَوْ كَثْرَةَ خِدْمَتِهِ لَهُ أَوْ قِيَامِهِ بِأَمْرِهِ: هو ابنه، نحو فلان ابن حرب، وابن سبيل للمسافر، وابن الليل، وابن العلم»^(٨٠).

التفسير:

سارت بهم السفينة على وجه الماء - الذي قد غطى جميع الأرض - حتى طفت على رؤوس الجبال. وارتفع الموج ارتفاعاً عظيماً كالجبال الشاهقة واشتد الهول، ولما رأى نوح عليه السلام نهاية القوم أخذته عاطفة الأبوة فنادى ابنه، وكان في مكان منعزل عنه، يا بني اركب معنا سفينة النجاة، وإياك يا بني أن تكون مع القوم الكافرين الهالكين^(٨١).

(٧٨) انظر: السبعة ص ٣٣٤، النشر ج ٢ ص ٢٨٩، البدور الزاهرة ص ١٥٤.

(٧٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٦٢، القاموس المحيط ص ١٦٣٢.

(٨٠) المفردات في غريب القرآن ص ٦٢ - باختصار وتصرف يسير.

(٨١) انظر: تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٥٦، التفسير الواضح ج ١٢ ص ٣١، التفسير المنير ج ١٢ ص ٧٥.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة «بنِي» بالكسر على أَنَّ أصله بني بياء التصغير، وياء هي لام الكلمة، والياء الثالثة ياء المتكلم، لكنها حذفت لدلالة الكسرة عليها، فراراً من توالي الياءات، ولأن النداء موضع التخفيف، والقراءة «يَبْنِي» بالفتح فيها وجهان: أحدهما: على إبدال الكسرة فتحة فانقلبت ياء الإضافة ألفاً، ثم حذفت الألف كما حذفت الياء مع الكسرة لأنها أصلها. والثاني: أَنَّ الألف حذفت من اللفظ لالتقاء الساكنين^(٨٢).

قال أبو شامة: «فعلى الكسر أصله: يا بنِي فحذفت الياء كما تقول يا غلام، والأصل يا غلامي، وعلى الفتح أبدلت الياء ألفاً لتوالي الياءات والكسرات، ثم حذفت الألف، وبقيت الفتحة دالة عليها»^(٨٣).

وبالتأمل المتأنى لكلا الكلمتين نجد أَنَّ القراءة بالكسر تشعر المرء بحرارة عاطفة الأب، وانكسار قلبه لعدم تلبية ابنه لندائه، أما القراءة بالفتح - والفتحة هي أخف الحركات^(٨٤) - فقد ناسبت فيها خفة الحركة ما في الابن المنادى من خفة عقل وسوء تقدير.

١٢ - «قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتْلَيْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾» [هود: ٤٦].

القراءات:

١ - قرأ الكسائي ويعقوب «عَمِلَ غَيْرَ» بكسر الميم وفتح اللام وحذف تنوينها، ونصب راء «غَيْرَ».

(٨٢) انظر: مشكل إعراب القرآن ج ١ ص ٣٦٥، الكشف ج ١ ص ٤٢، الياءات المشددة في القرآن وكلام العرب ص ٣٠، إملاء ما من به الرحمن ص ٣٩، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢، ص ٢٤٦.

(٨٣) إبراز المعاني ص ٥١٤.

(٨٤) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٢٠.

٢ - قرأ الباقون ﴿عَمَلٌ غَيْرٌ﴾ بفتح الميم ورفع اللام وتنوينها ورفع راء ﴿غَيْرٌ﴾^(٨٥).

٣ - قرأ قالون وابن عامر ﴿فلا تسألن﴾ بفتح اللام وتشديد النون مكسورة وحذف الياء في الحاليين.

٤ - قرأ ورش وأبو جعفر ﴿فلا تسألن﴾ بفتح اللام وتشديد النون مكسورة وإثبات الياء وصلأ فقط.

٥ - قرأ ابن كثير ﴿فلا تسألن﴾ بفتح اللام وتشديد النون مفتوحة من غير ياء بعدها.

٦ - قرأ أبو عمرو ﴿فلا تسألن﴾ بإسكان اللام وتخفيف النون مكسورة وإثبات الياء بعدها وصلأ فقط.

٧ - قرأ يعقوب ﴿فلا تسألني﴾ بإسكان اللام وتخفيف النون مكسورة وإثبات الياء بعدها في الحاليين.

٨ - قرأ الباقون ﴿فلا تسألن﴾ بإسكان اللام وتخفيف النون مكسورة وحذف الياء بعدها في الحاليين^(٨٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿عَمَلٌ﴾: (عَمِلَ): فَعَلَ، وَالْعَمَلُ: الْمِهْنَةُ وَالْفِعْلُ، تقول: أَعْمَلُهُ وَاسْتَعْمَلُهُ غَيْرُهُ، وَاعْتَمَلَ: عَمِلَ بِنَفْسِهِ، وَأَعْمَلَ رَأْيَهُ وَاللَّهُ^(٨٧).

قال الراغب: «(عَمِلَ): الْعَمَلُ كُلُّ فِعْلٍ يَكُونُ مِنَ الْحَيَوَانِ بِقَصْدٍ، فَهُوَ أَخَصُّ مِنَ الْفِعْلِ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ قَدْ يَنْسَبُ إِلَى الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يَقَعُ مِنْهَا فِعْلٌ بَغَيْرِ قَصْدٍ، وَقَدْ يَنْسَبُ إِلَى الْجَمَادَاتِ، وَالْعَمَلُ قَلِمَا يَنْسَبُ إِلَى ذَلِكَ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلِ الْعَمَلُ فِي الْحَيَوَانَاتِ إِلَّا فِي قَوْلِهِمْ: الْبَقَرُ الْعَوَامِلُ، وَالْعَمَلُ يَسْتَعْمَلُ

(٨٥) انظر: السبعة ص ٣٣٤، النشر ج ٢ ص ٢٨٩، البدور الزاهرة ص ١٥٤.

(٨٦) انظر: السبعة ص ٣٣٥، النشر ج ٢ ص ٢٨٩، البدور الزاهرة ص ١٥٥.

(٨٧) انظر: القاموس المحيط ص ١٣٣٩.

في الأعمال الصالحة والسيئة^(٨٨).

٢ - ﴿غَيْرٌ﴾: كلمة يوصف بها ويستثنى، فإن وُصف بها تَبَعَتْ ما قبلها، وإن استثنى بها أعربت بالإعراب الذي يجب للاسم الواقع بعد (إِلَّا)، وذلك أن أصل ﴿غَيْرٌ﴾ صفة والاستثناء عارض. وقد تكون ﴿غَيْرٌ﴾ بمعنى (لا) فتُنصب على الحال، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] بمعنى: فمن اضطر جائعاً لا باغياً^(٨٩).

٣ - ﴿تَسْأَلُنِ﴾: (سأل): السؤال استدعاء معرفة أو مال أو ما يؤدي إليهما، تقول: سأله كذا، وعن كذا، وبكذا، سُؤلاً وَسْأَلَةً وَمَسْأَلَةً، والأمر سَلْ، واسألْ، ويقال سأل يسأل^(٩٠).

التفسير:

لما رأى نوح عليه السلام هلاك الكافرين، ومنهم ابنه، ساورته أحاسيس العطف على ابنه، والأسف العميق على نهايته فنادى ربه: ﴿رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِ﴾ وقد وعدتني بنجاتهم، وإن وعدك الحق فأجابه الله تبارك وتعالى: يا نوح - عليه السلام - إن ابنك هذا ليس من أهلك الذين وَعَدْتُ بِإِنجائهم، لأنني إنما وعدت بنجاة من آمن من أهلك، وابنك هذا ذو عمل غير صالح، حيث تنكر لدعوة الهدى والصلاح، وانضم إلى الكافرين، فهو ليس من أهل دينك ولا ولايتك. وسؤالك إياي في ابنك - المخالف دينك الموالي أهل الشرك - من النجاة من الهلاك عمل غير صالح، فلا تطلب مني شيئاً ليس لك به علم صحيح، ولا تلتمس مني التماساً لا تعلم أصواب هو أم لا حتى تقف على كنهه، إنني أعظك وأنهاك أن تكون من فئة الجاهلين الذين يسألون بطلان تشريع الله وقانونه وتقديره في خلقه، فهو العليم بهم البصير بشأنهم^(٩١).

(٨٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٤٨، القاموس المحيط ص ١٣٠٧، ١٣٠٨.

(٨٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٦٨، مختار الصحاح ص ٢٠٣.

(٩٠) المفردات في غريب القرآن ص ٢٥٠.

(٩١) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ٥٢، ٥٣، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٥٨، ٤٥٩، التفسير الواضح ج ١٢ ص ٣٢، التفسير المنير ج ١٢ ص ٧٦، ٧٧.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٌ﴾:

على قراءة ﴿إِنَّكُمْ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٌ﴾ المراد به ابن نوح عليه السلام المتقدم ذكره، وعلى قراءة الباقيين له تقديران:

أحدهما: أن يراد به ابن نوح عليه السلام، بتقدير: إنه ذو عمل غير صالح.

والثاني: أن يراد به سؤال نوح عليه السلام، بتقدير: إن سؤالك إياي أن أنجي كافراً عمل غير صالح^(٩٢).

وأضاف مكي: «وقيل: تقديره إن سؤالك ما ليس لك به علم عمل منك غير صالح. ويجوز أن تكون الهاء في ﴿إِنَّكُمْ﴾ تعود على ما دل عليه أول الكلام، وهو قوله ﴿أَرْكَبُ مَعَنَّا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾، فيكون التقدير: إن كون الكافرين معك عمل منك غير صالح. ويجوز أن يكون الكلام من قول نوح عليه السلام لابنه يخاطبه ويُقرّعه وتقديره: يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، إنه عمل غير صالح، أي إن كونك مع الكافرين عمل منك غير صالح»^(٩٣).

قال أبو حيان: «وقرئ ﴿عَمَلٌ غَيْرٌ﴾ منوناً، ﴿غَيْرٌ﴾ رفعاً صفة له فاحتمل قوله: ﴿إِنَّكُمْ﴾ أن يكون على حذف مضاف تقديره أي إن عمله عمل غير صالح، أو يكون الحذف في ﴿عمل﴾ تقديره أنه ذو عمل غير صالح، أو جعله نفس العمل مبالغة في ذمه»^(٩٤).

واحتج بعض أهل التأويل^(٩٥) بقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٌ﴾ -

(٩٢) انظر: التذكرة ج ٢ ص ٣٧٢، المكتفى في الوقف والابتداء ص ٣١٦ - ٣١٧، إملأ ما من به الرحمن ج ٢ ص ٤٠.

(٩٣) الكشف ج ٢ ص ٥٢٠ - ٥٢١، وانظر: روح المعاني ج ١٢ ص ٦٩.

(٩٤) النهر المآذ ج ٢ ص ٧٠، وانظر تفسير البضاوي ج ٢ ص ٤٥٨.

(٩٥) منهم: مجاهد والحسن وابن جريج وعبيد ابن عمير. انظر تفصيل أقوالهم في تفسير الطبري ج ١٢ ص ٥٠.

على قراءة التنوين والرفع - وبقوله تعالى: ﴿فَخَانَتْهُمَا﴾ [التحریم: ١٠] على أنَّ هذا الولد الكافر ليس بابن نوح عليه السلام وإنما كان ابن زنية، وقد نصَّ غير واحد من الأئمة على تخطئة هذا القول^(٩٦)، وقالوا: إنَّ هذا الولد الكافر كان ابن نوح عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿فَخَانَتْهُمَا﴾ [التحریم: ١٠]، لا يراد به الخيانة بالزنا، ولكن كانت امرأة نوح عليه السلام تخبر الناس أنه مجنون، وكانت امرأة لوط عليه السلام تدل على الأضياف^(٩٧).

وعليه يمكن تفسير قراءة التنوين والرفع بما يلي:

خاطب الله نوحاً عليه السلام فقال له:

- إنَّ سؤالك أن أنجي كافراً عمل منك غير صالح.
 - إنَّ سؤالك ما ليس لك به علم عمل منك غير صالح.
 - إنَّ كون الكافرين معك عمل منك غير صالح.
 - إنَّ عمل ابنك عمل غير صالح.
 - إنَّ ابنك ذو عمل غير صالح.
 - إنَّ ابنك عملٌ غير صالح - جعله العمل نفسه مبالغة في ذمه - .
- أو خاطب نوح عليه السلام ابنه قائلاً:

- يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، إنَّ كونك مع الكافرين عمل منك غير صالح.

أما القراءة الثانية ﴿عَمِلَ غَيْرَ﴾ فإنها أفادت أنَّ الله تعالى خاطب نوحاً عليه السلام قائلاً:

إنَّ ابنك عمل عملاً غير صالح بمخالفته لدينك فاقتضى ذلك هلاكه.

(٩٦) منهم ابن عباس وسعيد ابن جبیر وعكرمة والضُّحَّاك. انظر تفصيل أقوالهم في تفسير الطبري ج ١٢ ص ٥١ - ٥٢.

(٩٧) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ٥١.

فالقراءة الثانية أَكَّدَتْ وجهاً من وجوه تأويل القراءة الأولى، وهو أن عَمَلَ ابن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ عملٌ غير صالح - وإن اختلف التقدير وتَنَوَّعَ أسلوب التعبير -، كما أنها استبعدت وجهاً من وجوه تأويل القراءة الأولى وهو أن يوصف ابن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه عملٌ غير صالح بدعوى أنه ابن زنية. والله تعالى أعلم.

٢ - قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾:

وجه تشديد النون مع الفتح أنها المؤكدة ولذا بُنِيَ الفعل، ومع الكسر أنها المؤكدة الخفيفة أدغمت في نون الوقاية، ووجه التخفيف مع الكسر أنها نون الوقاية والفعل مجزوم ب(لا) الناهية فسكنت اللام، والفعل هنا غير مؤكد بنون التوكيد، ومعدى إلى ياء المتكلم، والياء مفعوله الأول، وما مفعوله الثاني بتقدير (عن)، وحذف الياء للتخفيف، وإثباتها على الأصل^(٩٨).

قال الطبري: «اختلف القراء في قراءة قوله ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ فقرأ عامة أهل الأمصار ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ﴾ بكسر النون وتخفيفها. ونحواً بكسرها إلى الدلالة على الياء التي هي كناية اسم الله ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ﴾. وقرأ ذلك بعض المكيين، وبعض أهل الشام ﴿فَلَا تَسْأَلْنَ﴾ بتشديد النون وفتحها، بمعنى: فلا تسألن يا نوح ما ليس لك به علم^(٩٩).

وعليه فإن الله تعالى نهى نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أن يسأل ما ليس له به علم نهياً مطلقاً، سواء أكان هذا السؤال لله تَعَالَى أم لغيره، في هذا المقام أم فيما يُستقبل. وقد تنوع أسلوب التعبير عن هذا النهي تنوعاً مناسباً تعدد صور السؤال عما ليس للمرء به علم؛ فقد تكون أموراً عظيمة فناسبها التشديد وقد تكون أموراً هينة فناسبها التخفيف. والله تعالى أعلم.

١٣ - ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَوِّرْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِ اتَّبَعْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [هود: ٥٠].

(٩٨) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص ٢٥٧، التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٨٦، ٨٧.

(٩٩) تفسير الطبري ج ١٢ ص ٥١.

القراءات:

١ - قرأ الكسائي وأبو جعفر ﴿غَيْرُهُ﴾ بخفض الراء وكسر الهاء.

٢ - قرأ الباقر ﴿غَيْرُهُ﴾ برفع الراء وضم الهاء^(١٠٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق بيانه^(١٠١).

التفسير:

يقول تعالى: وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم هوداً عليه السلام فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له واتركوا ما تعبدون من دونه من الآلهة والأوثان، ليس لكم معبود يستحق العبادة عليكم غير الله فأخلصوا له العبادة، وأفردوه بالألوهية، ما أنتم في إشراككم معه الآلهة والأوثان إلا أهل فرية مكذبون، تختلقون الباطل، لأنه لا إله سواه^(١٠٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿غَيْرُهُ﴾ بخفض الراء وكسر الهاء بعدها، على أَنَّ (غير) صفة ل ﴿إِلَهِ﴾ على اللفظ، وليست حرف استثناء. والقراءة ﴿غَيْرُهُ﴾ برفع الراء وضم الهاء، على أَنَّ (غير) حرف استثناء، يعرب بما يعرب به الاسم بعد إلا، وهو على هذا بدل من ﴿إِلَهِ﴾ على الموضع، حيث إِنَّ (من) هنا زائدة، و﴿إِلَهِ﴾ مبتدأ. ويجوز أن يكون (غير) صفة ل ﴿إِلَهِ﴾ على الموضع^(١٠٣).

(١٠٠) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٧٠، الدور الزاهرة ص ١٥٥.

(١٠١) انظر ص ٤١ من هذا البحث.

(١٠٢) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ٥٧.

(١٠٣) انظر: حجة القراءات ص ٢٨٦، الحجة في القراءات السبع ص ١٥٧، الكشف ج ١ ص ٤٦٧، إملاء ما من به الرحمن ج ١ ص ٢٥١، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ١٤٠.

تفسير الرأ بالراءات القرآنية العشر

قال ابن هشام: «وَقَرَأَ ﴿مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ﴾ بالجر صفة على اللفظ، وبالرفع على الموضع، وتحتمل قراءة الرفع الاستثناء على أنه إبدال على المحل مثل (لا إله إلا الله)»^(١٠٤).

فعلى القراءة بالخفض يكون المعنى: ما لكم من إله يستحق العبودية من هذه الآلهة التي تدعونها من دون الله. فهذه القراءة نص في ذم آلهتهم، أولاً، فإذا علموا ذلك توجهت عقولهم إلى الإله الحق.

وعلى القراءة بالرفع يكون المعنى على الاستثناء أي: ما لكم من إله إلا الله. والاستثناء بعد الجحد تحقيق^(١٠٥). أي أنه نفى الألوهية عن جميع معبوداتهم باستثناء الله تعالى فأثبت الألوهية بهذا الاستثناء لله وحده. فنصت هذه القراءة على ذم آلهتهم في نفس الوقت الذي أثبتت فيه الألوهية لله وحده.

وعلى التقدير الآخر بأن (غير) صفة ل(إله) على الموضع تشترك هذه القراءة في المعنى مع القراءة الأولى وتؤكد كل قراءة القراءة الأخرى وفي هذا مبالغة في تحقير آلهتهم الباطلة وإثبات الألوهية لله وحده. والله تعالى أعلى وأعلم.

١٤ - ﴿وَإِلَىٰ نَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقُولُ أَغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿١١﴾﴾ [هود: ٦١].

القراءات:

١ - قرأ الكسائي وأبو جعفر ﴿غَيْرِهِ﴾ بخفض الراء وكسر الهاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿غَيْرُهُ﴾ برفع الراء وضم الهاء^(١٠٦).

(١٠٤) مغني اللبيب ج ١ ص ١٥٨.

(١٠٥) انظر: حجة القراءات ص ٢٨٦.

(١٠٦) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٧٠، البدور الزاهرة ص ١٥٥.

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَّا عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَوْرُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠] (١٠٧).

١٥ - ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦].

القراءات:

١ - قرأ نافع والكسائي وأبو جعفر ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ بفتح الميم.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُؤْمِئِذٍ﴾ بكسر الميم (١٠٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

(يوم): اليوم هو الوقت من طلوع الشمس إلى غروبها، وقد يُعبر به عن مدة من الزمان أي كانت، ويُركَّب (يوم) مع (إذ)، وربما يعرب أو يبنى (١٠٩).

التفسير:

يقول تعالى: فلما جاء ثمود عذابنا، نجينا صالحاً ومن آمن معه، بنعمة وفضل من الله ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذله. إن الله لقوي في بطشه؛ إذا بطش بشيء أهلكه، كما أهلك ثمود حين بطش بها، عزيز فلا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، بل يغلب كل شيء ويقهره (١١٠).

العلاقة التفسيرية للقراءات:

وجه القراءة بالكسر أن (يوم) أجري مجرى سائر الأسماء، فخفض لإضافة ﴿خِزْيٍ﴾ إليه، ولم يُبْنَ لإضافته إلى (إذ) لأنه يجوز أن ينفصل من

(١٠٧) انظر: ص ٤٤ من هذا البحث.

(١٠٨) انظر: المبسوط ص ٢٤٠، النشر ج ٢ ص ٢٨٩، البدور الزاهرة ص ١٥٦.

(١٠٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٥٣٣.

(١١٠) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ٦٥.

(إذ)، والبناء إنما يلزم إذا لزمت العلة. ووجه القراءة بالفتح أن (يوم) بنى على الفتح لإضافته إلى مبني (غير متمكن) وهو (إذ) وعومل اللفظ ولم يُعامل تقدير الانفصال^(١١١).

قال العكبري: «يقرأ بكسر الميم على أنه معرب، وانجراره بالإضافة، ويفتحها على أنه مبني مع (إذ) لأن (إذ) مبني وظرف الزمان إذا أضيف إلى مبني جاز أن يبنى لما في الظروف من الإبهام، ولأن المضاف يكتسي كثيراً من أحوال المضاف إليه كالتعريف والاستفهام والعموم والجزاء»^(١١٢).

وإذا علم أن الإعراب هو «اختلاف آخر الكلمة لاختلاف العامل فيها لفظاً أو تقديرًا»^(١١٣)، وأن البناء هو «لزوم آخر اللفظ علامة واحدة - في كل أحواله -، لا تتغير مهما تغيرت العوامل»^(١١٤)، فإنه من الممكن القول بأن القراءة بالجر، على أن الاسم معرب، توحى بتنوع أصناف العذاب الذي لحق بالأمم السابقة نتيجة لكفرهم، وقد أصاب قوم صالح ما يناسبهم من العذاب، أما القراءة بالفتح على أن الاسم مبني، فقد أوحى بدوام هذا العذاب، واستمراره عليهم حتى أهلكهم جميعاً^(١١٥). والله تعالى أعلى وأعلم.

١٦ - ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئَرِهِمْ جَثِيمِينَ ۖ كَانُوا يَنْتَوُونَ فِيهَا آلَا إِنَّ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بِمُؤَدَّا يَشْمُودُ﴾ [هود: ٦٧، ٦٨].

(١١١) انظر: الكشف ج ١ ص ٣٣.

(١١٢) إملاء ما من به الرحمن ج ٢ ص ٤١، وانظر: مفاتيح الأغاني ص ٢١٤، القواعد والفوائد ص ١٧٧.

(١١٣) الباب في علل البناء والإعراب ج ١ ص ٥٢، وانظر: المسائل العسكرية في النحو العربي ص ١٠٩، اللمع في العربية ص ٩١، ٩٢.

(١١٤) النحو الوافي ج ١ ص ٧٥، وانظر: اللمع في العربية ص ٩٢، لسان العرب ج ١ ص ٣٦٦. قال ابن منظور: «وكأنهم إنما سموه بناءً من حيث كان البناء لازماً موضعاً لا يزول من مكان إلى غيره». (لسان العرب ج ١ ص ٣٦٦).

(١١٥) هذا رأي اجتهدته، أملاه تنوع استخدام الكلمة بين البناء والإعراب، وقد ترددت كثيراً في إيرادها، ولكن المشرف لم ير فيه بأساً فأثبتته، والله أعلم بمراده. (الباحثة)

القراءات:

- ١ - قرأ حفص وحمزة ويعقوب ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ﴾ بغير تنوين الدال.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودًا﴾ بتنوين الدال^(١١٦).
- ٣ - قرأ الكسائي ﴿أَلَا بَعْدَ لثَمُودٍ﴾ بخفض الدال مع التنوين.
- ٤ - قرأ الباقون ﴿أَلَا بَعْدُ لثَمُودَ﴾ بفتح الدال من غير تنوين^(١١٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

(ثمود) قيل هو أعجمي وقيل هو عربي وتُرِكَ صرفه لكونه اسم قبيلة، وهو فَعُولٌ من الثَمَدِ وهو الماء القليل الذي لا مادةً له، ومنه قيل فلان مَثْمُودٌ ثمدته النساء أي قطعت مادة مائه لكثرة غشيانه لهن، ومَثْمُودٌ إذا كثر عليه السؤال حتى فقد مادة ماله^(١١٨)، وسميت قبيلة ثمود بهذا الاسم لقلة مائها^(١١٩).

التفسير:

يقول تعالى: وأصبح أمر ثمود أن أخذتهم صيحة العذاب وهي الصاعقة ذات الصوت الشديد المهلك، فصعقوا بها جميعاً، وأصبحوا هامدين موتى لا يتحركون، وكأنهم لسرعة هلاكهم لم يعيشوا في هذه الدنيا ولم يقيموا في ديارهم، ذلك لأنهم كفروا بآيات ربهم فجحدوها، فاستحقوا عقابه الشديد، فسحقاً لهم وبعداً وهلاكاً ولعنة^(١٢٠).

(١١٦) انظر: المبسوط ص ٢٤٠، النشر ج ٢ ص ٢٨٩، البدور الزاهرة ص ١٥٦.

(١١٧) انظر: المبسوط ص ٢٤١، النشر ج ٢ ص ٢٩٠، البدور الزاهرة ص ١٥٦.

(١١٨) انظر: القاموس المحيط ص ٣٤٥.

(١١٩) انظر: حجة القراءات ص ٣٤٥، الكشف ج ١ ص ٥٣٣، مفاتيح الأغاني ص ٢١٤، تفسير البيضاوي ج ٢ ص ٤٦٢.

(١٢٠) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ٦٨، روح المعاني ج ١٢ ص ٩٢، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٢٣، التفسير المنير ج ١٢ ص ١٠٢.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ بالتنوين جعله اسماً للحيّ والأب، وهما مذكران، فصرفه، لأن الصرف أصل الأسماء كلها، ومن قرأ بترك التنوين جعله اسماً للقبيلة فلم يصرفه لاجتماع العلمية والتأنيث^(١٢١).

قال سيبويه: «فأما ثمود وسبأ، فهما مرة للقبيلتين، ومرة للحيين، وكثرتهما سواء»^(١٢٢).

وقال أحمد بن الزبير الغرناطي: «قرئ ثمود في الموضعين بالوجهين من الصرف وعدمه، إلا أنّ أكثر القراء على الصرف في الأول ومنعه في الثاني. فترتب على قراءة الأكثرين سؤال وهو: لم صُرف الأول في قراءة غير حفص وحمزة، ومنع الثاني الصرف في قراءة الجماعة غير الكسائي. ووجه ذلك - والله أعلم - التفات شيء فيه خفاء يراعى مثله. وذلك أنّ الاسم النكرة إذا كُرِّرَ، وأريد بالثاني الأول ولم يرد غيره، لزمته الألف واللام التي للعهد، فصار معرفة: تقول: رأيت رجلاً فضربت الرجل، تريد المذكور ولا تعيده نكرة بوجه. ولك أن تأتي به مضمراً فتقول: رأيت الرجل فضربته. فإذا تكلمت بهذا في المعرفة، فالأكثر أن تأتي به مضمراً، أو موصوفاً بقولك: المذكور. أمّا ما لا يخرج عن الأول حتى لا يظن أنك تريد سواء فتقول: رأيت زيدا فكلمته، ولقيت عمراً فضربت المذكور، أو فضربت عمراً المذكور. فالثاني المكرر أبداً، إن كان الأول نكرة، كان هو معرفة بأداة العهد، وإن كان الأول معرفة كان الثاني أمكن في التعريف إذ قد يدخل الأول اشتراك لوجود أمثاله ممن تسمّى باسمه. وأمّا الثاني فلا يدخله اشتراك من حيث هو، إلا أن يسري له الاشتراك من الأول فقد ثبت على كل حال أنه أبعد من الاشتراك والالتباس من الأول وذلك شغوف له عليه

(١٢١) انظر: المقتضب ج ٣ ص ٣٦٠، ٣٦١، حجة القراءات ص ٣٤٥، الكشف ج ١ ص ٥٣٣، مفاتيح الأغاني ص ٢١٤، تفسير البيضاوي ج ٢ ص ٤٦٢، ما انفرد به كل من القراء السبعة ص ١١٢.

(١٢٢) الكتاب ج ٣ ص ١٢٧.

فكانه أعرف منه. فإذا كرر غير مضمّر ولا منعوت، وكان علماً مما يجوز في مثله الوجهان من الصرف وعدمه. وذلك الثلاثي ساكن الوسط، والعرب قد تصرفه لخفته، ومنهم من يمنعه الصرف لوجود علتين، ولا يراعى خفته، فإذا كان أكثر تعريفاً كان الوجه منع صرفه إشعاراً بتمكن تعريفه. إذ هذا الضرب من التعريف من موانع الصرف، ولا اعتبار بما دونه من المعارف في منع الصرف، إلا لمانع آخر. فلهذا كان الثاني في قوله: ﴿ألا بعداً لِمُؤَدٍّ﴾ أولى بمنع الصرف. والله أعلم. فالمؤنث الثلاثي الساكن الوسط إذا لم يكن منقولاً من مذكر، فيه الوجهان: الصرف وعدمه. إلا أن في اختصاص مكرره بالمنع تأنيساً لما ذكرناه وإن لم ترد به الشواهد، إذ باب هذا معروف ومفهوم^(١٢٣).

وعليه فإن القراءة بالصرف في الأولى وعدم الصرف في الثانية تشعر بتمكن تعريف القبيلة مبالغة في ذمها، والقراءة بالصرف في الكلمتين تفيد أن المراد هنا الحي، والقراءة بعدم الصرف تفيد أن المراد هو القبيلة. وبالجمع بين القراءتين يُعلم أن العقوبة قد عمّت القبيلة وشملت الحي أيضاً.

ويظهر المعنى جلياً ببيان المراد بالقبيلة والحي. أما القبيلة في اللغة فهي واحدة قبائل الرأس، وهي القطع المشعوب بعضها إلى بعض تصل بها الشئون، وبها سميت قبائل العرب، والقبيلة من الناس بنو أب واحد، وتطلق القبيلة على الواحدة من قبائل العرب وسائرهم من الناس، والشعب أكبر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ^(١٢٤). والحي من كل شيء: نقيض الموت، والواحد من أحياء العرب، والحي: البطن من بطون العرب، ويقع على بني أب كثروا أم قلّوا، وعلى شعب يجمع القبائل^(١٢٥). فالقبيلة أصغر من الحي، وفيها إشارة إلى اللّحمة والترابط الذي جمع ثمود على الكفر، فكانوا كرجل واحد في مواجهة نبيهم صالح عليه السلام، فاستحقوا البعد

(١٢٣) ملاك التأويل ج ٢ ص ٥٢٣ - ٥٢٥ - باختصار.

(١٢٤) انظر: لسان العرب ج ٦ ص ٣٥١٩.

(١٢٥) انظر: لسان العرب ج ٢ ص ١٠٧٨.

والهلاك، أما الحي فهو أشمل من القبيلة، وفيه إشارة إلى الحياة والنشاط التي كانت تدب في هذه القرية الهالكة، فكانت نهايتها أن أصبحوا ﴿فِي دِيرِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ (١٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا. فتبارك الله رب العالمين الذي أنزل هذا القرآن معجزة خالدة لا تقضي عجائبه. والله تعالى أعلم.

وتمت معنى لطيف يمكن إضافته إلى ما ذكر، وهذا المعنى أشار إليه البقاعي رحمه الله وقد استوحاه من الصرف وعدمه في الكلمتين، حيث قال: «(ألا إن ثموداً) قراءة الصرف دالة على الاستخفاف بهم لطيشهم في المعصية...، (ألا بعداً لثمود) ترك صرفهم في قراءة غير الكسائي إيذاناً بدوام لبثهم في الطرد والبعد» (١٢٦).

١٧ - ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيزٍ﴾ (١٩) [هود: ٦٩].

القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي ﴿سَلَمٌ﴾ بكسر السين وإسكان اللام.

٢ - قرأ الباقون ﴿سَلَّمَ﴾ بفتح السين واللام وألف بعدها (١٢٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

(السلم): التعري من الآفات الظاهرة والباطنة، والمُسالم، والصُّلح، والسلام، والإسلام. (والسلام): التحية (١٢٨).

التفسير:

يذكر الله تعالى في هذه الآية طرفاً من قصة إبراهيم عليه السلام حين جاءه رسل

(١٢٦) نظم الدرر ج ٣ ص ٥٥١. وقد فكرت ملياً في هذا التأويل، ولم أهتم إلى وجه الارتباط بين كون الكلمة مصروفة أو غير مصروفة وبين ما أشار إليه البقاعي - رحمه الله - من المعاني، وقد آثرت إيراد ما ذكره تنمة للفائدة.

(١٢٧) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٠، البدور الزاهرة ص ١٥٦.

(١٢٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٣٩، ٢٤٠، القاموس المحيط ص ١٤٤٨.

الله الكرام من الملائكة ليبشروه بالولد، فلما دخلوا سلموا عليه، فردّ عليهم السلام، وهو لا يعرف أنهم ملائكة، ثم بادر لبيته فاستحضر عجباً مشوياً^(١٢٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

(السُّلَم): بكسر السين وإسكان اللام بلا ألف لغة في السلام: التحية، كحلّ وحلال، أو بمعنى المسالمة التي هي ضد الحرب، و(السلام) هو التحية اتفاقاً^(١٣٠).

قال الفراء: «وقوله: ﴿سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ﴾ هو في المعنى (سلام) كما قال: حلّ وحلال وجرم وحرام، لأن التفسير جاء: سلموا عليه فردّ عليهم. فترى أن معنى سلم و سلام واحد. والله أعلم»^(١٣١).

وقال مكي: ويجوز أن يكون ﴿سَلَمًا﴾ بمعنى المسالمة التي هي خلاف الحرب. كأن إبراهيم ﷺ لما رآهم لا يأكلون طعامه أوجس في نفسه خوفاً منهم، فقال لهم: سِلْم، أي أنا سِلْم لكم ولست بحرب لكم، فلا تمتنعوا من أكل طعامي كما يُمتنع من أكل طعام العدو. ومعنى ﴿سَلَمًا﴾ أي سلام عليكم، فالخبر محذوف، وهو: رد السلام عليهم، إذ سلموا عليه. وهو أبين في التحية وردّ السلام^(١٣٢).

قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، لأن السُّلَم قد يكون بمعنى السلام، والسلام بمعنى السلم، لأن التسليم لا يكاد يكون إلا بين أهل السُّلَم دون الأعداء، فإذا ذُكِرَ تسليم من قوم على قوم، وردّ الآخرين عليهم، دلّ ذلك على مسالمة بعضهم بعضاً»^(١٣٣).

(١٢٩) انظر: تفسير السعدي ص ٣٦٤.

(١٣٠) انظر: شرح طيبة النشر للنويري ج ٤ ص ٣٧٠.

(١٣١) معاني القرآن للفراء ج ٢ ص ٢٠، ٢١ - باختصار وتصرف يسير.

(١٣٢) الكشف ج ١ ص ٥٣٤ - باختصار وتصرف يسير.

(١٣٣) تفسير الطبري ج ١٢ ص ٦٩.

وبالجمع بين القراءتين يُفهم أنّ إبراهيم عليه السلام ردّ التحية على الملائكة بأحسن منها^(١٣٤) وقال لهم: أنا سِلْم لكم ولست بحرب لكم.

١٨ - ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسَ ثِيَابًا يَبْسُتُهَا بِإِسْحَاقَ وَيَمِينَ وَرَأَى إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ

﴿٧١﴾ [هود: ٧١].

القراءات:

١ - قرأ حفص وحمزة وابن عامر ﴿يَعْقُوبَ﴾ بنصب الباء.

٢ - قرأ الباقر ﴿يَعْقُوبُ﴾ برفع الباء^(١٣٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿يعقوب﴾: اسم إسرائيل أبي يوسف عليهما السلام. وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، لا ينصرف للجمعة والتعريف. ويقال: إنما سمي يعقوب لأنه كان هو وأخوه عيصو توأمين، فخرج من بطن أمه آخذاً بعقب أخيه عيصو^(١٣٦). قال القرطبي: «وفي ذلك نظر، لأنّ هذا اشتقاق عربي، ويعقوب اسم أعجمي، وإن كان قد وافق العربية في التسمية به كذكر الحجل^(١٣٧)»^(١٣٨).

التفسير:

يخبر الله تعالى عن سارة زوج إبراهيم عليه السلام أنها كانت قائمة - على

(١٣٤) «رد إبراهيم عليه السلام التحية بخير من تحيتهم، فإنهم حيّوه بالنصب (سلاماً)، وحياهم بالرفع (سلاماً). فهم حيّوه بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد، أي نسلم سلاماً، وهو قد حياهم بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت. والاسم أقوى وأثبت من الفعل» لمسات بيانية في نصوص التنزيل ص ٨٤.

(١٣٥) انظر: المبسوط ص ٢٤١، النشر ج ٢ ص ٢٩٠، البدور الزاهرة ص ١٥٧.

(١٣٦) انظر: لسان العرب ج ٤ ص ٣٠٣، تفسير القرطبي ج ٢ ص ١٣٦.

(١٣٧) «الحجل بالتحريك: جمع حجلة، طائر وردي أحمر الرجلين والمنقار، في حجم الحمام، طيب اللحم» (الإفصاح في فقه اللغة ج ٢ ص ٨٧٨).

(١٣٨) انظر: تفسير القرطبي ج ٢ ص ١٣٦.

خدمة الأضياف أو من وراء الستر تسمع محاورة إبراهيم عليه السلام وضيئه من الملائكة - فضحكت سروراً بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الفساد - قوم لوط عليه السلام، فبشرتها الملائكة بإسحق عليه السلام ولدأ لها، وبيعقوب ابنأ لولدها (١٣٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿يَعْقُوبُ﴾ بالنصب على تقدير: (وهبنا لها من وراء إسحاق يعقوب)، ودلّ عليه معنى قوله تعالى: ﴿فبشرناها بإسحق﴾ لأنه في معنى وهبنا^(١٤٠). ودُكر أيضاً في توجيه هذه القراءة وجهان آخران، أحدهما: أنه معطوف على لفظ ﴿إسحق﴾، وفتحته للجبر لأنه غير مصروف للعلمية والعجمة، وعلى هذا دخوله في البشارة ظاهر^(١٤١)، والثاني: أن يكون ﴿يَعْقُوبُ﴾ معطوفاً على محل ﴿إسحق﴾، أي: فبشرناها، لأنه في محل نصب، حيث إنه مفعول به في المعنى^(١٤٢).

و﴿يَعْقُوبُ﴾ بالرفع على الابتداء والظرف المقدم ﴿ومن وراء﴾ الخبر، كأنه قيل: ومن وراء إسحاق يعقوب كائن أو موجود أو مولود^(١٤٣). «ويجوز أن يكون مرفوعاً بالفعل الذي يعمل في قوله ﴿ومن وراء﴾ كأنه قال: «ويثبت لها من وراء إسحق يعقوب»^(١٤٤). ويجوز أن يكون فاعلاً لفعل محذوف،

(١٣٩) انظر: تفسير البضاوي ج١ ص٤٦٣، روح المعاني ج١٢ ص٩٨، صفوة التفاسير ج٢ ص٢٤.

(١٤٠) انظر: الكشف ج١ ص٥٣٥، إبراز المعاني ص٥١٧.

(١٤١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٣ ص٦٢، الكشف ج١ ص٥٣٥، إبراز المعاني ص٥١٧، روح المعاني ج١٢ ص٩٨.

(١٤٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٣ ص٦٢، الكشف ج١ ص٥٣٥، إبراز المعاني ص٥١٧، روح المعاني ج١٢ ص٩٨.

(١٤٣) انظر: الكشف ج١ ص٥٣٥، حجة القراءات ص٣٤٧، مفاتيح الأغاني ص٢١٥، إبراز المعاني ص٥١٦، روح المعاني ج١٢ ص٩٩.

(١٤٤) حجة القراءات ص٣٤٧، وانظر: إبراز المعاني ص٥١٨، روح المعاني ج١٢ ص٩٩.

أي: ويحدث من وراء إسحق يعقوب^(١٤٥).

مما سبق يتبين أن القراءتين تتفقان في المعنى النهائي أنه سيولد لإسحق عليه السلام ولد وهو يعقوب عليه السلام. وبين الفتح وما به من خفة ناسبت مشاعر الأمومة المرهفة، وبين الضم وما به من قوة ناسبت صدق البشارة، تنساب الألفاظ عذبة قوية تعبر عن المعنى، فطوبى لمن عقل فتدبر. والله تعالى أعلم.

١٩ - ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكِّرًا إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابُهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ [هود: ٨١].

القراءات:

١ - قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر ﴿فأسر﴾ بهمزة وصل فتسقط في الدرج، وحينئذ يصير النطق بسين ساكنة بعد الفاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿فأسر﴾ بهمزة قطع مفتوحة بعد الفاء^(١٤٦).

٣ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿إلا امرأتك﴾ برفع التاء.

٤ - قرأ الباقون ﴿إلا امرأتك﴾ بنصب التاء^(١٤٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿فأسر﴾، ﴿فأسر﴾: (سرى): السرى سير الليل، يقال سرى وأسرى، وقيل إنَّ (أسرى) ليست من لفظة (سرى يسرى)، وإنما هي من

(١٤٥) انظر: حجة القراءات ص ٣٤٧، مفاتيح الأغاني ص ٢١٥، إبراز المعاني ص ٥١٦، روح المعاني ج ١٢ ص ٩٩.

(١٤٦) انظر: المبسوط ص ٢٤١، النشر ج ٢ ص ٢٩٠، البدور الزاهرة ص ١٥٧.

(١٤٧) انظر: المبسوط ص ٢٤١، النشر ج ٢ ص ٢٩٠، البدور الزاهرة ص ١٥٧.

السَّراة وهي أرض واسعة، وسَّراة كلُّ شيء أعلاه ومنه سراة النهار أي ارتفاعه^(١٤٨).

٢ - ﴿أَمْرَأَتُهُ﴾: (امراة): تأنيث امرئ، والامرؤ هو الرجل، والمرؤة كمال الرجولة^(١٤٩). «وللعرب في المرأة ثلاث لغات، يقال: هي امرأته، وهي مَرَأَتُهُ، وهي مَرْتُهُ»^(١٥٠).

التفسير:

أخبرت الملائكة لوطاً عليه السلام بأنهم رسل من الله ﷻ أرسلوا لإهلاك القوم الكافرين، وأن هؤلاء الكافرين لن يصلوا إليه وإلى ضيفه بمكروه، وأبلغوه بأمر الله تعالى إليه أن يخرج من بين أظهرهم هو وأهله ببقية من الليل، ولا يلتفت منهم أحد، فستكون لهم النجاة، وسيكون الهلاك للقوم الكافرين ومن بينهم امرأة لوط عليه السلام، والتي سيصيبها ما أصاب قومها؛ لأن هواها معهم. وأخبرت الملائكة لوطاً عليه السلام بأن الصبح هو موعد نزول العذاب بقومه، فكان لوطاً عليه السلام استبطاً ذلك، فقالوا: ﴿الَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾؟^(١٥١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الطبري: «واختلفت القراءة في قراءة قوله: ﴿فَأَسْر﴾ فقرأ ذلك عامة قراء المكيين والمدنيين ﴿فأسر﴾ وُضِلَ بغير همز الألف، من سرى. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة ﴿فأسر﴾ بهمز الألف، من أسرى، والقول عندي في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أهل قدوة في القراءة، وهما لغتان مشهورتان في العرب، معناهما واحد»^(١٥٢).

(١٤٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٣١.

(١٤٩) انظر: معجم مقاييس اللغة ج ٥ ص ٣١٥، لسان العرب ج ٦ ص ٤١٦٦.

(١٥٠) لسان العرب ج ٦ ص ٤١٦٦.

(١٥١) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ٨٩، تفسير السعدي ص ٤٠٧.

(١٥٢) تفسير الطبري ج ١٢ ص ٨٩.

قلت: المتأمل لكلتا القراءتين يجد أن كل قراءة تلقي بظلالها على المعاني، فالقراءة ﴿فأسر﴾، بقلة حروفها توحى بسرعة حدوث الفعل، أما القراءة ﴿فأسر﴾، بزيادة مبناها على سابقتها، وبالهمز فيها، وما في الهمز من شدة وجهر، توحى بالاجتهاد وبذل الطاقة في سبيل تحقيق الأمر. والله تعالى أعلم.

﴿إلا امرأتك﴾: اختلف العلماء في توجيه القراءتين في قوله تعالى: ﴿إلا امرأتك﴾، وذكروا أقوالاً شتى، أذكر منها:

١ - أن ﴿إلا امرأتك﴾ بالنصب اعتباراً بأنه مستثنى من ﴿أهلك﴾ فهو استثناء من موجب، فحقه النصب، والمعنى: لا تشر بها، أي: لا يعلمها بخروجه لأنها كانت مخلصه لقومها فتخبرهم عن زوجها. والقراءة ﴿إلا امرأتك﴾ بالرفع، على أنه استثناء من ﴿أهلك﴾ الواقع في سياق النهي، وهو في معنى النفي. والمعنى أنه نهاهم عن الالتفات فامتلوا ولم تمثل امرأته للنهي فالتفتت^(١٥٣). فاختلف القراءتين على هذا التأويل نبه على اختصار، «فكانه قيل: فأسر بأهلك إلا امرأتك، على أن استثناءها من المسرى بهم، ثم كأنه سبحانه قال: فإن خرجت معكم وتبعتم من غير أن تكون أنت سرية بها، فإنه أهلك عن الالتفات غيرهما، فإنها ستهلك ويصيبها ما يصيب قومها. فكانت قراءة النصب دالة على ذلك المعنى المتقدم، وقراءة الرفع دالة على هذا المعنى المتأخر، ومجموعهما دال على جملة المعنى المشروح»^(١٥٤).

٢ - أن الاستثناء على القراءتين منقطع^(١٥٥)، ولم يقصد به إخراجها

(١٥٣) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ٨٩، معاني القرآن وإعراجه للزجاج ج ٣ ص ٧٠، حجة القراءات ص ٣٤٧ - ٣٤٨، الكشف ج ١ ص ٥٣٦، مفاتيح الأغاني ص ٢١٦، التسهيل ج ٢ ص ١١٠، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٦٨، منار الهدى ص ١٣٩.

(١٥٤) إبراز المعاني ص ٥٢١ - باختصار وتصرف يسير.

(١٥٥) لمزيد بيان ينبغي التعريف بالاستثناء المتصل والمنقطع:

«الاستثناء المتصل: هو إخراج بعض الشيء من كُله، أو الحكم على جنس ما حكم =

من المأمور بالإسراء بهم، ولا من المنهين عن الالتفات، ولكن استؤنف الإخبار عنها بمعنى: لكن امرأتك يجري لها كيت وكيت. والقراءتان واردتان على ما تقتضيه العربية في الاستثناء المنقطع، ففيه لغتان، النصب والرفع، والنصب لغة أهل الحجاز، والرفع لبني تميم^(١٥٦). قال الألوسي: «وبالجملة، القول بالانقطاع أقل تكلفاً فيما يظهر والقول بأنه حينئذ لا يبقى ارتباط لقوله سبحانه ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ ناشيء عن عدم الالتفات، فلا ينبغي أن يلتفت إليه»^(١٥٧). وهذا ما ترجمه الباحثة. والقراءتان معاً تؤكدان ما سيصيب امرأة لوط عليه السلام من العذاب. والله تعالى أعلم.

٢٠ - ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفَوِرْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرْبُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحْطِ بِهِ﴾ [هود: ٨٤].

القراءات:

- ١ - قرأ الكسائي وأبو جعفر ﴿غَيْرُهُ﴾ بخفض الراء وكسر الهاء.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿غَيْرُهُ﴾ برفع الراء وضم الهاء^(١٥٨).

= به أولاً بنقيض ما حكم به أولاً. فإذا لم يتحقق أحد هذين الشرطين، كان الاستثناء منقطعاً. وبذلك يكون الاستثناء المنقطع هو الحكم على جنس ما حكم به أولاً، أو بغير نقيض ما حكم به أولاً. فإذا كان المستثنى من جنس المستثنى منه، وحكم عليه بنقيض ما حكم على المستثنى منه، كان الاستثناء متصلاً، وإلا كان الاستثناء منقطعاً، أي أن المنقطع يتحقق بأحد شرطين:

١. أن لا يكون المستثنى من جنس المستثنى منه.
 ٢. أن لا يحكم عليه بنقيض ما حكم على المستثنى منه.
- كما يكون الاستثناء منقطعاً إن أريد باللفظ العام بعض أنواعه، ثم استثنى النوع الآخر، وإن كان الجنس واحداً. (معجم حروف المعاني في القرآن الكريم ج ١ ص ٣٣٦، بتصرف يسير، وانظر: دراسات لأسلوب القرآن ق ١ ج ١ ص ١٣٦)

(١٥٦) انظر: إبراز المعاني ص ٥٢٠.

(١٥٧) روح المعاني ج ١٢ ص ١١٢.

(١٥٨) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٧٠، البدور الزاهرة ص ١٥٥.

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَوْرُ عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠] (١٥٩).

٢١ - ﴿قَالُوا يَسْخَعِبُ أَصْلَؤُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

القراءات:

١ - قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿أَصْلَؤُكَ﴾ بالإفراد.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَصْلَوَاتُكَ﴾ بالجمع (١٦٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

(الصلاة): الدعاء والتبريك والتمجيد، يقال صَلَّيتَ عليه، أي دعوت له وزكيت، قال ﷺ: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيَصِلْ» (١٦١). أي لِيَدْعُ لأهله. والصلاة التي هي العبادة المخصوصة أصلها الدعاء وَسُمِّيَتْ هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمنه، والصلاة من العبادات التي لم تنفك شريعة منها وإن اختلفت صورها من شريعة لأخرى (١٦٢).

التفسير:

لَمَّا أَمَرَ شَعِيبٌ ﷺ قومه بعبادة الله تعالى وترك عبادة الأوثان، وبإيفاء الكيل والميزان ردوا عليه قائلين: أصلاتك تدعوك لأن تأمرنا بترك عبادة الأصنام التي عبدها آبائنا؟، وتأمرنا بأن نترك التطفيف في الكيل والميزان؟، إنك لأنت العاقل المتصف بالحلم والرشد. قالوا ذلك له استهزاء

(١٥٩) انظر: ص ٤٤ من هذا البحث.

(١٦٠) انظر: المبسوط ص ٢٤١، النشر ج ٢ ص ٢٩٠، البدور الزاهرة ص ١٥٨.

(١٦١) أخرجه مسلم: كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى الدعوة ح (٣٤١٠) ص ٦٧٣.

(١٦٢) المفردات في غريب القرآن ص ٢٨٥ - باختصار.

به، حيث أرادوا بذلك وصفه بضديهما^(١٦٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

حجة من قرأ ﴿أصلواتك﴾ على الأفراد، أن (الصلاة) بمعنى الدعاء، والدعاء صنف واحد، وهي مصدر، وتحمل من معنى الجمع وكثرة العدد ما ليس في قراءة الجمع، إذ إن المصدر يقع للقليل والكثير بلفظه من غير تحديد، أما (الصلوات) فهي جمع لما بين الثلاث إلى العشر من العدد دون ما هو أكثر من ذلك^(١٦٤). «وحجة من قرأ ﴿أصلواتك﴾ على الجمع أنه قدّر أن الدعاء تختلف أجناسه وأنواعه، فجمع المصدر لذلك^(١٦٥)، والقراءة بالجمع تحمل أيضاً معنى ترداد الدعاء ومعاودته^(١٦٦).

فالقراءتان بمجموعهما أفادتَا كثرة الدعاء، وكثرة ترداده، واختلاف أجناسه وأنواعه. والله تعالى أعلم.

٢٢ - ﴿وَيَنْقُورُ أَعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَانَتَكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَقْلُمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿١٦٦﴾﴾ [هود: ٩٣].

القراءات:

- ١ - قرأ شعبة ﴿مكاناتكم﴾ بألف بعد النون على الجمع.
- ٢ - قرأ الباقر ﴿مَكَانَتَكُمْ﴾ بغير ألف بعد النون على الأفراد^(١٦٧).

(١٦٣) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٠٣، تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٥٩، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٧١، التسهيل ج ٢ ص ١١٠، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٢٩، التحليل اللغوي ص ١١٤.

(١٦٤) انظر: تفسير الطبري ج ١١ ص ١٨.

(١٦٥) الكشف ج ١ ص ٥٠٦ - باختصار، وانظر: المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٢٥٧.

(١٦٦) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ١٧٧.

(١٦٧) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٠، البدور الزاهرة ص ١٥٨.

المعنى اللغوي للقراءات:

(مكن): المكان هو الموضع الحاوي للشيء، ويقال مكان ومكانة^(١٦٨).

«والمكانة هنا مستعارة للحالة التي تلبس بها المرء، تشبّه الحالة في إحاطتها وتلبس صاحبها بها بالمكان الذي يحوي الشيء، أو تكون المكانة كناية عن الحالة لأن أحوال المرء تظهر في مكانه ومقره^(١٦٩)».

التفسير:

لَمَّا يَثُسْ نَبِيَّ اللَّهِ شَعِيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ اسْتِجَابَةِ قَوْمِهِ لَهُ قَالَ: يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى طَرِيقَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ عَلَى طَرِيقَتِي، كَأَنَّهُ يَقُولُ: اثْبُتُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعَدَاوَةِ، فَأَنَا ثَابِتٌ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمَصَابِرَةِ - وَهَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ -، سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنَ الَّذِي يَأْتِيهِ عَذَابٌ يَذْلُهُ وَيُهِينُهُ، وَتَعْلَمُونَ مِنْ هُوَ الْكَاذِبُ فِي قِيلِهِ وَخَبَرِهِ مِنَّا وَمِنْكُمْ، وَانْتَظَرُوا عَاقِبَةَ أَمْرِكُمْ إِنِّي مُنْتَظَرٌ مَعَكُمْ^(١٧٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿مَكَاتِكُمْ﴾ - بغير ألف - على الأفراد لأن (مكانة) مصدر، والمصدر يدل على القليل والكثير من صنفه، من غير جمع ولا تشنية، والأصل في المصدر ألا يُثنى ولا يجمع لأن فائدته فائدة الفعل، إذ الفعل منه أخذ، فكما لا يجمع الفعل كذلك لا يجمع المصدر، إلا أن تختلف أنواعه، فيشابه المفعول، فيجوز جمعه^(١٧١). والقراءة ﴿مَكَانَاتِكُمْ﴾ - بألف - بعد النون - على الجمع فيها ليطابق المضاف إليه - وهو ضمير الجماعة -،

(١٦٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٤٧١.

(١٦٩) التحرير والتنوير ج ٨ ص ٩٠، ٩١. باختصار.

(١٧٠) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٠٨، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٧٤، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٣٠.

(١٧١) انظر: الكشف ج ١ ص ٤٥٢، ٤٥٣، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ١٠٣.

فقابل جمع المخاطبين من الكفار بجمع المصدر فلكل كافر لون من الكيد للدعوة يحبطه الله ﷻ، كما أنَّ فيه إشارة إلى أنواع مختلفة تندرج تحت جنس التمكن المسند إلى الكفار مجتمعين، إذ يتأتى منهم أحوال مختلفة من صد عن سبيل الله، وافتراء وتكذيب وتعذيب إلى غير ذلك، والمعنى: اعملوا على جميع أحوالكم التي أنتم عليها فليس يضرنا ذلك، وفي الكلام معنى التهديد والوعيد بمنزلة قوله تعالى ﴿كُلُوا وَتَمَنَعُوا فَلْيَا﴾ [المرسلات: ٤٦] (١٧٢).

مما سبق يتبين أنَّ القراءة بالإفراد تشمل الواحد والجمع، لأن المصدر يدل على الكثير والقليل من صنفه، فهي تشمل في معناها القراءة الأخرى «لأن الواحد ينوب عن الجمع» (١٧٣)، كما أنها تفيد اجتماعهم على الكفر والتكذيب ووقوفهم كرجل واحد في محاربة الحق. أما القراءة على الجمع فإنها تفيد ضلوع كل واحد منهم في الضلال والتكذيب على أحوال مختلفة، حيث جعل لكل واحد منهم (مكانة) أي حالة من الكفر والتكذيب، وهذا يوحي بشدة تكذيبهم وضلالهم، وتنوع أساليبهم في الصد عن سبيل الله. والله تعالى أعلم.

٢٣ - ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُودُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ يُجْذَوْفُ﴾ [هود: ١٠٨].

القراءات:

١ - قرأ حفص وحزمة والكسائي وخلف ﴿سُودُوا﴾ بضم السين.

٢ - قرأ الباقر ﴿سَعِدُوا﴾ بفتح السين (١٧٤).

(١٧٢) انظر: الكشف ج ١ ص ٤٥٢، طلائع البشر ص ٩١، التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة عاصم ص ١٧١، ١٧٢.

(١٧٣) حجة القراءات ص ٢٧٢.

(١٧٤) انظر: غاية الاختصار ص ٥٢٣، النشر ج ٢ ص ٢٩٠، البدور الزاهرة ص ١٥٩.

المعنى اللغوي للقراءات:

سعد: السَّعد والسَّعادة معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير وزيادته الشقاوة، يقال سَعِدَ وأسعده الله، ورجل سعيد وقوم سعداء، وأعظم السعادات الجنة لذلك قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَنِي الْجَنَّةِ﴾ (١٧٥).

التفسير:

يبين الله تعالى حال الذين سعدوا برحمته جلَّ شأنه، وهم أتباع الرسل - اللهم اجعلنا منهم - فيقول تعالى: وأما السعداء الأبرار فمأواهم الجنة ماكثين فيها أبداً، ما دامت السماوات والأرض، أو ما دامت سموات الجنة وأرض الجنة، بحسب مشيئته تعالى، وقد شاء تعالى لهم الخلود والدوام، عطاءً من الله ﷻ غير مقطوع عنهم، بل هو ممتد إلى غير نهاية (١٧٦).

قال ابن كثير: «ومعنى الاستثناء هنا أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم ليس أمراً واجباً بذاته، بل هو موكول إلى مشيئة الله تعالى فله المنة عليهم دائماً، ولهذا يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس. وقيل: هي في حق عصاة الموحدين الذين كانوا في النار ثم أخرجوا منها» (١٧٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الحجة لمن قرأ ﴿سَعِدُوا﴾ بفتح السين: أنه بنى الفعل لهم فرفعهم به. والحجة لمن قرأ ﴿سُعِدُوا﴾ بضم السين: أنه بنى الفعل لما لم يسم فاعله، وذلك أنَّ (سَعِدَ) يصلح أن يتعدى إلى مفعول، وألاً يتعدى، كقولك سَعِدَ زيد وسَعَدَهُ الله (١٧٨). وقيل هما لغتان بمعنى. «قال الكسائي: سَعِدَ الرجل

(١٧٥) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٣٢.

(١٧٦) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٢٠، ١٢١، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٧٧، صفوة التفسير ج ٢ ص ٣٥.

(١٧٧) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٧٧، ٦٧٨ - باختصار وتصرف يسير، وانظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٢٠.

(١٧٨) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ١٩٠، حجة القراءات ص ٣٤٩.

وأُسعد لغتان» (١٧٩).

والحقيقة أن هناك ثمت معاني تضيفها كل قراءة، حيث إن القراءة ﴿سَعِدُوا﴾ بفتح السين - والتي أسند فيها الفعل لأهل السعادة، فرفعهم به - توحى بأنهم استأهلوا هذه السعادة بما عملوا، وأما القراءة ﴿سُعدُوا﴾ بضم السين، ببناء الفعل لما لم يسم فاعله، فإنها تلفت نظر المؤمنين إلى قضية مهمة، وهي أن الأمر كله لله، وما كان لأهل السعادة أن يتحقق لهم ذلك حتى أسعدهم الله تعالى فسُعدوا. والله تعالى أعلم.

قال الألوسي: «وما ألطف الإشارة في (شقوا وسُعدوا) على قراءة البناء للفاعل في الأول والبناء للمفعول في الثاني فمن وجد ذلك فليحمد الله تعالى ومن لم يجد فلا يلومن إلا نفسه» (١٨٠).

٢٤ - ﴿وَإِنَّ كَلَّا لَمَّا يُتَوَفَّيْتُهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلْتُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١١١﴾

[هود: ١١١].

القراءات:

- ١ - قرأ نافع وابن كثير ﴿وَإِنْ﴾ بنون مخففة، و﴿لَمَّا﴾ بميم مخففة.
- ٢ - قرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب وخلف ﴿وَإِنْ﴾ بنون مشددة، و﴿لَمَّا﴾ بميم مخففة.
- ٣ - قرأ شعبة ﴿وَإِنْ﴾ بنون مخففة، و﴿لَمَّا﴾ بميم مشددة.
- ٤ - قرأ الباقون ﴿وَإِنْ﴾ بنون مشددة، و﴿لَمَّا﴾ بميم مشددة (١٨١).

(١٧٩) مفاتيح الأغاني ص ٢١٦، وانظر: حجة القراءات ص ٣٤٩، الكشف ج ١ ص ٥٣٦.
(١٨٠) روح المعاني ج ١٢ ص ١٤٦. ولعل المفسر - رحمه الله - أراد الإشارة إلى أن الله تعالى نسب الشقاوة لأصحابها حيث أنهم أشقوا أنفسهم بأيديهم بابتعادهم عن الصراط المستقيم. وأما السعادة فنسبت لله فهو بفضلله ومنته ينعم على من يشاء من عباده فيوفقه للخير ويجعله من السعداء. والله أعلم.

(١٨١) انظر: غاية الاختصار ص ٥٢٣، ٥٢٤، النشر ج ٢ ص ٢٩١.

التفسير:

كل هؤلاء الذين قصصنا عليك يا محمد ﷺ في هذه السورة، والله ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم، لا يظلم منهم أحداً، وكلهم سوف يلاقون جزاء أعمالهم لا يفلت منهم أحد، إن الله عليم بأعمالهم جميعها، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها^(١٨٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ - وجه القراءة ﴿وإن﴾ بالتخفيف: أنها المخففة من (إن) الثقيلة، وأُعملت في اسمها فانتصب بعدها. و(إن) المخففة إذا وقعت بعدها جملة اسمية يكثر إعمالها، ويكثر إهمالها^(١٨٣). قال سيويه: «وحدثنا من نثق به، أنه سمع من العرب من يقول: إن عمراً لمنطلق. وأهل المدينة يقرؤون: ﴿وإن كُلاً﴾ يخففون وينصبون، وذلك لأن الحرف بمنزلة الفعل، فلما حذف من نفسه شيء لم يغير عمله كما لم يغير عمل (لم يك). وأما أكثرهم فأدخلوها في حروف الابتداء حين حذفوا كما أدخلوها في حروف الابتداء حين ضَمُّوا إليها ما»^(١٨٤).

والقراءة ﴿وإن﴾ بالتشديد على الأصل^(١٨٥).

٢ - وجه قراءة ﴿لَمَّا﴾ مخففة: أنَّ اللام الداخلة على (ما) لام الابتداء، واللام الثانية الداخلة على ﴿لَيُؤْفِقْنَهُمْ﴾ لام جواب القسم. و(ما) مزيدة للتأكيد، والفصل بين اللامين دفعاً لكراهة توالي مثلين. والمعنى: (وإنَّ

(١٨٢) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٢٦، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٧٩، التسهيل ج ٢ ص ١٢٢، التحرير والتنوير ج ١٢ ص ١٧٤، التفسير الواضح ج ١٢ ص ٥٣، ٥٤.

(١٨٣) انظر: تفسير ابن عطية ج ٣ ص ٢١٠، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٤٧٢، التحرير والتنوير ج ١٢ ص ١٧٣.

(١٨٤) الكتاب ج ٢ ص ١٤٠ - باختصار، وانظر: المفضل شرح المفضل ص ١٧٤.

(١٨٥) انظر: الكشف ج ٢ ص ٢٩٥، تفسير ابن عطية ج ٣ ص ٢١٠، التحرير والتنوير ج ١٢ ص ١٧٣.

جميعهم والله ليوفينهم ربك أعمالهم^(١٨٦).

وقراءة ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد على أن أصله (لَمِنْ ما) فقلبت النون ميما للإدغام، فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت أولاهن، و(مِنْ) هنا هي الجارة التي تستعمل في معنى كثرة تكرار الفعل كالتي في الحديث عن ابن عباس قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ... فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَمَاجِلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ [القيامة: ١٦، ١٧]»^(١٨٧)، ولام ﴿لِيُوفِيَهُمْ﴾ لام القسم. والمعنى: (لَمِنْ الذين يوفينهم ربك جزاء أعمالهم)^(١٨٨)، ومعنى الكثرة في هذه الآية الكناية عن عدم إفلات فريق من المختلفين في الكتاب من إلحاق الجزاء عن عمله به^(١٨٩).

وبالجمع بين القراءات في الآية يصبح المعنى:

والله ليوفينهم الله ﷻ أعمالهم، فإن ذلك محقق لا محالة، كما أن جميعهم بلا استثناء سيلقون جزاء أعمالهم لا يفلت منهم أحد.

واختلاف الأسلوب في التعبير عن المعنى مرة باستخدام (إن) المخففة - مع إعمالها - ومرة باستخدام (إن) المثقلة وکلتاهما مع (لَمَّا) مخففة أو مثقلة، ناسب موعدة الله تعالى بأنه سيحاسب هؤلاء المذكورين على جميع أعمالهم، جليلها - ناسبه تشديد النون - وحقيرها - ناسبه تخفيف النون - . والله تعالى أعلى وأعلم.

٢٥ - ﴿وَأَقْرِضْ مَلَكُوتَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتٍ ذَلِكَ ذِكْرُكَ لِلذَّاكِرِينَ﴾ (١٤) [هود: ١١٤].

(١٨٦) انظر: الكتاب ج ٢ ص ١٣٩، الكشف ج ٢ ص ٢٩٥، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٤٧٢، إبراز المعاني ص ٥٢٢.

(١٨٧) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ ح (٧٥٢٤) ص ١٤٣٦، ١٤٣٧.

(١٨٨) انظر: التحرير والتنوير ج ١٢ ص ١٧٣.

(١٨٩) انظر: الكشف ج ١ ص ٥٣٧، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٤٧٢، التحرير والتنوير ج ١٢ ص ١٧٤.

القراءات:

- ١ - قرأ أبو جعفر ﴿وَزُلْفًا﴾ بضم اللام.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿وَزُلْفًا﴾ بفتح اللام^(١٩٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ أي: ساعات من الليل؛ وهي ساعاته القريبة من آخر النهار، من أزلفته إذا قُرِبَتْه وأذْنِيَتْه^(١٩١).

قال ابن فارس: «زلف: الزاء واللام والفاء يدل على اندفاع وتقدم في قرب إلى شيء، يقال من ذلك ازدلف الرجل تقدم، وسميت مُزْدِلْفَةً بمكة، لاقترب الناس إلى منى بعد الإفاضة من عرفات، ويقال: لفلان عند فلان زلفى، أي قربى، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لُزْلَفًا﴾ [ص: ٤٠]، والزلف والزلفة: الدرجة والمنزلة، وأزلفت الرجل إلى كذا: أذْنِيَتْه^(١٩٢).

التفسير:

يقول تعالى ذكره: أَدْ الصَّلَاةَ كاملة مقومة تامة الأركان مستوفية الشروط والهيئات، غدوة وعشية، ﴿وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ أي وساعات من الليل جمع (زلفة) وهي ساعاته القريبة من آخر النهار - صلاة الغدوة الفجر، وصلاة العشية الظهر والعصر؛ لأن ما بعد الزوال عشي، وصلاة الزلف المغرب والعشاء^(١٩٣) - ، إِنَّ فَعَلَ الْخَيْرَاتِ يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ السَّالِفَةَ^(١٩٤). جاء في الحديث عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنَّهُ تَوَضَّأَ كَوْضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى

(١٩٠) انظر النشر ج ٢ ص ٢٩١، ٢٩٢، البدور الزاهرة ص ١٥٩.

(١٩١) انظر: الكشاف ج ٢ ص ٢٩٦.

(١٩٢) معجم مقاييس اللغة ج ٣ ص ٢١.

(١٩٣) انظر: تفسير النسفي ج ٢ ص ٥٠٥، التفسير الواضح ج ١٢ ص ٥٦.

(١٩٤) انظر: تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٨٠.

ركعتين لا يُحَدَّثُ فِيهِمَا نَفْسُهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١٩٥).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَاةُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ» (١٩٦).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَأَنْزِلَتْ عَلَيْهِ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتٍ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ سورة الزمر: ١٨ قَالَ الرَّجُلُ أَلَيْ هَذِهِ؟ قَالَ: لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي» (١٩٧).

﴿ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ أي ذلك المذكور من الأمر بالاستقامة والمحافظة على الصلاة أو ذلك القرآن عظة للمتعظين، وإرشاد للمسترشدين (١٩٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿زُلْفًا﴾ بضم اللام، جمع ﴿زُلْفَةٍ﴾ بضم اللام، و﴿زُلْفًا﴾ بفتح اللام، جمع ﴿زُلْفَةٍ﴾ بسكون اللام (١٩٩)، وهما على لغتين من لغات العرب (٢٠٠).

قال عبده الراجحي: «الفتح أخف الصوائت القصيرة في العربية، والضم أثقلها، وتدلنا القراءات على أَنَّ هناك لهجات تستعمل الفتح حيث تستعمل الضم لهجات أخرى. أمَّا لهجات القبائل في هذه الظاهرة فإنهم

(١٩٥) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله، ح (٤٢٧) ص ١٣٥.

(١٩٦) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، ح (٤٤٠) ص ١٣٨.

(١٩٧) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾، ح (٤٦٨٧) ص ٨٩٧.

(١٩٨) انظر: تفسير النسفي ج ٢ ص ٥٠٥، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٣٦.

(١٩٩) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص ٣٢٦، طلائع البشر ص ١٢٣، الهادي ج ٢ ص ٣١٩.

(٢٠٠) النشر ج ٢ ص ٢٩٢.

ينسبون الفتح إلى أهل الحجاز، وينسبون الضم إلى أهل البادية من العالية ونجد وتميم وأسد، والفتحة ثلاثم البيئة الحضرية لما فيها من خفة بينما تناسب الضمة أهل البادية لثقلها. لكنهم ينسبون الضم في (ميسرة) إلى أهل نجد، وقد وردت عليه كلمات أخرى نحو مقبرة ومشربة، فلعل ذلك - شأن الظواهر الأخرى - انتقال لهجة إلى لهجة أخرى»^(٢٠١).

وهذا اللون من اختلاف الصيغة والذي يرجع إلى أصوات الحركات، يؤدي إلى اختلاف في المسموع. ويغير في توالي أصوات العبارة في سياق الكلام ونطقه، ولا يخفى أثر ذلك على السامع^(٢٠٢).

وعليه فإنّ القراءتين جاءتا على لغتين من لغات العرب. وقد ناسب الفتح وما به من خفة سرعة انقضاء الأوقات، وناسب الضم وما به من ثقل، أمانة التكليف بالمحافظة على الصلوات، كما أنّ اختلاف القراءة أدى إلى اختلاف في المسموع، وغيّر في توالي أصوات العبارة في سياق الكلام ونطقه، فجعل لكل قراءة تأثيراً خاصاً في أذن السامع. والله تعالى أعلم.

٢٦ - ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتَهَوَّتْ عَنِ السَّادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦].

القراءات:

١ - قرأ ابن جماز ﴿بَقِيَّةَ﴾ بكسر الباء وإسكان القاف وتخفيف الياء^(٢٠٣).

٢ - قرأ الباقون ﴿بَقِيَّةَ﴾ بفتح الباء وكسر القاف وتشديد الياء^(٢٠٤).

(٢٠١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٢٠، ١٢٢ - باختصار وتصرف يسير.

(٢٠٢) انظر: وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن ص ٧٠.

(٢٠٣) قال ابن الجوزي: «وقد ترجمها أبو حيان بضم الباء فوهم» (النشر ج ٢ ص ٢٩٢)، قلت: وقد نقلها عدد من المفسرين عن أبي حيان ونسبوا إلى أبي جعفر.

(٢٠٤) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٢، إتحاف فضلاء البشر ص ٣٢٧، البدور الزاهرة ص ١٥٩.

المعنى اللغوي للقراءات:

(بقي): البقاء ثبات الشيء على حاله الأولى وهو يضاد الفناء، وقد بقي بقاءً، وقبل بقي في الماضي مَوْضِعَ بَقِيٍّ، وفي الحديث: «بَقَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فِي صَلَاةِ الْعَتَمَةِ»^(٢٠٥). أي انتظرناه وترصدنا له مدة كثيرة، وقوله تعالى: ﴿أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ معناه أولو تمييز وفهم، أو أولو طاعة، وفُسر بأنه من الإبقاء كأنه أراد فلولا كان من القرون قوم أولو إبقاء على أنفسهم لتمسكهم بالدين المرضي^(٢٠٦).

قال الفيروزآبادي: «بَقِيَ يَبْقَى بقاءً، وَبَقِيَ بَقِيًّا: ضد فَنِيَ، وأبقاه وبقاه واستبقاه، والاسم: الْبَقْوَى، وَيُضْم، والْبُقْيَا بالضم، والْبَقِيَّةُ، وقد توضع الباقية موضع المصدر»^(٢٠٧).

التفسير:

يقول تعالى: كان من الواجب أن يكون من الأمم الماضية قبلكم جماعة أولو عقل وفضل وعلم بالشريعة، لهم كلمة مسموعة، ينهون أقوامهم عن الكفر والمعاصي، لكنّ الذي حدث أنه كان في تلك الأمم قليل من المؤمنين، ولم يُسمع لهم من أقوامهم رأي، وقد كانت النجاة لهؤلاء المؤمنين، وكان الهلاك والدمار للمعاندين الذين أصروا على ما تعودوه من قبل من حياة الترف والفساد، ولم يبنغوا به بدلاً، ﴿وَكَاُنُوا مُجْرِمِينَ﴾ أي: ظالمين باتباعهم ما أترفوا فيه، فلذلك حق عليهم العذاب^(٢٠٨).

(٢٠٥) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب في وقت العشاء الآخرة، ح(٤٢١) ج١ص(١٧٣) وهو ضمن حديث طويل، والحديث صححه الألباني.

(٢٠٦) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٥٧، عون المعبود ج٢ص٧٠، القاموس المحيط ص١٦٣١، لسان العرب ج١ص٣٣٠.

(٢٠٧) القاموس المحيط ص١٦٣١.

(٢٠٨) انظر: التحرير والتنوير ج١٢ص١٨٢، الأساس في التفسير ج٥ص٢٦٠٩، صفوة التفاسير ج٢ص٢٦، تفسير السعدي ص٣٦٩.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان على لغتين من لغات العرب^(٢٠٩). وقراءة ابن جماز أجريت مجرى الهيئة لما فيها من تخيل السمات والوقار. قال ابن عاشور: «وقرأ ابن جماز عن أبي جعفر ﴿بِقِيَّة﴾ بكسر الباء الموحدة وسكون القاف وتخفيف التحتية، فهي لغة، ولم يذكرها أصحاب كتب اللغة، ولعلها أجريت مجرى الهيئة؛ لما فيها من تخيل السمات والوقار»^(٢١٠). والله أعلم.

٢٧ - ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ [هود: ١٢١].

القراءات:

١ - قرأ شعبة ﴿مَكَانَاتِكُمْ﴾ بألف بعد النون على الجمع.

٢ - قرأ الباقر ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ بغير ألف بعد النون على الأفراد^(٢١١).

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: ٩٣]^(٢١٢).

٢٨ - ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

القراءات:

١ - قرأ نافع وحفص ﴿يُرْجَعُ﴾ بضم الياء وفتح الجيم.

٢ - قرأ الباقر ﴿يَرْجَعُ﴾ بفتح الياء وكسر الجيم^(٢١٣).

(٢٠٩) انظر: فلاند الفكر ص ٦٣، طلائع البشر ص ١٢٣.

(٢١٠) التحرير والتنوير ج ١٢ ص ١٨٤.

(٢١١) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٠، البدور الزاهرة ص ١٥٨.

(٢١٢) انظر ص ٦١ من هذا البحث.

(٢١٣) انظر: المبسوط ص ٢٤٢، والنشر ج ٢ ص ٢٠٨، ٢٠٩، البدور الزاهرة ص ١٥٤.

٣ - قرأ نافع وابن عامر وحفص وأبو جعفر ويعقوب ﴿تَمَلُّونَ﴾ بتاء الخطاب.

٤ - قرأ الباقون ﴿يَمَلُّونَ﴾ بياء الغيبة^(٢١٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿يَرْجِعُ﴾: سبق بيانه^(٢١٥).

٢ - ﴿تَمَلُّونَ﴾: سبق بيانه^(٢١٦).

التفسير:

يخبر الله تعالى أنه عالم غيب السماوات والأرض وأنه إليه المرجع والمآب، وسيؤتي كل عامل عمله يوم الحساب، فلهذا الخلق والأمر، فاعبد ربك يا محمد - ﷺ - وفوض أمرك إليه، وثق به وبكفايته، فإنه كاف من توكل عليه وأناب إليه، وليس يخفى عليه ما عمله أيها النبي - ﷺ - والمؤمنون من إخلاص العبادة والتوكل والصبر على أذى المشركين، فهو يوفيكم أجوركم في الدنيا والآخرة، كما لا يخفى عليه ما يعمل مذبوك يا محمد - ﷺ - من الكفر والكيد لكم، بل هو عليهم بأحوالهم وأقوالهم وسيجزئهم على ذلك أتم الجزاء في الدنيا والآخرة^(٢١٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ - قوله تعالى: ﴿وَالَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ﴾:

﴿يَرْجِعُ﴾ من الفعل رجع اللازم و﴿الْأَمْرُ﴾ فاعل، والمعنى: يَرْجِعُ الأمر إلى الله، أما ﴿يَرْجِعُ﴾ فهو على ما لم يسم فاعله، وهو متعد على

(٢١٤) انظر النشر ج ٢ ص ٢٦٢، ٢٦٣، البدور الزاهرة ص ١٥٤.

(٢١٥) انظر ص ٣٣ من هذا البحث.

(٢١٦) انظر ص ٤٠ من هذا البحث.

(٢١٧) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٤٨، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٤٧٤، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٧٧، التحرير والتنوير ج ١٢ ص ١٩٤، ١٩٥.

هذا الوجه ولولا ذلك لما بني لما لم يسم فاعله. والعرب تقول: رجعتُ فرجع، لفظ اللازم والمتعدي سواءً كقولك: نقصته فنقص، والمعنى: يُرجع كل ذي أمر أمره إلى الله^(٢١٨)، والمعنيان يتداخلان، وذلك أن الله هو الذي يُرجع الأمر، فإذا رجعه رجع، فالأمر مرجوع وراجع^(٢١٩).

قال مكي: «وحجة من ضم أنه حمل الفعل على ما لم يسم فاعله، فأقام الأمر مقام الفاعل، كما قال: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٦٢]، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [فصلت: ٧]، وحجة من فتح أنه أضاف الفعل إلى ﴿الْأَمْرِ﴾ فرفعه بفعله كما قال: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الأنفطار: ١٩]»^(٢٢٠).

مما سبق يتبين أن القراءتين معاً تؤكدان أن مآل الأمور إلى الله، وتبديرها وتصريفها بيده لا بيد أحد غيره. فالقراءة بالبناء للمفعول تخبر أن الله تعالى يُرجع الأمور إليه - هذا على معنى - وعلى معنى آخر تصور هيئة عجز الناس عن التصرف في الأمور بحسب رغباتهم بهيئة من تناول شيئاً للتصرف فيه ثم عجز عن هذا التصرف فأرجعه إلى من هو حريّ بالتصرف به. والقراءة بالبناء للفاعل تمثيل لهيئة خضوع الأمور إلى تصرف الله، دون تصرف المحاولين التصرف فيها، بهيئة المتجول الباحث عن مكان يستقر به، ثم إيوائه إلى المقر اللائق به، ورجوعه إليه^(٢٢١). وعلى كل الأحوال فمرجع الأمور إلى الله ﷻ. والله تعالى أعلم.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

حجة من قرأ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء أنه جعله على الخطاب للنبي ﷺ وأصحابه، فردّه على ما قبله من الخطاب في قوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

(٢١٨) انظر: معاني القراءات ص ٧٤، ٧٥، إملاء ما من به الرحمن ج ١ ص ١١٨، التحرير والتنوير ج ١٢ ص ١٩٤.

(٢١٩) انظر: حجة القراءات ص ١٣١.

(٢٢٠) الكشف ج ١ ص ٥٢٨.

(٢٢١) انظر: التحرير والتنوير ج ١٢ ص ١٩٥.

وهو أمر للنبي ﷺ والمراد به هو وأمته^(٢٢٢)، وهي على هذا وعد للمؤمنين بحسن الجزاء، ويجوز أن يكون الخطاب للمؤمنين والكافرين والمعنى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ جميعاً: ما تعمله أنت أيها النبي والمؤمنون من عبادته والتوكل عليه، والصبر على أذى المشركين، فهو يوفيكُم جزاءه في الدنيا والآخرة، وما يعمل المشركون من الكفر والكيد لكم، فتكون هذه القراءة وعداً للمؤمنين ووعداً للكافرين^(٢٢٣). وحجة من قرأ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بالياء أنه رَدّه على لفظ الغيبة الذي قبله في قوله: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ﴾ [هود: ١٢١]، وقوله: ﴿وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ [هود: ١٢٢]، وفيه معنى التهديد والوعيد للكفار، والتقدير: وما ربك يا محمد بغافل عما يعمل هؤلاء الذين لا يؤمنون^(٢٢٤). فهذه القراءة نص في وعيد المشركين بالجزاء على إجرامهم^(٢٢٥).

وعليه فإن القراءة بتاء الخطاب شملت الحديث عن المؤمنين والكافرين، بأن الله تعالى سيعطي كل عامل جزاء عمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فهي بشارة وتسلية للنبي ﷺ ومن معه، أما القراءة الثانية بياء الغيبة فهي نص في تهديد الكفار. والله تعالى أعلم.

(٢٢٢) انظر: حجة القراءات ص ٣٥٣، الكشف ج ١ ص ٥٢٨.

(٢٢٣) انظر: التحرير والتنوير ج ١٢ ص ١٩٦، تفسير المنار ج ١٢ ص ١٩٧.

(٢٢٤) انظر: حجة القراءات ص ٣٥٣، الكشف ج ١ ص ٥٢٨، ٥٢٩.

(٢٢٥) انظر: التحرير والتنوير ج ١٢ ص ١٩٦، تفسير المنار ج ١٢ ص ١٩٧.

المبحث الثاني سورة يوسف ﷺ

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة يوسف ﷺ.

المطلب الثاني: تفسير سورة يوسف ﷺ بالقراءات القرآنية العشر.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة يوسف ﷺ

اسمها:

الاسم الوحيد لهذه السورة هو: سورة يوسف ﷺ، فقد ذكر ابن حجر في كتاب الإصابة في ترجمة رافع بن مالك الزرقى^(٢٢٦): أَنَّ رافع بن مالك أول من قدم المدينة بسورة يوسف^(٢٢٧)، يعني بعد أن بايع النبي ﷺ يوم العقبة. ووجه تسميتها ظاهر، حيث وردت فيها قصة يوسف ﷺ كلها^(٢٢٨).

(٢٢٦) هو رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيْق الأنصاري، شهد العقبة، وكان أول من أسلم من الخزرج. (الإصابة ج ٢ ص ٣٦٩)

(٢٢٧) انظر: الإصابة ج ٢ ص ٣٧٠.

(٢٢٨) انظر: التحرير والتنوير ج ١٢ ص ١٩٧.

نزولها:

سورة يوسف عليه السلام كلها مكية على المعتمد^(٢٢٩). وقيل: إلا ثلاث آيات من أولها، واستثنى بعضهم رابعة وهي قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلسَّالِّينَ ۝٧﴾ [يوسف: ٧] وكل ذلك واه جداً لا يلتفت إليه^(٢٣٠). فالسورة كلها لحمة واحدة يظهر عليها الطابع المكي جلياً في موضوعها، وفي جوها، وفي إحياءاتها^(٢٣١). وقد نزلت سورة يوسف عليه السلام بعد سورة هود عليه السلام، في فترة حرجة من تاريخ الدعوة حيث توالى الشدائد والنكبات على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين، وبالأخص بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها وأبي طالب، كأن الله ﷻ يقص على نبيه محمد ﷺ قصة أخ له كريم، وهو يعاني صنوفاً من المحن والابتلاءات، فيصبر عليها، مستمراً في دعوته إلى الله ﷻ، فجاءت هذه السورة بمبشرة بقرب النصر لمن تمسك بالصبر، وسار على طريق الأنبياء والمرسلين، وكانت تسرية وتسلية وتخفيفاً لآلام المسلمين، وتحمل الأُنس والراحة لمن سار على هذا الدرب، فلا بد من الفرج بعد الضيق، ومن اليسر بعد العسر^(٢٣٢).

عدد آياتها:

عدد آياتها مائة وإحدى عشرة آية باتفاق أصحاب العدد في الأمصار^(٢٣٣).

(٢٢٩) انظر: الإتقان ج ١ ص ٢٠، روح المعاني ج ١٢ ص ١٧٠، التحرير والتنوير ج ١٢ ص ١٩٧، تفسير المنار ج ١٢ ص ٢٥٠، سورة يوسف دراسة تحليلية ص ٢٦.

(٢٣٠) انظر: الإتقان ج ١ ص ١٥، روح المعاني ج ١٢ ص ١٧٠، تفسير المنار ج ١٢ ص ٢٥٠، سورة يوسف دراسة تحليلية ص ٢٦.

(٢٣١) انظر: في ظلال القرآن ج ٤ ص ٦٦٠.

(٢٣٢) انظر: في ظلال القرآن ج ٤ ص ٦٦٠، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٤٠، سورة يوسف دراسة تحليلية ص ٢٨.

(٢٣٣) انظر: فنون الأفتان ص ٥٢، جمال القراء وكمال الإقراء ج ١ ص ٢٠٤، روح المعاني ج ١٢ ص ١٧٠، التحرير والتنوير ج ١٢ ص ١٩٨، بشير اليسر شرح ناظمة الزهر ص ٩٨.

وجه اتصالها بما قبلها (سورة هود عليه السلام):

وجه اتصالها بالتي قبلها - وهي سورة هود عليه السلام - أن في آخر سورة هود عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]، وكان في سورة يوسف عليه السلام تلك الأنباء المقصوفة، وقد جاء في سورة هود عليه السلام ذكر ما لاقى الأنبياء عليهم السلام من أقوامهم، وتبعه في سورة يوسف عليه السلام ذكر قصة يوسف عليه السلام، وما لاقاه من إخوته، وما آلت إليه حاله من حسن العاقبة، ليحصل للرسول ﷺ التسلية الجامعة لما يلاقيه من أذى البعيد والقريب. وأيضاً قد ورد في سورة هود عليه السلام قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] وقوله تعالى: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّكُمْ حِمْدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]، وجاء في سورة يوسف عليه السلام ذكر حال يعقوب عليه السلام مع أولاده وما صارت إليه عاقبة أمرهم، مما هو أقوى شاهد على الرحمة ^(٢٣٤).

ما اشتملت عليه السورة:

تضمنت هذه السورة قصة يوسف عليه السلام بجميع فصولها المثيرة. وهي أطول قصة في كتاب الله تعالى تضمنت مشاهد كثيرة متوالية ^(٢٣٥):

- ١ - طفولة يوسف عليه السلام إذ يقص رؤياه على أبيه يعقوب عليه السلام.
- ٢ - تأمر إخوة يوسف عليه السلام عليه للتخلص منه.
- ٣ - تنفيذ المؤامرة بيوسف عليه السلام وتغطيتها وتلبيس الأمر على يعقوب عليه السلام.

(٢٣٤) انظر: تناسق الدرر ص ٩٤، ٩٥، البحر المحيط ج ٥ ص ٢٧٨، روح المعاني ج ١٢ ص ١٧٠.

(٢٣٥) انظر: سورة يوسف دراسة تحليلية ص ٢٩، ٣٠ - بتصرف، وقد أحاله المؤلف إلى كتاب دراسة أدبية لنصوص من القرآن لمحمد المبارك ص ٨٣ - ٨٦، وانظر: التفسير المنير ج ١٢ ص ١٨٩، ١٩٠.

- ٤ - التقاط يوسف عليه السلام وخروجه من البئر.
- ٥ - يوسف عليه السلام في مصر في بيت العزيز، ومحنته مع امرأة العزيز.
- ٦ - يوسف عليه السلام في السجن، داعية، ويؤول الرؤى.
- ٧ - يوسف عليه السلام في بلاط الملك بعد خروجه من السجن وتوليته خزان مصر.

٨ - يتلو ذلك مشاهد متعددة تنتهي بلقاء يوسف عليه السلام بإخوته وتعارفهم وانتقالهم جميعاً مع أبيهم إلى مصر، وتفتح أبواب الفرج على مصراعها، وينتهي ذلك بتعبير يوسف عليه السلام عن شكره لله تعالى على نعمه كلها.

قال ابن عاشور: «وفيها: إثبات أنّ بعض المرثي قد يكون إنباء بأمر مغيب، وذلك من أصول النبوات ...، وأنّ تعبیر الرؤيا علم يهبه الله لمن يشاء من صالحى عباده، وتحاسد القرابة بينهم، ولطف الله بمن يصطفيه من عباده، وأنّ العبرة بحسن العواقب، والوفاء، والأمانة، والصدق، والتوبة، وفيها سكنى إسرائيل عليه السلام وبنيه بأرض مصر، وتسليّة النبي ﷺ بما لقيه يعقوب ويوسف عليهما السلام من آلهم من الأذى ...، وفيها من عبر تاريخ الأمم والحضارة القديمة وقوانينها ونظام حكوماتها وعقوباتها وتجاريتها، واسترقاق الصبي اللقيط، واسترقاق السارق، وأحوال المساجين، ومراقبة المكاييل» (٢٣٦).

المطلب الثاني: تفسير سورة يوسف بالقراءات القرآنية العشر.

- ١ - ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿١﴾﴾ [يوسف: ٤].

القراءات:

١ - قرأ ابن عامر وأبو جعفر ﴿يَا أَبْتَ﴾ بفتح التاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿يَتَأَبَّتْ﴾ بكسر التاء.

ويقف ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بالهاء والباقون بالتاء^(٢٣٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

الأب: الوالد، وزادت العرب في النداء فيه تاء فقالوا: يا أَبْتَ، ويسمى كل من كان سبباً في إيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره أباً، ويقال: أبوتُ القومَ كنت لهم أباً، أبوهم، وفلانٌ يَأْبُو بَهْمَهُ أي يتفقدُها تفقد الأب^(٢٣٨).

التفسير:

يقول تعالى: اذكر يا محمد - ﷺ - في قصصك عليهم قصة يوسف عليه السلام إذ قال لأبيه يعقوب بن إسحق عليهما السلام: يا أَبْتَ إني رأيت في منامي أحد عشر كوكباً، والشمس والقمر رأيتهم في منامي ساجدين لي. قيل: إن رؤيا الأنبياء كانت وحياً، والكواكب الأحد عشر كانت إخوته، والشمس والقمر أبويه^(٢٣٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

«حجة من قرأ ﴿يَا أَبْتَ﴾ بفتح التاء أنه قدّر إثبات ياء الإضافة في النداء، وهي لغة مستعملة، فلما أثبت الياء في المنادى أبدل الكسرة التي قبل الياء فتحة فانقلبت الياء ألفاً ثم حذفت الألف لدلالة الفتحة عليها»^(٢٤٠).

(٢٣٧) انظر النشر ج ٢ ص ٢٩٣، البدور الزاهرة ص ١٦٠، مصحف الصحابة ص ٢٣٥.

(٢٣٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٧.

(٢٣٩) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٥١، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٨٨، تفسير القرطبي ج ٩ ص ١٢١، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٤٢.

(٢٤٠) الكشف ج ٢ ص ٣ - باختصار وتصرف يسير.

وحجة من قرأ ﴿يَتَأْتِ﴾ بالكسر أنه أبقى الكسرة تدل على الياء المحذوفة في النداء، وأصله (يا أبتى)، كما تقول: يا غلام أقبل، وهي لغة فاشية مستعملة^(٢٤١).

قال الخطيب التبريزي: «فمن قرأ بالكسر فعلى الإضافة إلى نفسه، وحذف الياء، لأن ياء الإضافة قد تحذف في النداء، وقيل: التاء بدل من ياء الإضافة، ولا يجوز اجتماعهما، وكسرت لتدل على أنه موضع إضافة، ومن قرأ بالفتح، فعلى أنه أبدل من ياء الإضافة ألفاً، ثم حذف الألف كما تحذف الياء»^(٢٤٢).

«ومن وقف بالهاء فلأنها تاء التأنيث لحقت الأب في باب النداء خاصة، فكان الوقف عليها بالهاء، ومن وقف بالتاء فلاتباع المصحف، لأنها مكتوبة فيه بالتاء، ولأن ياء الإضافة مقدرة بعدها»^(٢٤٣).

وعليه فإنّ القراءتين على لغتين من لغات العرب، وكلتاها تدلان على شدة التصاق يوسف عليه السلام بأبيه يعقوب عليه السلام حيث ناداه بلفظ الأبوة، وأضاف يوسف عليه السلام لفظ الأبوة إلى نفسه كعادة الابن البار في نداء أبيه. والفتحة دلت على الألف المحذوفة المنقلبة عن ياء الإضافة، والكسرة دلت على ياء الإضافة المحذوفة، ومعلوم أنّ الكسرة والياء أقوى من الفتحة والألف^(٢٤٤)، فناسب تنوع الخطاب بين القوة واللين، ما في الرؤيا من صدق ويقين؛ لصدق يوسف عليه السلام في قوله، ولأنها رؤيا حق، وما في الصبي القاص لرؤياه من طفولة وبراءة وصفاء، حيث لجأ إلى كنف أبيه يلتمس عنده الدفء والحب والعطف ويقص عليه ما رأى في منامه. والله تعالى أعلم.

(٢٤١) الكشف ج ٢ ص ٣.

(٢٤٢) الملخص في إعراب القرآن ص ٣٢.

(٢٤٣) المرجع السابق نفس الصفحة، وانظر: الكشف ج ٢ ص ٤.

(٢٤٤) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٢٠.

٢ - ﴿قَالَ يَبْنَئُ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

القراءات:

١ - قرأ حفص ﴿يَبْنَئُ﴾ بفتح الياء.

٢ - قرأ الباقون ﴿يَا بَنِي﴾ بكسر الياء (٢٤٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق بيانه (٢٤٦).

التفسير:

حين قص يوسف عليه السلام الرؤيا التي رآها على أبيه يعقوب عليه السلام، علم يعقوب عليه السلام أن تعبير هذه الرؤيا خضوع إخوة يوسف عليه السلام له، وتعظيمهم إياه تعظيماً زائداً بحيث يخرون له ساجدين إجلالاً واحتراماً، فخشى عليه السلام أن يحدث يوسف عليه السلام أحداً من إخوته بهذه الرؤيا فيحسدونه على ذلك ويغنون له الغوائل ولهذا قال: يا بني لا تخبر إخوتك بهذه الرؤيا فينصبوك العداوة، ويحتالوا لإهلاكك حيلة عظيمة لا تقدر على ردها، ويطيعوا فيك الشيطان، إن الشيطان لآدم وبنيه عدو ظاهر العداوة فاحذره أن يغري إخوتك بك (٢٤٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿يَبْنَئُ﴾ بكسر الياء المشددة تصغير (ابن) مع إضافته إلى ياء المتكلم وأصله بُنْيَوِي أو بُنْيَنِي على الخلاف في أن لام ابن الملتزم عدم ظهورها هي واو أم ياء. وعلى كلا التقديرين فإنها أدغمت في ياء التصغير بعد قلب الواو

(٢٤٥) انظر النشر ج ٢ ص ٢٩٣، البدور الزاهرة ص ١٦٠.

(٢٤٦) انظر ص ٣٨ من هذا البحث.

(٢٤٧) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٥٢، الكشف ج ٢ ص ٣٠٣، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٩٠، ٦٩١، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٤٢.

ياء لتقارب الياء والواو، أو لتماثلهما فصار (بنّي). وقد اجتمع ثلاث ياءات فلزم حذف واحدة منها فحذفت ياء المتكلم لزوماً وألقيت الكسرة التي اجتلبت لأجلها على ياء التصغير دلالة على الياء المحذوفة. وحذف ياء المتكلم من المنادى المضاف شائع، وبخاصة إذا كان في إبقائها ثقل كما هنا، لأن التقاء ياءات ثلاث فيه ثقل^(٢٤٨). ويُقرأ بالفتح ووجه ذلك أنه أبدل الكسرة فتحة فانقلبت ياء الإضافة ألفاً، ثم حذفت الألف كما حذفت الياء مع الكسرة لأنها أصلها^(٢٤٩).

قال أبو شامة: «فعلى الكسر أصله: يا بنّي فحذفت الياء كما تقول يا غلام، والأصل يا غلامي، وعلى الفتح أبدلت الياء ألفاً لتوالي الياءات والكسرات، ثم حذفت الألف، وبقيت الفتحة دالة عليها»^(٢٥٠).

وكلتا القراءتين ألفت بظلالها على المعاني، فالقراءة بالكسر تشعر المرء بحرارة عاطفة الأب، وشفقته على ابنه، أما القراءة بالفتح - والفتحة هي أخف الحركات^(٢٥١) - فقد ناسبت فيها خفة الحركة ما في الابن المنادى من براءة وطفولة. والله أعلم.

٣ - ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلْمَسْأَلِينَ﴾ [يوسف: ٧].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير ﴿ءَايَاتٌ لِّلْمَسْأَلِينَ﴾ بحذف الألف بعد الياء على الأفراد.

(٢٤٨) التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٢١٢، ٢١٣، وانظر: مشكل إعراب القرآن ج ١ ص ٣٦٥، إملاء ما من به الرحمن ص ٣٩.

(٢٤٩) انظر: مشكل إعراب القرآن ج ١ ص ٣٦٥، الكشف ج ١ ص ٤٢، الياءات المشدّدة في القرآن وكلام العرب ص ٣٠، إملاء ما من به الرحمن ص ٣٩، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٢٤٦.

(٢٥٠) إبراز المعاني ص ٥١٤، وانظر: حجة القراءات ص ٣٤٠، مفاتيح الأغاني ص ٢١٢.

(٢٥١) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٢٠.

٢ - قرأ الباقون ﴿ءَايَاتُ لِّلْسَائِلِينَ﴾ بإثبات الألف على الجمع (٢٥٢).

المعنى اللغوي للقراءات:

«(الآية): هي العلامة الظاهرة، واختلف في اشتقاقها، والصحيح أنها مشتقة من التَّأْيِي الذي هو التثبوت والإقامة على الشيء. يُقَالُ: تَأَيَّ، أي أرفق» (٢٥٣).

التفسير:

يقول الله تبارك وتعالى: لقد كان في شأن يوسف وإخوته الأحد عشر علامات عظيمة الشأن دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة، وعبرَ وذكر للسائلين عن أخبارهم وقصصهم أو للطلابين للآيات المعبرين بها (٢٥٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الخطيب التبريزي: «فمن قرأها على التوحيد فلأنها رويت في غير هذا المصحف (عبرة للسائلين)» (٢٥٥) ومن قرأ على الجمع فلأن عبراً قد كانت فيه» (٢٥٦).

قال الألوسي: «وجمع الآيات حينئذ قيل للإشعار بأن اقتصاص كل طائفة من القصة آية بينة كافية في الدلالة على نبوته ﷺ، وقيل لتعدد جهة الإعجاز لفظاً ومعنى» (٢٥٧).

فالقراءة بالإفراد أشارت إلى أن شأن يوسف - ﷺ - العظيم كله

(٢٥٢) انظر الشرح ج ٢ ص ٢٩٣، البدور الزاهرة ص ١٦٠.

(٢٥٣) المفردات في غريب القرآن ص ٣٣، ٣٤ - باختصار، وانظر: لسان العرب ج ١ ص ١٨٥.

(٢٥٤) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٥٤، روح المعاني ج ١٢ ص ١٨٨، ١٨٩.

(٢٥٥) وذلك في مصحف أبي. (انظر: روح المعاني ج ١٢ ص ١٨٩).

(٢٥٦) الملخص في إعراب القرآن ص ٣٥.

(٢٥٧) روح المعاني ج ١٢ ص ١٨٩.

آية، والقراءة بالجمع أشارت إلى أن كل حال من أحوال يوسف عليه السلام آية وعبرة بذاته (٢٥٨).

وعليه يصبح معنى الآية: لقد كان شأن يوسف عليه السلام بمجمله، عبرة للسائلين كما أن كل حال من أحواله هو آية وعبرة في ذاته. والله تعالى أعلم.

٤ - ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيِّبَتِ الْغِيَبِ يَلْقَاهُ لَعُنٌ بِالْغَيْبِ﴾ [يوسف: ١٠].

القراءات:

١ - قرأ نافع وأبو جعفر ﴿غِيَابَاتٍ﴾ بألف بعد الباء الموحدة على الجمع.

٢ - قرأ الباقر ﴿غَيْبَتٍ﴾ بغير ألف بعد الباء الموحدة على الأفراد (٢٥٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

الغيباء: ما غَيَّبَ عنك شيئاً (٢٦٠)، «وغيابة كل شيء ما سترك منه. ومنه غيباء الجب» (٢٦١). قال ابن منظور: «ووقعوا في غيباء من الأرض، أي في منهبط منها. وغيابة كل شيء: قعره منه، كالجب والوادي وغيرهما، تقول: وقعنا في غيبة وغيابة، أي هبطة من الأرض، وفي التنزيل العزيز: ﴿فِي غِيَابَاتِ الْجِبِ﴾» (٢٦٢).

(٢٥٨) انظر: حجة القراءات ص ٣٥٥.

(٢٥٩) انظر النشر ج ٢ ص ٢٩٣، البدور الزاهرة ص ١٦١.

(٢٦٠) انظر: غريب القرآن وتفسيره ص ٨٣، تحفة الأريب ص ٢٣٦، التبيان في تفسير غريب القرآن ص ٢٤٠.

(٢٦١) القاموس المحيط ص ١٥٦.

(٢٦٢) لسان العرب ج ٥ ص ٣٣٢٢، ٣٣٢٣.

التفسير:

قال قائل من إخوة يوسف عليه السلام: لا تَصِلُوا في عداوة يوسف - عليه السلام - وبغضه إلى قتله، بل ألقوه في قعر البئر وغوره يأخذه بعض مارة الطريق من المسافرين إن كنتم عازمين على التخلص منه ^(٢٦٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿غِيَابَات﴾ على الجمع كأنه كان لتلك الجب غيابات، والقراءة ﴿غَيْبَاتٍ﴾ بالإنفراد لأنه لم يلق إلا في واحدة، وغيابة الجب قعره أو حفرة في جانبه ^(٢٦٤).

قال الألوسي: «وَالْقَوُ فِي غَيْبَاتِ الْجُبِّ» أي في قعره وغوره، سُمي به لغيبته عن عين الناظر، ومنه قيل للقبور غيابة. وقرأ نافع ﴿في غيابات﴾، كأن لتلك الجب غيابات، ففيه إشارة إلى سعتها ^(٢٦٥).

وعليه فالآية تبين أن يوسف عليه السلام ألقى في قعر البئر أو حفرة في جانبه وهذا ما أفادته القراءة بالإنفراد نصاً وأفادته القراءة بالجمع عقلاً، حيث إنَّ الشخص يستحيل وجوده في أكثر من مكان في آن واحد، كما أن القراءة بالجمع أشارت إلى سعة تلك البئر. وأنها كانت موحشة إلى درجة كبيرة حيث كانت لها غيابات كثيرة، وهذا يبين شدة الموقف الذي وضع فيه يوسف عليه السلام في صغره. والله تعالى أعلم

٥ - ﴿قَالُوا يَتَّخِذُنَا مَا لَكَ لَا تَأْمِنًا عَلَى يُونُسَ وَإِنَّا لَمُ لَنُصْحُونَ﴾ [يوسف: ١١].

(٢٦٣) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٥٧، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٩٢، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٤٢.

(٢٦٤) انظر: شرح طيبة النشر لأحمد بن الجزري ص ٢٥٤، إتحاف فضلاء البشر ص ٢٦٢، تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٨٤.

(٢٦٥) روح المعاني ج ١٢ ص ١٩٢ - بتصرف يسير.

القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ بالإدغام المحض^(٢٦٦).

٢ - قرأ كل من الباين بوجهين: الأول: إدغام النون الأولى في الثانية مع الإشمام^(٢٦٧)، والثاني: اختلاس^(٢٦٨) ضمة النون الأولى وحيث لا يكون فيها إدغام^(٢٦٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

(أمن): أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويُجعل الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسماً لما يُؤمن عليه الإنسان. و(أَمَنَ) يقال على وجهين: أحدهما: متعدياً بنفسه، تقول أَمَنْتُهُ، أي: جعلت له الأمن، ومنه قيل لله مؤمن، والثاني: غير مُتَعَدٍ، ومعناه صار ذا أمن^(٢٧٠).

(٢٦٦) يكون ذلك بلفظ نون مشددة مفتوحة من غير رُؤم ولا إشمام. (انظر: البدور الزاهرة ص١٦١).

(٢٦٧) الإشمام هنا عبارة عن ضم الشفتين إشارة إلى حركة الفعل مع الإدغام الصريح كما يشير إليها الواقف، وتكون الإشارة إلى الضمة بعد الإدغام أو قبل كماله، والإشمام يقع بإزاء معانٍ هذا من جملتها، ومنها إشراف الكسرة شيئاً من الضم نحو: قيل، غيض وبابه، ومنها إشمام أحد حرفين شيئاً من الآخر كإشمام الصاد زائياً في ﴿الْصِّرْطِ﴾، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾ وبابهما، فهذا خلط حرف بحرف، كما أن ما قبله خلط حركة بحركة، ومنها الإشارة إلى الضمة في الوقف خاصة، وإنما يراه البصير دون الأعمى. (الدر المصون ج٤ ص١٥٩ - باختصار وتصرف يسير، وانظر: القواعد والإشارات ص٥١، أحكام قراءة القرآن الكريم ص٢٣٤، ٢٣٥).

(٢٦٨) الاختلاس - ويعبر عنه البعض بالإخفاء أو الرُؤم - هنا: «عبارة عن تضعيف الصوت بالحركة، والفصل بين النونين، إلا أن النون تكون رأساً فيكون ذلك إخفاء لا إدغاماً». (الدر المصون ج٤ ص١٥٨، ١٥٩).

(٢٦٩) انظر: النشر ج١ ص٣٠٣ - ٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٦١.

(٢٧٠) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٥، ٢٦.

التفسير:

قال إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم يعقوب عليه السلام بعد إذ تأمروا بينهم، وأجمعوا على الفرقة بين يوسف عليه السلام وبين والده يعقوب: ﴿يَتَأَنَّى﴾ خاطبوه عليه السلام بذلك تحريكاً لسلسلة النسب وتذكيراً لرابطة الأخوة ليتسببوا بذلك استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما أحس بحسدهم، ﴿مَلِكٍ﴾ أي أي شيء لك ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ لا تجعلنا أمناء ﴿عَلَى يَوْسُفَ﴾ مع أنك أبونا ونحن بنوكم وهو أخونا ﴿وَلِنَا لَوْ لَنَصْحُونُ﴾ يريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بذلك ^(٢٧١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿تَأْمَنَّا﴾ أصله (تأمننا) ثم أدغمت النون الأولى في الثانية، ومن قرأ بالإشمام أو بالاختلاس؛ فللدلالة على ضمة النون الأولى ^(٢٧٢).

قال الكرمانى: «﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ قرئت بإشمام الضم في النون ^(٢٧٣)، وقرئت بالإدغام وترك الإشمام ...، ويشبه أنهم راودوه في أمره غير مرة فأبى عليهم» ^(٢٧٤).

قلت: ولا شك أنهم نوعوا أسلوبهم في كل مرة.

وبالجمع بين القراءات في هذه الكلمة يستفاد أن إخوة يوسف عليه السلام راودوا أباهم أكثر من مرة، وبأساليب مختلفة، وهو يأبى عليهم.

لطيفة:

أشار البقاعي إلى نكتة بديعة في القراءات في هذه الكلمة حيث قال: «وأجمع القراء على حذف حركة الرفع في (تأمن) وإدغام نونه بعد إسكانه

(٢٧١) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٥٩، روح المعاني ج ١٢ ص ١٩٣.

(٢٧٢) انظر: مشكل إعراب القرآن ج ١ ص ٣٨٠.

(٢٧٣) في متن الكتاب (الميم) والصواب كما أثبت.

(٢٧٤) مفاتيح الأغاني ص ٢٢٠.

تبعاً للرسم، بعضهم إدغاماً محضاً وبعضهم مع الإشمام، وبعضهم مع الرّوم^(٢٧٥)، دلالة على نفي سكون قلبه عليه - عليهما الصلاة والسلام - بأمنه عليه منهم على أبلغ وجه مع أنهم أهل لأن يسكن إليهم بذلك غاية السكون، ولو ظهرت ضمة الرفع عند أحد من القراء فات هذا الإيماء والنكته اللطيفة^(٢٧٦).

٦ - ﴿أَرْسِلْهُ مِمَّا غَدَا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف:

[١٢].

القراءات:

١ - قرأ نافع وأبو جعفر ﴿يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ﴾ بالياء في الفعلين وكسر العين في ﴿يَرْتَعُ﴾.

٢ - قرأ ابن كثير ﴿نرتع ونلعب﴾ بالنون في الفعلين مع كسر العين في ﴿نرتع﴾، وأثبت قبل ياء في آخرها في الحالين بخلف عنه.

٣ - قرأ أبو عمرو وابن عامر ﴿نرتع ونلعب﴾ بالنون في الفعلين مع سكون العين في ﴿يَرْتَعُ﴾.

٤ - قرأ الباقون ﴿يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ﴾ بالياء في الفعلين مع سكون العين^(٢٧٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿يَرْتَعُ﴾: «(رتع): الرء والتاء والعين كلمة واحدة، وهي تدل على الاتساع في المأكّل. تقول: رَتَعَ يَرْتَعُ، إذا أكل ما شاء ولا يكون ذلك

(٢٧٥) الروم في مصطلح القراء: هو تضعيفك الصوت بالحركة حتى يذهب معظم صوتها فتسمع لها صوتاً خفياً، وقد عبّر الإمام الشاطبي عن الرّوم في هذا الموضع بالإخفاء - أي بإخفاء حركة النون الأولى - ويكون ذلك بإظهار النون واختلاس حركتها، ولذا يعبر عنه بعضهم بالاختلاس. (انظر: غاية المريد ص ١٨١، ١٨٢).

(٢٧٦) نظم الدرر ج ٤ ص ١٥.

(٢٧٧) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٣.

إِلَّا فِي الْخَصْبِ» (٢٧٨).

قال الراغب: «الرتع أصله أكل البهائم، يقال رَتَعَ يرتع رتوعاً ورتاعاً، قال تعالى: ﴿نرتع ونلعب﴾ ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير، وعلى طريق التشبيه» (٢٧٩).

٢ - «نرتع، يرتع»: قال ابن منظور: «(رعى): الرعي مصدر رعى الكلاً ونحوه يزعى رعيّاً. والرّاعي يزعى الماشية أي يحوطها ويحفظها. والماشية ترعى، أي ترتع وتأكل. ورّاعي الماشية حافظها. ... ويقال للنعم هي تزعى وتزّرعني. وقرأ بعض القراء: ﴿أرسله معنا غدا نرتعي ونلعب﴾، وهو افتعال من الرّعي، وقيل: معنى نَزَّعني أي يزعى بعضنا بعضاً» (٢٨٠).

٣ - «وَيَلْعَبُ»: «(لعب): اللام والعين والباء كلمتان منهما يتفرع كلمات. إحداهما اللَّعِب: معروف ... والكلمة الأخرى اللَّعَاب: ما يسيل من فم الصبي...، وقيل: إنّ أصل الباب هو الذهاب على غير استقامة» (٢٨١).

قال الراغب: «(لعب): أصل الكلمة اللَّعَاب وهو البزاق السائل، وقد لَعَبَ يَلْعَبُ لَعِباً سأل لعبه، وَلَعِبَ فلان إذا كان فعله غير قاصدٍ به مقصداً صحيحاً يَلْعَبُ لَعِباً» (٢٨٢).

التفسير:

قال إخوة يوسف عليهم السلام لأبيهم: أرسله معنا غداً إلى البادية، يتسع في أكل ما لَدَّ وطاب، ويلهو ويلعب بالاستباق وغيره، ونحن حافظوه من أن يناله شيء يكرهه أو يؤذيه» (٢٨٣).

(٢٧٨) معجم مقاييس اللغة ج٣ ص٤٨٦.

(٢٧٩) المفردات في غريب القرآن ص١٨٧.

(٢٨٠) لسان العرب ج٣ ص١٦٧٦.

(٢٨١) معجم مقاييس اللغة ج٥ ص٢٥٣، ٢٥٤.

(٢٨٢) المفردات في غريب القرآن ص ٤٥٠.

(٢٨٣) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص ١٥٩، صفوة التفاسير ج٢ ص٤٣.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

«نرتع ونلعب» من قول العرب رتع الإنسان والبعير إذا أكلا كيف شاء، والمعنى نتسع في الخصب^(٢٨٤)، وكذا يرتع بإسكان العين إلا أنه ليوسف عليه السلام وحده. أما يرتع بكسر العين فهو من رعي الغنم أي ليتدرب بذلك ويترجل^(٢٨٥) «وقيل: هو من قولهم: رعاك الله أي حرسك فمعناه على هذا التحارس»^(٢٨٦)، وقال ابن عاشور: «هو مضارع ارتعى، وهو افتعال من الرعي للمبالغة فيه فهو حقيقة في أكل المواشي والبهائم واستعير في كلامهم للأكل الكثير لأن الناس إذا خرجوا إلى الرياض والأرياف للعب والسبق تقوى شهوة الأكل فيهم فيأكلون أكلاً ذريعاً فلذلك شبه أكلهم بأكل الأنعام، وإنما ذكروا ذلك لأنه يسر أباهم أن يكونوا فرحين^(٢٨٧)».

قال الخطيب التبريزي: «فمن قرأ بالنون، فلقولهم: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ إذ الظاهر أنهم حين أسندوا الاستباق إلى جماعتهم كانوا أسندوا جميع ذلك إليهم، ومن قرأ بالياء فإن القوم لم يريدوا إعلام يعقوب بما لهم من الرفق في خروج يوسف معهم، وإنما أرادوا أن يروه ما ليوسف في ذلك، ليكون داعياً له إلى إرساله معهم، فكان الوجه إسناد ذلك إليه^(٢٨٨)».

وبالجمع بين القراءات في الآية يصبح المعنى:

قال إخوة يوسف لأبيهم: أرسل يوسف معنا يلهو ويلعب وينعم وينشط، ويتسع في الخصب، ويرعى غنمه ويعقل وينظر فيعرف ما يعرف الرجل، ونحن نشاركه ذلك فيتحقق له السرور معنا، ونتكالا جميعاً ويحفظ بعضنا بعضاً ونتحارس، ونحن له حافظون من أن يناله شيء يكرهه. والله أعلم.

(٢٨٤) انظر: تفسير القرطبي ج ٩ ص ١٣٩.

(٢٨٥) انظر: تفسير القرطبي ج ٩ ص ١٣٩، مشكل إعراب القرآن ج ١ ص ٢٧٤.

(٢٨٦) مشكل إعراب القرآن ج ١ ص ٢٧٤، وانظر: تفسير الطبري ١٢ ص ١٥٩، تفسير القرطبي ج ٩ ص ٢٧٤.

(٢٨٧) التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٢٢٨.

(٢٨٨) الملخص في إعراب القرآن ص ٣٧.

٧ - ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ، وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف: ١٣].

القراءات:

١ - قرأ نافع ﴿لَيَحْزُنُنِي أَنْ﴾ بضم ياء المضارعة وكسر الزاي وفتح ياء الإضافة.

٢ - قرأ الباقون ﴿لَيَحْزُنُنِي أَنْ﴾ بفتح ياء المضارعة وضم الزاي وإسكان ياء الإضافة (٢٨٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

«حزن: الحزن نقيض الفرح، وهو خلاف السرور. والجمع أحزان. وحَزَنَهُ الأمر يَحْزُنُهُ حُزْنًا وأَحْزَنَهُ. وحَزَنَهُ لغة قريش، وأَحْزَنَهُ لغة تميم. وقال سيبويه (٢٩٠): أحزنه جعله حزيناً، وحَزَنَهُ جعل فيه حزنًا، كأفنته جعله فاتناً، وفتنه جعل فيه فتنة. قال أبو عمرو (٢٩١): وفي استعمال الفعل منه لغتان: تقول حَزَنَنِي يَحْزُنُنِي حُزْنًا فأنا مَحْزُونٌ، ويقولون أَحْزَنَنِي فأنا مُحْزَنٌ وهو مُحْزَنٌ» (٢٩٢).

قال الراغب: «الحُزْنُ والحَزْنُ خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم، ويزاده الفَرْحُ، ولاعتبار الخشونة بالغَم قليل

(٢٨٩) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٣، البدور الزاهرة ص ١٦١.

(٢٩٠) هو: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو البشر، الملقب بسبيويه، ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه، وصنف كتابه المسمى: كتاب سبيويه، توفي بالأهواز سنة ١٨٠هـ. (انظر: البداية والنهاية ج ١ ص ١٧٦ - ١٧٧، الأعلام ج ٥ ص ٨١).

(٢٩١) أبو عمرو البصري: هو زُبَّان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله التميمي المازني البصري، مقرئ البصرة، ولد أبو عمرو سنة ثمان وستين بمكة، وأمه من بني حنيفة، أخذ القراءة عن أهل الحجاز، وأهل البصرة وأهل الكوفة، فليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه، انتهت إليه إمامة القراءة بالبصرة، وكان من أعلم الناس بالعربية والشعر وأيام العرب، يروى عنه قوله - رحمه الله -: «أول العلم الصمت، ثم حُسن السؤال، ثم حسن اللفظ، ثم نشره عند أهله».

توفي - رحمه الله - بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة، وقيل خمس وخمسين عن ست وثمانين سنة.

(٢٩٢) لسان العرب ج ٢ ص ٨٦١، ٨٦٢ - باختصار، وانظر: القاموس المحيط ص ١٥٣٥.

خَشَنَتْ بَصَدْرِهِ إِذَا حَزَنَتْهُ. يُقَالُ حَزَنٌ يَحْزُنُ، وَحَزْنَتُهُ وَأَحْزَنَتْهُ» (٢٩٣).
التفسير:

أظهر يعقوب عليه السلام لأبنائه سبب امتناعه من خروج يوسف عليه السلام معهم إلى الأرياف قائلاً لهم: إنه ليؤلمني فراق يوسف - عليه السلام - لقلة صبري عنه، وأخاف أن يفترسه الذئب وأنتم غافلون عنه برعيكم ولعبكم (٢٩٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الحجة لمن فتح الباء: أنه أخذه من: حَزَنٌ يَحْزُنُ حُزْناً، إذا أدخل عليه الحزن، والحجة لمن ضم الباء: أنه أخذه من أَحْزَنَ يَحْزِنُ حُزْناً. وهما لغتان، يقال: حَزَنِي الأمر يَحْزُنُنِي، وَأَحْزَنَنِي يُحْزِنُنِي بضم الباء لأنه رباعي (٢٩٥).

فالقراءتان على لغتين من لغات العرب. وهما معاً تؤكدان شدة ما سيلقيه يعقوب عليه السلام من الحزن إذا فارق يوسف عليه السلام.

٨ - ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُمُحِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَجِّنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥].

القراءات:

١ - قرأ نافع وأبو جعفر ﴿غِيَابَاتٍ﴾ بآلف بعد الباء الموحدة على الجمع.

٢ - قرأ الباقر ﴿غِيَابَتٍ﴾ بغير ألف بعد الباء الموحدة على الأفراد (٢٩٦).

(٢٩٣) المفردات في غريب القرآن ص ١١٥.

(٢٩٤) انظر: الكشف ج ٢ ص ٣٠٦، التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٢٣٠، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٤٣.

(٢٩٥) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ١١٦، الكشف ج ١ ص ٣٦٥، حجة القراءات ص ١٨١، تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٨٦، ٢٨٧، التحرير والتنوير ج ٤ ص ١٧٣.

وقد تقدم الحديث عن هذه القراءة عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقُولُوا يُوسُفُ وَالْقَوْهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [يوسف: ١٠] (٢٩٧).

٩ - ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوُهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَعَّةٍ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ إِيمًا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ١٩].

القراءات:

١ - قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿يَبُشْرَىٰ﴾ بغير ياء بعد الألف الأخيرة.

٢ - قرأ الباقون ﴿يَا بُشْرَايَ﴾ بياء مفتوحة - بعد الألف الأخيرة - وصلًا، وساكنة وقفًا (٢٩٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

«بَشَرَ: البشرة ظاهر الجلد، والأدمة باطنه، وأَبَشَرْتُ الرَّجُلَ وَبَشَرْتَهُ وَبَشَرْتُهُ، أَخْبَرْتَهُ بِسَارٍ بَسَطَ بَشْرَةً وَجْهَهُ، وَاسْتَبَشَرَ إِذَا وَجَدَ مَا يُبَشِّرُهُ مِنَ الْفَرْجِ، وَيُقَالُ لِلْخَبِيرِ السَّارِ الْبِشَارَةِ وَالْبُشْرَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ﴾» (٢٩٩).

التفسير:

بعد أن ألقى إخوة يوسف عليه السلام به في الحب وتركوه وانصرفوا، جاءت مارة الطريق من المسافرين، فأرسلوا من يستقي لهم الماء، فألقى الوارد دلوه في البئر ورفع منه فإذا يوسف عليه السلام متعلق به، قال الوارد

(٢٩٦) انظر النشر ج ٢ ص ٢٩٣، البدور الزاهرة ص ١٦١.

(٢٩٧) انظر ص ٨٥ من هذا البحث.

(٢٩٨) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٣، البدور الزاهرة ص ١٦١.

(٢٩٩) المفردات في غريب القرآن ص ٤٨ - باختصار.

يعلن ابتهاجه وفرحه: يا للخير ويا للبشرى، يا للخبر السار، هذا غلام، وأوقع النداء على البشرى، للتعبير عن ابتهاجه وسروره، حتى وكأنها شخص عاقل يستحق النداء، أي: يا بشارتي أقبلي فهذا أوان إقبالك. وأخفى الوارد وجماعته أمر يوسف عليه السلام عن الناس، وعزموا على بيعه، والله ﷻ لا يخفى عليه شيء، ويعلم ما فعلوا وما عزموا عليه في أمر يوسف عليه السلام (٣٠٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وجه القراءة بياء بعد الألف، أَنَّ المُذْلِي أضاف البشرى إلى نفسه، فيكون لفظ (بشرى) نداء مضافاً منصوباً. ووجه القراءة بحذف الياء أَنَّ المُذْلِي نادى ﴿بشرى﴾ ولم يضيف، فيكون لفظ ﴿بشرى﴾ في موضع نصب، لأنه نداء مفرد شائع، لا يراد به شيء بعينه، وقيل: إنه أراد يا بشراي، ثم حذف ياء الإضافة للنداء فتكون القراءتان بمعنى واحد. وقيل: إِنَّ ﴿بشرى﴾ اسم رجل كان معهم، فناداه المُذْلِي (٣٠١).

قال الخطيب التبريزي: «وقرأ أهل الكوفة ﴿بشرى﴾ على وزن (فعلى) من غير إضافة، وقرأ الباقون: (بشراي) بياء مفتوحة بعد الألف على الإضافة، فمن قرأ بهذه القراءة فعلى أَنَّ المراد: (يا بشارتي).... ومن قرأ بالقراءة الأخرى فعلى أنه اسم إنسان، أي: فنادى المُذْلِي صاحبه، وكان اسمه بشرى، وقيل: يجوز أن يكون أضاف البشرى إلى نفسه ثم حذف ياء الإضافة وهو يريد بها، فيكون فيها الاحتواء على المعنيين» (٣٠٢).

«ونداء البشرى مجاز، لأن البشرى لا تنادى، ولكنها شبهت بالعاقل

(٣٠٠) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٦٦، تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٨٩، التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٢٤٣، التفسير الواضح ج ١٢ ص ٢٠، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٤٤، التفسير الوسيط ج ٢ ص ١٠٩٩.

(٣٠١) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ١٩٤، حجة القراءات ص ٣٥٧، الكشف ج ٢ ص ٧، ٨.

(٣٠٢) الملخص في إعراب القرآن ص ٤٠، ٤١ - بتصرف يسير.

الغائب الذي احتيج إليه فينادى» (٣٠٣). «ونداؤها معناه أنَّ هذا وقتها وموجبها فقد آن لها أن تحضر، ومثله قولهم: يا أسفا ويا أسفي، ويا حسرتا ويا حسرتي، إذا وقع ما هو سبب لذلك» (٣٠٤)، «والمعنى: أنَّ الوارد فرح وابتهج بالعثور على الغلام» (٣٠٥).

وعليه فإن كلتا القراءتين أفادت أنَّ الوارد سُرَّ سروراً كبيراً بالعثور على الغلام، وكان من علامات سروره أنه نادى البشرى مرة مضيفها إلى نفسه - فخصَّ بها نفسه -، ومرة من غير إضافة. وعلى القول إنَّ ﴿بشرى﴾ هو اسم رجل تكون القراءة بغير الإضافة على أنَّ الوارد نادى صاحبه، والقراءة بالإضافة على أنه نادى البشرى مضيفها إلى نفسه، تعبيراً عن بالغ سروره. والله تعالى أعلم.

١٠ - ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ. وَعَلَّقَتْ الْأَتْرَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف: ٢٣].

القراءات:

١ - قرأ نافع وابن ذكوان وأبو جعفر ﴿هَيْتَ﴾ بكسر الهاء وياء ساكنة مدية بعدها وفتح التاء.

٢، ٣ - قرأ هشام بوجهين ﴿هَيْتَ﴾، ﴿هَيْتُ﴾ بكسر الهاء وهمزة ساكنة بعدها مع فتح التاء وضمها.

٤ - قرأ ابن كثير ﴿هَيْتُ﴾ بفتح الهاء وياء ساكنة لينه بعدها مع ضم التاء.

٥ - قرأ الباقون ﴿هَيْتَ﴾ بفتح الهاء وياء ساكنة لينه بعدها مع فتح

(٣٠٣) التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٢٤١.

(٣٠٤) تفسير المنار ج ١٢ ص ٢٧٠ - بتصرف يسير.

(٣٠٥) التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٢٤١ - بتصرف يسير.

التاء (٣٠٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿هَيْتَ لَكَ﴾: قيل هي عبرانية، (هيتلخ) أي: تعال، فأعربه القرآن، وقيل: سريانية، وقيل: قبطية: هلم لك^(٣٠٧)، وقيل: عربية تدعوه بها إلى نفسها^(٣٠٨)، وقيل غير ذلك. «ولا يبعد اتفاق اللغات في لفظ، فقد وجد ذلك في كلام العرب مع لغات غيرهم»^(٣٠٩).

قال ابن جني: «وفيها لغات ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ بفتح الهاء والتاء، و﴿هَيْتَ لَكَ﴾ بكسر الهاء وفتح التاء و﴿هَيْتُ لَكَ﴾ بفتح الهاء وضم التاء. وأما ﴿هَيْتُ﴾ بالهمز وضم التاء ففعل، يقال فيه: هَيْتُ أَهْيءَ هَيْئَةً، كجئت أَجِيءَ جَيْئَةً أي تهَيَّأت»^(٣١٠).

وقال الراغب: «﴿هَيْتَ﴾ قريب من هَلَمَّ، وقرئ ﴿هَيْتُ لَكَ﴾: أي: تهَيَّأت لك»^(٣١١).

التفسير:

هذه المحنة الثالثة التي مرَّ بها يوسف عليه السلام بعد محنة الإلقاء في الحب، والاسترقاق، حيث طلبت امرأة العزيز التي كان يوسف عليه السلام في بيتها منه أن يواقعها، وغلقت الأبواب عليها وعلى يوسف لِمَا أرادت منه^(٣١٢).

قال الرافعي: «وأعجب من هذا كلمة راودته، وهي بصيغتها المفردة

(٣٠٦) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٣ - ٢٩٤، شرح طيبة النشر لأحمد ابن الجزري، البدور الزاهرة ص ١٦١.

(٣٠٧) انظر: البحر المحيط ج ٥ ص ٢٩٤.

(٣٠٨) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٨٠، البحر المحيط ج ٥ ص ٢٩٤، تفسير البغوي ج ٣ ص ١٥٨، ١٥٩، لسان العرب ج ٦ ص ٤٧٣١.

(٣٠٩) البحر المحيط ج ٥ ص ٢٩٤.

(٣١٠) المحتسب ص ٣٣٧ - بتصرف يسير.

(٣١١) المفردات في غريب القرآن ص ٥٤٧.

(٣١٢) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٧٨، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٤٦، ٤٧.

حكاية طويلة تشير إلى أنّ هذه المرأة جعلت تعترض يوسف بألوان من أنوثتها، لون بعد لون، ذاهبة إلى فن راجعة من فن، لأن الكلمة مأخوذة من رودان الإبل في مشيتها، تذهب وتجيء في رفق. وهذا يصور حيرة المرأة العاشقة، واضطرابها في حبها ومحاولتها أن تنفذ إلى غايتها... ثم قال: ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ ولم يقل أغلقت، وهذا يُشعر أنها لما يئست ورأت منه محاولة الانصراف أسرع في ثورة نفسها مهتاجة لتخيل القفل الواحد أقفلاً عدة، وتجري من باب لباب، وتضطرب يدها في الإغلاق، كأنما تحاول سدّ الأبواب لا إغلاقها فقط^(٣١٣).

وقالت هلم وأسرع إلى ما طلبت منك، فليس ثمّ ما يُخشى. قال يوسف عليه السلام أستجير بالله من الذي تدعينني إليه، إنّ زوجك سيدي، أحسن تعهدي وأكرمني، فلا أخونه، إنه لا يدرك البقاء ولا ينجح من ظلم ففعل ما ليس له فعله، وهذا الذي تدعينني إليه من الفجور ظلم وخيانة لسيدي الذي ائتمني على منزله^(٣١٤).

قال ابن عاشور: «الكلام تعليل لامتناعه وتعريض بها في خيانة عهدها»^(٣١٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تعددت أقوال العلماء في توجيه القراءات في هذه الكلمة:

- قال مكّي: «قوله ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ هي لفظة مبنية غير مهموزة يجوز فيها فتح التاء وكسرها وضمها، والكسر فيه بُعد لاستثقال الكسرة بعد الياء^(٣١٦)، ومعناها الاستجلاب ليوسف إلى نفسها بمعنى هلم لك...،

(٣١٣) وحي القلم ج ١ ص ٩٤، ٩٥ - باختصار وتصرف يسير.

(٣١٤) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٨٢، ١٨٣، البحر المحيط، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٤٦.

(٣١٥) التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٢٥٢.

وأما فتح الهاء وكسرها فلغتان»^(٣١٧).

- وقال العكبري: «وقرىء بكسر الهاء وهمزة ساكنة وضم التاء وهو على هذا فعل من هَاء يَهَاء مثل شَاء يَشَاء وَيَهِيء مثل فَاء يَفِيء والمعنى تهيأت لك»^(٣١٨).

- قال ابن هشام: «وأما مَنْ قرأ ﴿هَيْتُ﴾ مثل جئت فهو فعل بمعنى تهيأت، واللام متعلقة به، وأما مَنْ قرأ كذلك ولكن جعل التاء ضمير المخاطب، ... فمعنى تَهَيَّئْ تيسر انفرادها به، لا أنه قصد لها، بدليل ﴿وَرَوَدَتْهُ﴾، ويحتمل أنها أصل قراءة هشام ﴿هَيْتُ﴾ بكسر الهاء وبالياء وفتح التاء، وتكون على إبدال الهمزة»^(٣١٩).

- قال أبو حيان: «فهذه القراءات هي فيها اسم فعل، إلا من ضم التاء وكسر الهاء سواء همز أم لم يهمز، فإنه يحتمل أن يكون اسم فعل كحالها عند فتح التاء أو كسرها، ويحتمل أن يكون فعلاً رافعاً ضمير المتكلم من هاء الرجل يهيه إذا أحسن هيئته على مثال: جاء يجيء، أو بمعنى تهيأت»^(٣٢٠).

- قال النحاس: «وقراءة ﴿هَيْتُ﴾ بكسر الهاء وفتح التاء وياء بينهما فيها قولان: أحدهما أن يكون الفتح لالتقاء الساكنين لأنه صوت يجب ألا يعرب والفتح خفيف، والآخر أن يكون من هاء يهيه مثل جاء يجيء فيكون المعنى في ﴿هَيْتُ﴾ أي حسنت هيئتك وخفف الهمزة»^(٣٢١).

- قال ابن الجزري: «والصواب أن هذه القراءات كلها لغات في هذه

(٣١٦) وهي قراءة شاذة.

(٣١٧) مشكل إعراب القرآن ج ١ ص ٣٨٣ - بتصرف يسير. وانظر إملاء ما من به الرحمن ج ٢ ص ٥١.

(٣١٨) إملاء ما من به الرحمن ج ٢ ص ٥١ - باختصار وتصرف يسير.

(٣١٩) مغني اللبيب ج ١ ص ٢٢٢ - باختصار.

(٣٢٠) البحر المحيط ج ٥ ص ٢٩٤.

(٣٢١) إعراب القرآن ج ٢ ص ٣٢٣.

الكلمة وهي اسم فعل بمعنى هلم وليست في شيء منها فعلاً ولا التاء فيها ضمير متكلم ولا مخاطب»^(٣٢٢).

قلت: القراءات المختلفة في هذه الكلمة تحتل أن تكون على لغات مختلفة بمعنى هلم وتعال، وبعضها يحتل بالإضافة إلى ذلك معنى تهيأت لك، أو تهيأ أمرك لي، وهذا ما يؤيده المعنى اللغوي للكلمة.

وعليه يصبح معنى الآية: قالت امرأة العزيز ليوسف عليه السلام هلم إلي فقد تهيأت لك، وتهيأ أمرك لي، أي تيسر انفرادها به. وكثرة ما روي في هذه الكلمة من أوجه يشبه شدة طلبها وإلحاحها عليه بمواقعتها بأساليب مختلفة. فالقراءة بالهمز وما فيه من قوة نبر توحى بارتفاع الصوت والسرعة في الطلب^(٣٢٣)، والقراءة بالياء اللينة توحى باللين والخضوع والترسل، وكلتاها مرة مع ضم التاء التي توحى بقوة الطلب مشوباً بالتهديد والوعيد لما في الضم من قوة، ومرة بفتح التاء، والتي توحى بالتذلل؛ لما في الفتح من ضعف. والله تعالى أعلى وأعلم.

١١ - ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُودُ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّكُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ بكسر اللام.

٢ - قرأ الباقر ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام^(٣٢٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

(٣٢٢) النسخ ج ٢ ص ٢٩٤، ٢٩٥، وانظر: فتح القدير ج ٣ ص ١٧.

(٣٢٣) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٠٦، المعني في توجيه القراءات العشر ج ١ ص ١٠٧، عن مخطوطة الوقف والوصل في اللغة العربية ص ١٢٠.

(٣٢٤) انظر: النسخ ج ٢ ص ٢٩٥، البدور الزاهرة ص ١٦٢.

قال ابن فارس: «خلص: الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد وهو تنقية الشيء وتهذيبه، يقولون خَلَصْتَهُ من كذا، وخَلَصَ هو»^(٣٢٥).

التفسير:

ولقد هَمَّت امرأة العزيز بمخالطة يوسف عليه السلام أي قصدتها وعزمت عليها عزماً جازماً، لا يلويها عنه صارف، بعدما باشرت مبادئها من المراودة، وتغليق الأبواب ودعوته إلى الإسراع إليها بقولها ﴿هَيَّئْ لَكَ﴾ مما اضطره إلى الهروب إلى الباب. ولولا رؤيته برهان ربه لهم بها. ولكنه رأى من تأييد الله له بالبرهان ما صرف عنه السوء والفحشاء^(٣٢٦). قال أبو حيان: ونظيره (قارفت الإثم لولا أن الله عصمك)، ولا تقول: إن جواب (لولا) يتقدم عليها - وإن لم يقم دليل على امتناعه، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف فيها حتى ذهب الكوفيون وأعلام البصريين إلى جواز تقدمه - بل تقول: هو محذوف لدلالة ما قبله عليه، لأن المحذوف في الشرط يقدر من جنس ما قبله^(٣٢٧)، «فالآية حينئذ ناطقة بأنه لم يهم أصلاً»^(٣٢٨).

وقيل إنَّ (الهم) هو خطور الشيء بالبال أو ميل الطبع، كالصائم في الصيف يرى الماء البارد فتحمله نفسه على الميل إليه، وطلب شربه، ولكن يمنعه دينه منه. فالهم عبارة عن جواذب الطبيعة، و(رؤية البرهان) جواذب الحكمة، وهذا لا يدل على حصول الذنب^(٣٢٩). قال أبو السعود: «وإنما عبر عنه بالهم، لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر... لا لشبهه به

(٣٢٥) معجم مقاييس اللغة ج٢ ص٢٠٨، وانظر: مجمل اللغة ص٢٩٩.

(٣٢٦) انظر: تفسير القاسمي ج٦ ص٣١٢.

(٣٢٧) البحر المحيط ج٥ ص٢٩٥، وانظر: نظم الدرر ج٤ ص٣٠، تفسير القاسمي ج٦ ص٢١٣.

(٣٢٨) تفسير القاسمي ج٦ ص٢١٣.

(٣٢٩) انظر: تفسير الفخر الرازي ج١٢ ص١٢١، ١٢٢، تفسير أبي السعود ج٣ ص٩٤، تفسير القاسمي ج٦ ص٢١٣.

كما قيل، ولقد أشير إلى تباينهما، حيث لم يُلْزَأ في قرن واحد من التعبير، بأن قيل: ولقد همّا بالمخالطة، أو همّ كل منهما بالآخر. وصُدِّر الأول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي، وعُقِبَ الثاني بما يعفو أثره من قوله ﴿وَلَا يَكُنْ﴾: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، أي حجته الباهرة، الدالة على قبح الزنا، وسوء سبيله. والمراد برؤيته لها كمال إيقانه بها، ومشاهدته لها مشاهدة واصله إلى مرتبة عين اليقين...، وكأنه عليه السلام قد شاهد الزنى بموجب ذلك البرهان النير، على ما هو عليه في حد ذاته أقبح ما يكون، وأوجب ما يجب أن يحذر منه، ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام، والحكم بعدم إفلاح من يرتكبه. وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف، يدل عليه الكلام، أي: لولا مشاهدة برهان ربه في شأن الزنا لجري على موجب ميله الجبلي، ولكن حيث كان مشاهداً له من قبل، استمر على ما هو عليه من قضية البرهان. وفائدة هذه الشرطية بيان أن امتناعه عليه السلام، لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة، بل لمحض العفة والنزاهة، مع وفور الدواعي الداخلية، وترتيب المقدمات الخارجية، الموجبة لظهور الأحكام الطبيعية^(٣٣٠).

قال القاسمي: «فأتضح أن لا شبهة فيها على عصمة يوسف عليه السلام، فإنّ الأنبياء ليسوا بمعصومين من حديث النفس، وخواطر الشهوة الجبلية، ولكنهم معصومون من طاعتها، والانقياد إليها، ولو لم توجد عندهم دواع جبلية، لكانوا إمّا ملائكة أو عالمات آخر»^(٣٣١).

قال الزمخشري: «ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لُتِعت عليه وذُكرت توبته واستغفاره...، كيف وقد أثني عليه وسُمي مُخْلِصاً، فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدَّخْضُ^(٣٣٢)، وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم»^(٣٣٣).

(٣٣٠) تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٩٥ - باختصار، وانظر: الكشف ج ٢ ص ٣١١.

(٣٣١) تفسير القاسمي ج ٦ ص ٢١٤.

(٣٣٢) الدخض: الزلّيق، يقال: مكان دَخَضَ وَدَخُوض، ودَخَضَتْ رَجُلُهُ: زَلَقَتْ، والمَدْحَضَةُ: المَزَلَّة. (انظر: القاموس المحيط ص ٨٢٨).

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ وهو المنكر والفجور والمكروه، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ وهي ما تنهى قبحه، إنه من عبادنا الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته بأن عصمهم^(٣٣٤).

هذا، وقد ألحق بعض المفسرين أقاصيص مُخْتَلَقَة على يوسف عليه السلام في همّه، نقلوها عن أهل الكتاب، وكلها خرافات وأباطيل تمجها الآذان، وتردها العقول والأذهان^(٣٣٥).

لطيفة:

«قيل: إن كل من له دخل في هذه القصة شهد ببراءة يوسف عليه السلام، فشهد الله تعالى بقوله: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾، وشهد هو على نفسه بقوله: ﴿هِيَ زَوَّجْتَنِي عَنْ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٢٦]، ونحوه، وشهدت امرأة العزيز بقولها: ﴿وَلَقَدْ زَوَّجْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]، وسيدها بقوله: ﴿إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩]، وإبليس بقوله: ﴿فِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]، فتضمن ذلك أنه لم يُغْوِه، ومع هذا لم يبرئه أهل القصص^(٣٣٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام، بتأويل: إن يوسف عليه السلام من عبادنا الذين أخلصناهم لأنفسنا واخترناهم لنبوتنا ورسالتنا. ويحتمل أن يكون المراد أنه من ذرية إبراهيم عليه السلام الذين قال الله فيهم ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴿٤١﴾﴾ [ص: ٤٦]. والقراءة ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا

(٣٣٣) الكشاف ج ٢ ص ٣١٢.

(٣٣٤) انظر: الكشاف ج ٢ ص ٣١٢، تفسير القاسمي ج ٦ ص ٣١٥.

(٣٣٥) انظر: تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٩٦، تفسير القاسمي ج ٦ ص ٣١٤.

(٣٣٦) تفسير القاسمي ج ٦ ص ٣١٥ - بتصرف يسير، وانظر: تفسير الفخر الرازي ج ١٢ ص ١١٩.

الْمُخْلِصِينَ ﴿ بكسر اللام، بتأويل: إِنَّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ من عبادنا الذين أخلصوا توحيدنا وعبادتنا فلم يشركوا بنا شيئاً، ولم يعبدوا شيئاً غيرنا (٣٣٧).

وعليه فإنه قراءة ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بكسر اللام، أفادت أن يوسف عليه السلام من الذين أخلصوا توحيد الله وعبادته، وأما قراءة ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بفتح اللام، فقد أفادت أن يوسف عليه السلام من الذين أخلصهم الله لنفسه فاختارهم، «وقد كان يوسف عليه السلام بهاتين الصفتين، لأنه كان مُخْلِصاً في طاعة الله تعالى، مستخلصاً لرسالة الله تعالى» (٣٣٨). والقراءتان يرجع معنى إحداهما إلى الأخرى، «وذلك أن من أخلصه الله لنفسه، فاختاره، فهو مُخْلِصٌ لله التوحيد والعبادة، ومن أخلص توحيد الله وعبادته. فلم يشرك بالله شيئاً، فهو ممن أخلصه الله» (٣٣٩).

١٢ - ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِئًا وَآتَتْ كُلَّ وَجِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف: ٣١].

القراءات:

١ - قرأ أبو عمرو ﴿حَاشَا﴾ بألف بعد الشين وصلأ وحذفها وقفأ.

٢ - قرأ الباقون ﴿حَشَّ﴾ بحذف الألف وصلأ ووقفأ (٣٤٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

(حشوى): الحاء والشين وما بعدها معتلّ أصل واحد، وهو أن يودع الشيء وعاءً باستقصاء، والحشا: حشا الإنسان وهو ما دون الحجاب مما في البطن من كبد وطحال وكرش وما تبعه، والجمع أحشاء، والحشا

(٣٣٧) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٩١، الملخص في إعراب القرآن ص ٤٥، تفسير الفخر الرازي ج ١٢ ص ١٢٣، تفسير القاسمي ج ٦ ص ٣١٥.

(٣٣٨) تفسير القرطبي ج ٩ ص ١٧٠.

(٣٣٩) تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٩١.

(٣٤٠) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٥، والبدور الزاهرة ص ١٦٣.

الناحية، وهو من قياس الباب لأن لكل ناحية أهلاً فكانهم حشوها، والحاشية جانب الثوب وغيره، وقوله تعالى: ﴿حَشَّ لِلَّهِ﴾ اشتق من قولك كنت في حشا فلان أي في ناحية فلان، والمعنى: براءة لله من هذا ومعاداً لله، وإذا قلت: حاشى لزيد، هذا من التَّنْحِي والمعنى: قد تنحى زيد من هذا وتباعد عنه. وحاشى فلاناً: معناه قد استثنيت وأخرجته فلم أدخله في جملة المذكورين^(٣٤١).

قال الأنباري النحوي: «ذهب الكوفيون إلى أن (حاشى) في الاستثناء فعل ماض، وذهب بعضهم إلى أنه فعل استعمل استعمال الأدوات، وذهب البصريون إلى أنه حرف جر، وذهب أبو العباس المبرّد^(٣٤٢) إلى أنه يكون فعلاً ويكون حرفاً»^(٣٤٣).

قال الراغب: «وَقَلْنَ حَشَّ لِلَّهِ» أي بعداً منه»^(٣٤٤).

التفسير:

يقول الله تعالى: فلما سمعت امرأة العزيز بمكر النسوة اللاتي قلن في المدينة: ﴿أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْلَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَنَّهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، أرسلت إليهن وأعدت لهن مجلساً للطعام، وما يتكثن عليه من الوسائد، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً لتقطع به الطعام، وقالت ليوسف عليه السلام: ﴿أَخْرِجْ عَلَيْنَ﴾، فخرج عليهن، فلما رأينه أعظمته وأجللنه، وقطعن أيديهن وهن لا يشعرن، وقلن: ﴿حَشَّ لِلَّهِ﴾ أي تنزيهاً لله عن صفات

(٣٤١) انظر: معجم مقاييس اللغة ج٢ ص٦٥، لسان العرب ج٢ ص١٧٨، ١٧٩، القاموس المحيط ص١٦٤٤، ١٦٤٥.

(٣٤٢) المبرّد (بفتح الراء المشددة عند الأكثر وبعضهم بالكسر): محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرّد، إمام العربية ببغداد في زمانه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، ولد بالبصرة سنة ٢١٠هـ، وتوفي ببغداد سنة ٢٨٦هـ، من كتبه: الكامل، المقتضب. (انظر: الأعلام ج٥ ص١٤٤).

(٣٤٣) الإنصاف في مسائل الخلاف ج١ ص٢٧٨.

(٣٤٤) المفردات في غريب القرآن ص١٣٦.

النقص، وتعجباً من قدرة الله تعالى على خلق مثل هذا الجمال، وقلن: ما هذا بشراً - لأنهن لم يرين في حسن صورته من البشر أحداً -، إن هذا إلا ملك من الملائكة^(٣٤٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

حجة من قرأ ﴿حاشا﴾ وصلأ أنه جاء بها على الأصل، وحذف الألف في الوقف أتباعاً لرسم المصحف، ومن قرأ ﴿حَشْ﴾ وصلأ ووقفاً فعلى حذف الألف تخفيفاً، ولأن الفتحة تدل عليها، ولأنها وقعت في المصحف بغير ألف. وحذف الألف وإثباتها على لغتين من لغات العرب^(٣٤٦).

قال الطبري: «وهو في هذا الموضع عندنا بمعنى التنزيه لله، كأنه قيل: معاذ الله. وأما القول في قراءة ذلك، فإنه يقال للقارئ الخيار في قراءته بأي القراءتين شاء، إن شاء بقراءة الكوفيين وإن شاء بقراءة البصريين، وهو ﴿حَشْ لِلَّهِ﴾ و﴿حاشا لله﴾ لأنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنى واحد»^(٣٤٧).

وعليه فإن القراءتين على لغتين من لغات العرب، وكل قراءة منهما تُلقِي بظلالها على المعاني، فإثبات الألف بما فيها من مد يفيد المبالغة في التنزيه، وحذف الألف فيه إيماء ونكتة بديعة، حيث يدل على نفي النقص عن الله ﷻ، وإثبات قدرته على خلق كل ما هو جميل، كما أنها تنفي شبه يوسف عليه السلام بالبشر على أبلغ وجه^(٣٤٨). والله تعالى أعلى وأعلم.

(٣٤٥) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ٢٠٦ - ٢٠٩، التفسير الواضح ج ١٢ ص ٧٧، التفسير المنير ج ١٢ ص ٢٥٤.

(٣٤٦) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ٢٠٨، مشكل إعراب القرآن ص ٣٨٦، ٣٨٧، الكشف ج ٢ ص ١٠، حجة القراءات ص ٣٥٩، الملخص في إعراب القرآن ص ٤٩، المذهب ج ١ ص ٣٣٧.

(٣٤٧) تفسير الطبري ج ١٢ ص ٢٠٨.

(٣٤٨) أستوحى هذا المعنى من كلام البقاعي عند بيانه لعلة حذف حركة الرفع في قوله تعالى ﴿تَأْتِيَنَّكَ﴾ [يوسف: ١١] (انظر: نظم الدرر ج ٤ ص ١٥)، وانظر: ص ٨٦ من هذا البحث.

١٣ - ﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْغَالِبِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

القراءات:

١ - قرأ يعقوب (السَّجْنُ) بفتح السين.

٢ - قرأ الباقون (السَّجْنُ) بكسر السين (٣٤٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿السَّجْنُ﴾ بكسر السين: المَحْبَسُ، وهو البيت الذي يُحبس فيه. و﴿السَّجْنُ﴾ بفتح السين: الحبس، وهو مصدر من سَجَنَهُ يَسْجُنُهُ سَجْنًا أي حبسه. وفي الحديث: «ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طولِ سَجْنٍ من لسانٍ» (٣٥٠) (٣٥١).

التفسير:

صرّحت امرأت العزيز للنسوة في مجلسها بما كان منها من مراودة يوسف ﷺ واستعصامه، وهددت وتوعدت إن لم يمثل لأمرها أن يكون عقابه السَّجْن والصَّغار، فجعلت النسوة يزيّن ليوسف ﷺ طاعتها، وينهيته عن إلقاء نفسه في السجن. وإزاء تلك المراودة والتهديد بالحبس لجأ يوسف ﷺ إلى ربه فجعل يناجيه بتضرع وخشوع قائلاً: يا رب إنّ السجن بما فيه من شرّ ظاهر، أثر عندي وأحبّ إلى نفسي من اقتراف الفاحشة، وإن لم تدفع عني شرهن وتعصمني منهن، أمل إليهن، وأتابعهن على ما يردن مني، وأكن بذلك من الذين جهلوا حقك وخالفوا أمرك ونهيك، فمنك العون

(٣٤٩) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٥، البدور الزاهرة ص ١٦٣.

(٣٥٠) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح (٨٧٤٥) ج ٩ ص ١٦٢، والبيهقي في شعب الإيمان باب في الجهاد ح (٤٢٢٠) ج ٤ ص ١٠، ١١. قال الهيثمي «رواه الطبراني بأسانيد ورجاله ثقات». (مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٠٣).

(٣٥١) انظر: تاج العروس ج ٩ ص ٢٣١، لسان العرب ج ٣ ص ١٩٤٧.

والمنعة، وأنت المستعان وعليك التكلان^(٣٥٢).

قال ابن تيمية: «وفي قول يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْكَاهِلِينَ﴾ عبرتان:

إحدهما: اختيار السجن والبلاء على الذنوب والمعاصي.

والثانية: طلب سؤال الله ودعائه أن يثبت القلب على دينه، ويصرفه إلى طاعته، وإلا فإذا لم يثبت القلب وإلا صبا إلى الأمرين بالذنوب وصار من الجاهلين.

ففي هذا توكل على الله واستعانة به أن يثبت القلب على الإيمان والطاعة، وفيه صبر على المحنة والبلاء والأذى الحاصل إذا ثبت على الإيمان والطاعة^(٣٥٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ ﴿السِّجْنُ﴾ بكسر السين فهو المَحْبَسُ أي المكان الذي يُحْبَسُ فيه، وهو اسم والتقدير: سكنى السِّجْنُ، ومن قرأ ﴿السِّجْنُ﴾ بفتح السين فهو مصدر سَجَنَهُ سَجْنًا، بمعنى الحبس في مكان محيط لا يخرج منه^(٣٥٤).
فيوسف عليه السلام فضّل الحبس مع التمسك بطاعة الله على الحرية التي ثمنها أن يرتكب الفاحشة، وفضّل سكنى السجن، رغم ما فيه من مقاساة على سكنى القصور، حيث أضحت تلك القصور بيئة ملوثة لا يحب المكث

(٣٥٢) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ٢١٠، ٢١١، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٠٣، تفسير أبي السعود ج ٣ ص ١٠٣، ١٠٤، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٥٠، التفسير الواضح ج ١٢ ص ٧٨، التفسير المنير ج ١٢ ص ٢٥٦.

(٣٥٣) مجموع الفتاوى ج ١٥ ص ١٣٠.

(٣٥٤) انظر: إملأ ما من به الرحمن ج ٢ ص ٥٣، شرح طيبة النشر لأحمد بن الجزري ص ٢٥٤، التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٢٦٤، المذهب ج ٢ ص ٣٣٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٢٧٣، ٢٧٤.

فيها، وهكذا لا يستريح الطيب في البيئة الخبيثة^(٣٥٥).

وعليه فإن القراءة بكسر السين بينت أن يوسف عليه السلام كره التمتع بسكنى القصور ببيئتها الملوثة وفضل عليها سكنى السجن، أما القراءة بفتح السين فبينت أن يوسف عليه السلام كره التمتع بحريته مع فعل المحرم وفضل عليها الحبس مع العفة. والقراءتان معاً أكدتا كراهية يوسف عليه السلام لارتكاب الفاحشة. والله تعالى أعلم.

١٤ - ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف: ٤٧].

القراءات:

١ - قرأ حفص ﴿دَأَبًا﴾ بفتح الهمزة.

٢ - قرأ الباقر ﴿دَأَبًا﴾ بإسكان الهمزة^(٣٥٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

دأب: الدأب والدأب بالتخريك العادة والشأن وفي الحديث: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم»^(٣٥٧). ودأب فلان في عمله أي جد وتعب يدأب دأباً ودأباً ودؤوباً فهو دئب، وكل ما أدمته فقد أذأبته^(٣٥٨).

التفسير:

يقول تعالى: قال يوسف عليه السلام لسائله عن رؤيا الملك: تزرعون سبع

(٣٥٥) انظر: التفسير الواضح ج ١٢ ص ٧٨.

(٣٥٦) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٥، والبدور الزاهرة ص ١٦٣.

(٣٥٧) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ ح (٣٥٦٠) ج ٥ ص ٣٢٣، وابن خزيمة: كتاب جماع أبواب صلاة التطوع بالليل، باب التحريض على قيام الليل ح (١١٣٥) ج ٢ ص ١٦٧، ١٧٧. وهو حديث حسن صحيح. (انظر سنن الترمذي تحقيق الألباني ص ٨٠٦).

(٣٥٨) انظر: لسان العرب ج ٢ ص ١٣١٠، الصحاح ج ١ ص ١٢٣، القاموس المحيط ص ١٠٥، بصائر ذوي التمييز ج ٢ ص ٦١٣.

سنين متوالية، كما كنتم تزرعون سائر السنين على عادتكم فيما مضى، فما حصدم من زرع فاتركوه بدون درس حتى لا يفسد، إلا قليلا مما تأكلون فادرسوه لذلك^(٣٥٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿دَابَّ﴾ نصب على المصدر لأن معنى ﴿تَزْرَعُونَ﴾ يدل على (تدأبون)، والفتح والإسكان في المصدر لغتان كقولهم: النَّهْرُ والنَّهَرُ والسَّمْعُ والسَّمَعُ وقيل إنما حرك وأسكن لأجل حرف الحلق^(٣٦٠)، وكذلك سائر ما فتح أوله وثانيه حرف من حروف الحلق^(٣٦١). فالقراءتان على لغتين من لغات العرب. ولكن ثم هناك علاقة بين هاتين اللغتين في الكلمة وبين معنى الكلمة، فالكلمة تحمل معنيين يرجع كل منهما إلى الآخر وهما التتابع والتوالي، والعادة والاستمرار. قال القرطبي: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابَّ﴾ أي متوالية متتابعة^(٣٦٢). وقال الماوردي: «قوله ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابَّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني تباعاً متوالية.

الثاني: يعني العادة المألوفة في الزراعة»^(٣٦٣).

ويمكن القول إن كل قراءة ناسبت معنى من معاني الكلمة، فسكون الهمز في قراءة ﴿دَابَّ﴾ ناسب معنى الاستمرار والثبات على الشيء، حيث يزرعون كعادتهم التي اعتادوا عليها من قبل، أما القراءة بفتح الهمز ﴿دَابَّ﴾،

(٣٥٩) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ٢٣٠، تفسير القرطبي ج ٩ ص ٢٠٣، أيسر التفاسير ج ٢ ص ٤٨٣.

(٣٦٠) حروف الحلق ستة وهي: (أ، هـ، ع، ح، غ، خ) انظر: نهاية القول المفيد ص ٦٣.

(٣٦١) انظر: مشكل إعراب القرآن ج ١ ص ٣٨٨، الكشف ج ٢ ص ١١، الملخص في إعراب القرآن ص ٥٤، ٥٥، تفسير البغوي ج ٣ ص ١٧٠.

(٣٦٢) تفسير القرطبي ج ٩ ص ٢٠٣.

(٣٦٣) تفسير الماوردي ج ٣ ص ٤٤.

فقد ناسب فيها تتابع الحركات معنى التتابع والتوالي، حيث يزرعون سبع سنين متوالية بلا انقطاع. والله تعالى أعلم.

١٥ - ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾

[يوسف: ٤٩].

القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿تَعَصِرُونَ﴾ بقاء الخطاب.

٢ - قرأ الباقر ﴿يَعَصِرُونَ﴾ بياء الغيبة^(٣٦٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال الراغب: «عصر: العَصْرُ مصدر عَصَرْتُ والمَعْصُور الشيء العَصِيرُ، والعَصارة نُقَاية ما يُعَصَر. قال: ﴿إِنِّي أَرْتَقِي أَقْصَرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، وقال: ﴿وَفِيهِ يَعَصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩] أي يستنبطون منه الخير»^(٣٦٥).

التفسير:

هذا تتمّة كلام يوسف عليه السلام بعد أن أوّل رؤيا الملك، حيث أنبأهم أنه سيأتي بعد السنين السبع الشداد عام كثير الخير غزير النعم، فيه ينجي الله تعالى الناس من هذا القحط، فيمطرون ويكثر الخصب فيعصرون الأعناب والزيتون وغيرها وقيل يحلبون الصروع^(٣٦٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الحجة لمن قرأ بالياء أنه رده إلى ﴿النَّاسُ﴾ في قوله تعالى ﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ ومن قرأه بالتاء فحجته أنه رده إلى المخاطبين المتقدمين في قوله

(٣٦٤) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٥، الدور الزاهرة ص ١٦٤.

(٣٦٥) المفردات في غريب القرآن ص ٣٣٦.

(٣٦٦) انظر: الكشف ج ٢ ص ٣٢٥، التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٢٨٦، تفسير المنار

ج ١٢ ص ٣٢٠، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٥٦.

تعالى: ﴿تَزَعُونَ﴾ فخصهم بذلك دون الناس^(٣٦٧). «وفائدة القراءتين، بيان المنة على الفريقين من غائب محكي عنه، وحاضر مخاطب بما يكون منه»^(٣٦٨).

١٦ - ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِي قُلْتُ خَشِيَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ أَمْرَأْتُ الْعَزِيزُ الْفَنَّ حَصَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١].

القراءات:

١ - قرأ أبو عمرو (حاشاً) بألف بعد الشين وصلأ وحذفها وقفأ.

٢ - قرأ الباقون (حاش) بحذف الألف وصلأ ووقفأ^(٣٦٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق بيانه^(٣٧٠).

التفسير:

رجع الرسول إلى الملك من عند يوسف عليه السلام برسالته، فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز، فقال لهن، ما كان شأنكن حين خادعتن يوسف عليه السلام عن نفسه، ورغبته في إطاعة مولاته وارتكاب الفاحشة، هل وجدتن فيه شيئاً من سوء وريبة. فأجبن الملك: ﴿خَشِيَ لِلَّهِ﴾ أي تنزيهاً لله وتعجباً من عفة يوسف عليه السلام وخشيته لله، ما نعرف عنه سوءاً قط في تاريخه الطويل، وحينئذ قالت امرأة العزيز: الآن تبين الحق وانكشف فظهر، أَنَا خادعته عَنْ نَفْسِهِ ودعوته إلى ارتكاب الفاحشة، وَإِنَّهُ لَصَادِقٌ فِي قوله: ﴿هِيَ رَاوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾. وهذا اعتراف صريح من امرأة العزيز ببراءة

(٣٦٧) انظر: حجة القراءات ص ١٩٦، الملخص في إعراب القرآن ص ٥٥.

(٣٦٨) تفسير المنار ج ١٢ ص ٣٢٠.

(٣٦٩) انظر: النشرج ٢ ص ٢٩٥، والبدور الزاهرة ص ١٦٣.

(٣٧٠) انظر ص ١٠٤ من هذا البحث.

يوسف عليه السلام (٣٧١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال مكي: «الأصل في ﴿حَشَّ لِلَّهِ﴾ أن تكون بالألف، لكن وقعت في المصحف بغير ألف اكتفاء بالفتحة من الألف، كما حذفت النون في (لم يك)، ومعنى ﴿حَشَّ لِلَّهِ﴾ بعد يوسف عن هذا الذي رمي به، (الله) أي لخوفه الله ومراقبته له» (٣٧٢).

قال الطبري: «وأما القول في قراءة ذلك، فإنه يقال للقارئ الخيار في قراءته بأي القراءتين شاء، إن شاء بقراءة الكوفيين وإن شاء بقراءة البصريين، وهو ﴿حَشَّ لِلَّهِ﴾ و﴿حاشا لله﴾ لأنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنى واحد» (٣٧٣).

قال ابن هشام: «حاشا على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون فعلاً متعدياً متصرفاً، تقول (حاشيته) بمعنى استثنيته.

الثاني: أن تكون تنزيهية نحو ﴿حَشَّ لِلَّهِ﴾، وهي عند البعض فعل، قالوا: والمعنى في الآية: جانب يوسف المعصية لأجل الله. ولا يتأتى هذا التأويل في مثل ﴿حَشَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾. والصحيح أنها اسم مرادف للبراءة من كذا.

الثالث: أن تكون للاستثناء» (٣٧٤).

وعليه فإن القراءتين على لغتين من لغات العرب، وحذف الألف

(٣٧١) انظر: تفسير الطبري ج ١٢ ص ٢٣٦، ٢٣٧، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٠٩، تفسير أبي السعود ج ٣ ص ١١٥، ١١٦، التفسير الواضح ج ١٢ ص ٨٥، التفسير المنير ج ١٢ ص ٢٨٢، ٢٨٣.

(٣٧٢) مشكل إعراب القرآن ص ٣٨٦، وانظر: الكشف ج ٢ ص ١٠، إبراز المعاني ص ٥٣٤، ٥٣٥.

(٣٧٣) تفسير الطبري ج ١٢ ص ٢٠٨.

(٣٧٤) مغني اللبيب ج ١ ص ١٢١، ١٢٢ - باختصار.

تخفيفاً، واكتفاءً بالفتحة الدالة عليها، وإثبات الألف على الأصل. كما أن ﴿حَشَّ لِلَّهِ﴾ هنا يحتمل أمرين:

الأول: أنها اسم مرادف للبراءة من كذا، أي: قلن معاذ الله، بمعنى التنزيه لله ﷻ. وهو الأرجح، والثاني: أنها فعل، والمعنى في الآية: جانب يوسف المعصية لأجل الله.

وعلى المعنى الأول فإن إثبات الألف بما فيها من مدّ يفيد المبالغة في التبرئة والتنزيه، وحذفها يومئذ إلى نفي النقص عن الله تعالى على أبلغ وجه. وعلى المعنى الثاني، فإثبات الألف بما فيها من مدّ يفيد المبالغة في تبرئة يوسف ﷺ مما زُمي به، وحذف الألف فيه إيماء إلى نفي السوء والشر عن يوسف ﷺ على أبلغ وجه^(٣٧٥). والله تعالى أعلى وأعلم.

١٧ - ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير ﴿حَيْثُ نَشَاءُ﴾ بالنون.

٢ - قرأ الباقون ﴿حَيْثُ يَشَاءُ﴾ بالياء^(٣٧٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

شيأ: المَشِيئة: الإرادة. تقول: شِئْتُ الشَّيْءَ أَشَاءُ شَيْئاً وَمَشَاءً وَمَشَايَةً، أي: أَرَدْتَهُ، والاسم الشَّيْئَةُ. وفي الحديث: «أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ إِنَّكُمْ تُنَدُّونَ^(٣٧٧) وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ

(٣٧٥) انظر: ص ١٠٦ من هذا البحث.

(٣٧٦) انظر: الشرح ٢ ص ٢٩٥، البدور الزاهرة ص ١٦٥.

(٣٧٧) تُنَدُّونَ: أي تجعلون لله نَدِيداً. وَنَدِيدُ الشَّيْءِ وَنَدَاهُ: مُشَارِكُهُ فِي جَوْهَرِهِ، وَذَلِكَ ضَرْبٌ مِنَ الْمِمَالَةِ، فَإِنَّ الْمِثْلَ يُقَالُ فِي أَيِّ مِثْلَةٍ كَانَتْ، فَكُلُّ نَدٍّ مِثْلٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مِثْلٍ نَدّاً. (انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٤٨٦).

وَيَقُولُونَ وَالْكَفَبَةِ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا رَبِّ الْكَفَبَةِ، وَيَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتُ^(٣٧٨). ففَرَّقَ بَيْنَ قَوْلٍ: (ما شاء الله وشئت) و(ما شاء الله ثم شئت) لأنَّ الواو تفيد الجمع دون الترتيب، و(ثم) تجمع وترتب، فمع الواو يكون قد جمع بين الله وبينه في المشيئة، ومع (ثم) يكون قد قَدَّمَ مشيئة الله على مشيئته^(٣٧٩).

التفسير:

بعد أن ظهرت براءة يوسف ﷺ مما رُمي به وقربه الملك إليه، أشار يوسف ﷺ على الملك أن يجعله ﴿عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾، فقبل الملك عرضه فاستوزره، وبذلك أنعم الله ﷻ على يوسف ﷺ نعمة عظيمة، فجعل له سلطاناً وقدرة في أرض مصر، ينزل منها أي مكان أراد، ويتصرف في أمورها كيف شاء، وهذا شأن الله في عباده، يهب نعمته لمن يختار منهم، كما وهبها ليوسف ﷺ فمكَّن له في الأرض بعد الإلقاء في الحبِّ وبعد العبودية والإسار، والله ﷻ لا يضيع أجر من أحسن فأطاع ربه، وعمل بما أمره وانتهى عما نهاه عنه، فما أضاع صبر يوسف ﷺ وإنما أعقبه النصر والتأييد^(٣٨٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿حَيْثُ يَشَاءُ﴾ بالياء على جعل الفعل ليوسف ﷺ، حيث له المشيئة بعد مشيئة الله ﷻ، ويمكن أن يكون الفعل لله على تقدير: حيث يشاء الله، فيكون التفاتاً^{(٣٨١)(٣٨٢)}.

(٣٧٨) أخرجه النسائي: كتاب الإيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة، ح (٣٧٧٣) ص ٥٨٣. والحديث صحيحه الألباني. (انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ١ ص ٢٦٣).

(٣٧٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٧١، العباب الزاخر ج ١ ص ١١٨، لسان العرب ج ٤ ص ٢٣٦٩، تاج العروس ج ١ ص ٨٣.

(٣٨٠) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ٦، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧١١، المنتخب ص ٣٤٠.

(٣٨١) الالتفات: «هو الانتقال من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر نظرية للكلام وتفننا في الأسلوب» (التحجير في علم التفسير ص ١٢٠).

(٣٨٢) انظر: البحر المحيط ج ٥ ص ٣١٨، روح المعاني ج ١٣ ص ٦.

تفسير القراءة بالقراءات القرآنية العشر

والقراءة ﴿حَيْثُ نَشَأُ﴾ بالنون على جعل الإخبار بالفعل لله ﷻ لأن مشيئة يوسف عليه السلام إنما هي بمشيئة الله تعالى وأقداره^(٣٨٣). قال تعالى: ﴿وَمَا نَشَأُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ وذلك كله بمشيئة الله تعالى وأقداره. كما أن إيراد القراءة تارة بنسبة المشيئة لله ﷻ وتارة أخرى بنسبتها ليوسف عليه السلام تومئ لمعنى لطيف، وهو أن هوى يوسف عليه السلام وفعله، وافق مراد الله ﷻ، وذلك قمة التقوى والإيمان. هذا على تأويل من جعل الضمير عائداً على يوسف عليه السلام في القراءة ﴿حَيْثُ يَشَاءُ﴾ بالياء، أما من جعل الضمير في القراءتين عائداً على الله تعالى، فإن فائدة تنوع القراءة في هذا الموضع هي فائدة بلاغية، حيث جاءت القراءة ﴿حَيْثُ يَشَاءُ﴾ بالياء على الالتفات وما فيه من تطرية للسامع وتفتناً في الأسلوب، والقراءة ﴿حَيْثُ نَشَأُ﴾ بالنون جاءت جرياً على السياق. والله تعالى أعلم.

١٨ - ﴿وَقَالَ لِفَتْنَيْهِ أَجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يوسف: ٦٢].

القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿لِفَتْنَيْهِ﴾ بألف بعد الياء ونون مكسورة بعدها.

٢ - قرأ الباقون ﴿لِفَتْنَيْهِ﴾ بتاء مكسورة بعد الياء من غير ألف^(٣٨٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال ابن فارس: «(فتى) الفاء والتاء والحرف المعتل أصلاً: أحدهما يدل على طراوة وجدة، والآخر على تبين حكم»^(٣٨٥). ومنه الفتى: الشاب.

(٣٨٣) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ١٩٦.

(٣٨٤) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٥، والبدور الزاهرة ص ١٦٥.

(٣٨٥) معجم مقاييس اللغة ج ٤ ص ٤٧٣.

والفتاة: الشابة. وقد فتى بالكسر يفتى فتى، فهو فتى بين الفتاء، والفتى: السخي الكريم. يقال: هو فتى بين الفتوة. وقد تفتى وتفتى، والجمع فتيان وفتية وفتو وفتي. والفتى والفتاة العبد والأمة وفي حديث النبي ﷺ أنه قال: «ولا يقل أحدكم عبدي أمتي، وليلقل فتاي وفتاتي وغلامي»^(٣٨٦)، وسمى الله تعالى صاحب موسى ﷺ الذي صحبه في البحر (فتاه) فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا آتِبْرُحُ حَقَّ أَتْلُغَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِ حُقُبًا ۖ﴾ [الكهف: ٦٠]، قال لأنه كان يخدمه في سفره. وقوله ﷺ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيَئِتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥]، المحصنات: الحرائر، والفتيات: الإماء وقوله ﷺ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ [يوسف: ٣٦]، جائز أن يكونا حداثين أو شيخين لأنهم كانوا يسمون المملوك فتى^(٣٨٧).

التفسير:

لما هم إخوة يوسف ﷺ بالرحيل، قال يوسف ﷺ لغلمانه: ضعوا أثمان الطعام التي أخذتموها منهم في أمتعتهم، من حيث لا يشعرون، عساهم يرونها إذا عادوا إلى أهلهم، فيكون ذلك أرجى لعودتهم^(٣٨٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

«فتية وفتيان جمع فتى، كإخوة وإخوان: الأول للقلة والثاني للكثرة»^(٣٨٩).

(٣٨٦) الحديث أخرجه البخاري: كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، ح (٢٥٥٢) ص ٤٨٢.

(٣٨٧) انظر: الصحاح في اللغة ج ٦ ص ٢٤٥١، المفردات في غريب القرآن ص ٣٧٢، لسان العرب ج ٥ ص ٣٣٤٧، ٣٣٤٨.

(٣٨٨) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ٩، المنتخب ص ٣٤١.

(٣٨٩) إبراز المعاني ص ٥٣٦، وانظر: الحجة للقراء السبعة ج ٤ ص ٤٣٠، الحجة في القراءات السبع ص ١٩٦، الكشف ج ٢ ص ١٢، حجة القراءات ص ٣٦١، تفسير الفخر الرازي ج ١٨ ص ١٧٢، روح المعاني ج ١٣ ص ١٠.

وقراءة ﴿لِفَتْنَيْنِهِ﴾ تشير إلى:

١ - كثرة الخدمة ليوسف عليه السلام، حيث يجوز أن يكون وجه أمره للكثير، وتولى الفعل منهم القليل. قال مكي: «﴿لِفَتْنَيْنِهِ﴾ على وزن (فعلان) جعلوه جمع فتى في أكثر العدد، ويقوي ذلك قوله: ﴿فِي رَحَالِهِمْ﴾، فأتى بجمع لأكثر العدد، فأخبر بكثرة الخدمة ليوسف، وإن كان الذين تولوا جعل البضاعة في الرحال بعضهم^(٣٩٠)، وقال أبو علي الفارسي: «وجه الجمع الكثير: أنه يجوز أن يقال ذلك للكثير، ويتولى الفعل منهم القليل»^(٣٩١).

٢ - كثرة عدد الخدمة الذين باشروا العمل، وقد ناسب ذلك كثرة الرحال.

قال أبو علي الفارسي: «ويقوي البناء الكثير قوله ﴿أَجْعَلُوا يَصْنَعَنَّهُمْ فِي رَحَالِهِمْ﴾ فكما أن الرحال للعدد الكثير، لأن جمع القليل: أرحل: فكذلك الْمُتَوَلُّونَ ذلك يكونون كثرة»^(٣٩٢).

قلت: هذا يشير بشكل أبلغ إلى كثرة الخدمة الذين يأترون بأمر يوسف عليه السلام، فالذين باشروا العمل هم البعض، فإن كان البعض كثير، فكيف الكل.

أما قراءة ﴿لِفَتْنِيَّتِهِ﴾ فإنها تشير إلى عدد الخدمة الذين باشروا العمل وهم بعض الخدمة لدى يوسف عليه السلام وهم قليل بالنسبة للكل.

قال مكي: «و﴿لِفَتْنِيَّتِهِ﴾ على وزن (فَعْلَة) جعلوه جمع فتى في أقل العدد، لأن الذين تولوا جعل البضاعة في رحالهم يكفي منهم أقلهم»^(٣٩٣). وقال الفخر الرازي: «فوجه البناء الذي للعدد القليل أن الذين يحيطون بما

(٣٩٠) الكشف ج ٢ ص ١٢ - بتصرف يسير.

(٣٩١) الحجة للقراء السبعة ج ٤ ص ٤٣٠.

(٣٩٢) الحجة للقراء السبعة ج ٤ ص ٤٣٠.

(٣٩٣) الكشف ج ٢ ص ١٢ - بتصرف يسير، وانظر: الحجة للقراء السبعة ج ٤ ص ٤٣٠، إبراز المعاني ص ٥٣٦.

يجعلون بضاعتهم فيه من رحالهم يكونون قليلين لأن هذا من باب الأسرار فوجب صونه إلا عن العدد القليل» (٣٩٤).

وعليه فإن قراءة ﴿لِفَتْنَتِهِ﴾ تُشعر أن أمر يوسف عليه السلام لغلمان به جعل أثمان الطعام في رحال إخوته كان فيه شيء من السرية، أما قراءة ﴿لِفَتْنَتِهِ﴾ فإنها تفيد أن الذين باشروا الفعل كثيرون وذلك لكثرة الرحال، حيث إن يوسف عليه السلام قد أجزل العطاء لإخوته فحمل لهم رحالاً. كما أن هذه القراءة تحمل إشارة لطيفة إلى النعمة التي أنعمها الله على يوسف عليه السلام حيث كان لعظيم شأنه ياتمر بأمره عدد كبير من الغلمان. والله تعالى أعلم.

١٩ - ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَيْهَتِهِمُ قَالُوا يَتَابَانَا مِثْلَ مِمَّا آكَلْنَا مِنْهُ فَأَرْسِلَ مَعَنَا خَافًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١٣) [يوسف: ٦٣].

القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿يَكْتَلُ﴾ بالياء.

٢ - قرأ الباقون ﴿نَكْتَلُ﴾ بالنون (٣٩٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

«الكيل: كيل الطعام. يُقال: كِلْتُ فلاناً أعطيته، واكْتَلْتُ عليه أخذت منه. قال الله سبحانه: ﴿وَبَدِّلْ لِلْمُطَفِّينَ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (٢) [المطففين: ١ - ٣]» (٣٩٦).

التفسير:

لَمَّا رَجَعَ إِخْوَةُ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ رَحْلَتِهِمْ لَجَلْبِ الْمِيرَةِ أَخْبَرُوا آبَاهُمْ أَنَّ عَزِيزَ مِصْرَ قَدْ مَنَعَ مِنْهُمْ الْكِيلَ بَعْدَ هَذِهِ الْمَرَّةِ إِنْ لَمْ يَأْتُوا بِأَخِيهِمْ

(٣٩٤) تفسير الفخر الرازي ج ١٨ ص ١٧٢.

(٣٩٥) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٥، والبدور الزاهرة ص ١٦٥.

(٣٩٦) معجم مقاييس اللغة ج ٥ ص ١٥٠. وانظر: المفردات في غريب القرآن ص ٤٤٤، لسان

العرب ج ٥ ص ٣٩٦٨.

بنيامين، وأشاروا عليه أن يرسله معهم، فيكونوا قد وفّوا للعزیز بما شرط عليهم، فلا يحرمهم الكيل، وبذلك يتمكنون من إحضار الطعام لأهلهم، وتعهّدوا بحفظ أخيه أن يمسه أي مكروه، وأشاروا إلى فائدة أخرى من اصطحابه، وهي أنه سيُكَال له أيضاً فيزدادوا بذلك كَيْلَ بَعِيرٍ^(٣٩٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الخطيب التبريزي: «فمن قرأ بالياء أراد: يصيبه كيلٌ لنفسه، يبين ذلك قوله: ﴿وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: ٦٥]، ومن قرأ بالنون أراد: إن أرسلته اكتلنا، وإلاّ فقد منعنا الكيل، لقوله: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ [يوسف: ٦٠]»^(٣٩٨).

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: إن أرسلت أخانا معنا اكتلنا وإلاّ حُرْمنا الكيل، كما أننا سنحقق فائدة أخرى، وهو أن أخانا سيصيبه كيلٌ لنفسه فتزداد بحضوره كيل بعير. والله أعلم.

٢٠ - ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنْتُمْ عَلَيَّ إِلَّا كَمَا ءَامَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿حَفِظًا﴾ بالالف بعد الحاء وكسر الفاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿حِفْظًا﴾ بكسر الحاء وإسكان الفاء من غير ألف^(٣٩٩).

(٣٩٧) انظر: تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧١٣، التفسير المنير ج ١٣ ص ٢٠، التفسير الواضح ج ١٣ ص ٨.

(٣٩٨) الملخص في إعراب القرآن ص ٥٨، وانظر: حجة القراءات ص ٣٦١، الكشف ج ٢ ص ١٢، ١٣.

(٣٩٩) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٥، ٢٩٦، البدور الزاهرة ص ١٦٢.

المعنى اللغوي للقراءات:

الحفظ: التعاهد وقله الغفلة، وحَفِظْتَ الشيءَ حِفْظاً أي حرسه،
والحافظ: المُوكل بالشيء يحفظه^(٤٠٠).

قال الراغب: «كل تفقيد وتعهد ورعاية يُسمى حفظاً، قال تعالى:
﴿وَأَنَّا لَمُهَافِظُونَ﴾ [يوسف: ٦٢]، ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨].
وقوله ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا﴾ وقرئ ﴿حِفْظًا﴾ أي حفظه خير من حفظ
غيره»^(٤٠١).

التفسير:

عندما طلب إخوة يوسف عليه السلام من أبيهم أن يرسل أخاهم بنيامين معهم، وتعهدوا بحفظه قائلين: ﴿وَأَنَّا لَمُهَافِظُونَ﴾ قال لهم يعقوب عليه السلام منكرأ مقولتهم: هل آمنكم على أخيك من أبيكم الذي تسألوني أن أرسله معكم إلا كما أمنتكم على أخيه يوسف - عليه السلام - من قبله، وقد قلت أيضاً في حقه ما قلت ثم فعلتم به ما فعلتم فغيبتموه عني وحلتم بيني وبينه، فلا أثق بكم ولا بحفظكم وإنما أفوض أمري إلى الله تعالى فهو خير الحافظين وحفظه خير من حفظكم، وسيرحم كبري وضعفي ووجدي بولدي وأرجو من الله أن يرد ولدي علي ويجمع شملي به، إنه أرحم الراحمين. وهذا ميل منه عليه السلام إلى الإذن بإرسال بنيامين معهم لما رأى فيه من المصلحة وفيه أيضاً من التوكل على الله تعالى ما لا يخفى^(٤٠٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وجه القراءة ﴿حِفْظًا﴾ على وزن (فعل) أن إخوة يوسف عليه السلام لما نسبوا إلى أنفسهم الحفظ، فقالوا: ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ رد عليهم يعقوب ذلك

(٤٠٠) انظر: لسان العرب ج ٢ ص ٩٢٩.

(٤٠١) المفردات في غريب القرآن ص ١٢٤ - باختصار وتصرف يسير.

(٤٠٢) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ١١، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧١٣، روح المعاني ج ١٣ ص ١١.

فقال: ﴿فَاللهُ خَيْرٌ حِفْظًا﴾ أي خير من حفظكم الذي نسبتموه إلى أنفسكم، وقيل: تقديره: فالله خير منكم حفظاً، فأتى بالمصدر الدال على الفعل، ونصبه على التفسير. ووجه القراءة ﴿حَفِظًا﴾ على وزن (فاعل) أنه أتى به على المبالغة، على تقدير: فالله خير الحافظين، فاكتمى بالواحد عن الجمع، ونصبه على التفسير، ويقوي ذلك أنها في مصحف عبدالله بن مسعود (خير الحافظين)، وأيضاً فإنهم لما قالوا: ﴿وَإِنَّا لَمُحْفِظُونَ﴾ قيل لهم ﴿فَاللهُ خَيْرٌ حَفِظًا﴾. و﴿خَيْرٌ حَفِظًا﴾ مناسب لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فإن الله تعالى هو الحافظ، والحفظ فعل من أفعاله، وهو الراحم والرحمة فعل من أفعاله وصفة من صفاته (٤٠٣).

قال محمد الحبش: «وثمره الخلاف أن قراءة حمزة والكسائي أفادتنا حكماً ضرورياً وهو أن من أسماء الله الحسنى: الحافظ. ومثل هذا الاسم لا يكون إلا عن توقيف. وقد ورد اسمه الحافظ بصيغة الجمع مرة واحدة في سورة الأنبياء في قوله سبحانه: ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَكِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٢]. وحيث تواترت القراءة فقد وجب المصير إليها، ولا خلاف بين الأمة أن الحافظ اسم من أسماء الله الحسنى تباركت أسماؤه، وإن هذه القراءة وإن لم تستقل بجواز إطلاق هذه التسمية فقد وكدت ذلك. ولا نزاع فيما دلت عليه قراءة الجمهور من أن المولى سبحانه خير حفظاً، فهو مما أجمع عليه الموحدون» (٤٠٤).

قلت: كلتا القراءتين أثرت المعنى. فالقراءة ﴿فَاللهُ خَيْرٌ حَفِظًا﴾ بينت أن الله تعالى حافظ فلديه كامل القدرة على الحفظ، وهو خير الحافظين، فإن سمي إخوة يوسف أنفسهم بالحافظين لأخيهم - مبالغة في الحرص على حفظه - ، فالله خير منهم، فهذه مفاضلة بين الفاعلين. أما قراءة ﴿فَاللهُ خَيْرٌ حِفْظًا﴾ فإنها مفاضلة بين نتيجة الفعل وهي الحفظ، فإن تعهد إخوة يوسف

(٤٠٣) انظر: الكشف ج ٢ ص ١٣، مشكل إعراب القرآن ص ٣٨٨، الملخص في إعراب القرآن ص ٥٩، تفسير البغوي ج ٣ ص ١٧٦.

(٤٠٤) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ص ١٥١، ١٥٢.

بحفظه، فحفظ الله خير من حفظهم. فالفاعل، ونتيجة الفعل، قد ظهرت فيهما الخيرية وهذا يؤكد المعنى المراد أيما تأكيد. والله تعالى أعلم.

٢١ - ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ آخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ آخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: ٧٦].

القراءات:

١ - قرأ يعقوب ﴿يَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ يَشَاءُ﴾ بالياء في الفعلين وبحذف التنوين في ﴿دَرَجَاتٍ﴾.

٢ - قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ﴾ بالنون في الفعلين وبتنوين ﴿دَرَجَاتٍ﴾.

٣ - قرأ الباقون ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ﴾ بالنون في الفعلين وترك التنوين في ﴿دَرَجَاتٍ﴾ (٤٠٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿نَرْفَعُ﴾: «الرفع يقال تارة في الأجسام الموضوعة إذا أعليتها عن مقرها، نحو: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣]، وتارة في البناء إذا طوّلته نحو قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وتارة في المنزلة إذا شرفتها نحو: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ﴾» (٤٠٦).

٢ - ﴿دَرَجَاتٍ﴾: الدرجات جمع درجة، «والدرجة نحو المنزلة لكن يقال للمنزلة درجة إذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد على البسيط كدرجة السطح والسلم ويُعَبَّرُ بها عن المنزلة الرفيعة قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٤]، وقال: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، أي: هم دَوُو درجات عند الله» (٤٠٧).

(٤٠٥) انظر: الشرح ٢ ص ٢٩٦، والبدور الزاهرة ص ١٦٥.

(٤٠٦) المفردات في غريب القرآن ص ٢٠٠ - باختصار.

(٤٠٧) المفردات في غريب القرآن ص ١٦٧ - باختصار.

٣ - ﴿نَشَأُ﴾: سبق بيانه (٤٠٨).

التفسير:

لَمَّا اتَّهَمَ الْفَتَيَانِ إِخْوَةَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالسَّرْقَةِ، نَفَوْا ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمَ الْفَتَيَانِ مَا جَزَاءُ السَّارِقِ إِنْ كَانَ فِيكُمْ؟ فَقَالُوا جَزَاؤُهُ أَنْ يُدْفَعَ إِلَى الْمَسْرُوقِ مِنْهُ. وَهَذَا الَّذِي أَرَادَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَبَدَأَ بِتَفْتِيْشِ أَوْعِيْتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ تَوْرِيَّةً، ثُمَّ اسْتَخْرَجَ السَّقَايَةَ مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ فَتَحَقَّقَ لَهُ أَخْذُهُ مِنْهُمْ بِحُكْمِ التَّزَامِهِمْ، وَهَكَذَا صَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يُخَلِّصَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمَّهُ مِنْ إِخْوَتِهِ لِأَبِيهِ، وَمَا كَانَ لَهُ لِيَأْخُذَهُ فِي حُكْمِ مَلِكٍ مِصْرَ وَقَضَائِهِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ حُكْمِ ذَلِكَ الْمَلِكِ أَنْ يُسْتَرْقَ السَّارِقُ، فَمَا كَانَ ذَلِكَ أَنْ يَتَحَقَّقَ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، يَرْفَعُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ يَشَاءُ مَرَاتِبَ وَدَرَجَاتٍ فِي الْعِلْمِ عَلَى غَيْرِهِ، كَمَا رَفَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٤٠٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿نَرَفَعُ﴾، ﴿نَشَأُ﴾ بالنون في الفعلين، على جهة التعظيم، والفاعل ضمير مستتر تقديره (نحن)، وذلك على نسق قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ كُنَّا لِيُوسُفَ﴾، أو على الالتفات من الغيبة إلى التكلم. أما القراءة ﴿يَرْفَعُ﴾، ﴿يَشَأُ﴾ بالياء في الفعلين فعلى أنه مسند لضمير يعود على الله تعالى المتقدم ذكره في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (٤١٠).

وفائدة اختلاف القراءة هنا فائدة بلاغية، تظهر في تنوع الأساليب. والله تعالى أعلم.

أما توجيه اختلاف القراءة في كلمة ﴿دَرَجَاتٍ﴾ فقد قال مكي: «من نَوَّنَ ﴿دَرَجَاتٍ﴾ أوقع ﴿نَرَفَعُ﴾ على ﴿مَنْ﴾ ونصب ﴿دَرَجَاتٍ﴾ على الظرف

(٤٠٨) انظر: ص ١١٤ من هذا البحث.

(٤٠٩) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ٢٦، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧١٥.

(٤١٠) انظر: شرح طيبة النشر للنويري ج ٤ ص ٣٨٥، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٢٧٨.

أو على حذف حرف الجر تقديره: إلى درجات، كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ومن لم يُنَوَّن نصب ﴿دَرَجَاتٍ﴾ بـ ﴿رَفَعَ﴾ على المفعول به وأضافها إلى ﴿مَنْ﴾^(٤١١).

وقال ابن زنجلة: «قرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿رَفَعَ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ بالتنوين جعلوا المرفوع هو الإنسان وحجتهم في ذلك أن الله قد بين معنى هذا الكلام في غير موضع من القرآن فجعل المرفوع هو الإنسان وبين فضل من أحب أن يُفَضَّلَ بأن يرفعه فقال: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥]، فجعلهم هم المرفوعين دون الدرجات وفي الآية تقديم وتأخير، المعنى: نرفع من نشاء درجات و﴿مَنْ﴾ في موضع النصب، ونجعل ﴿دَرَجَاتٍ﴾ مفعولاً ثانياً أو حالاً. وقرأ الباقون ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ﴾ بغير تنوين وحجتهم ذكرها اليزيدي^(٤١٢) فقال: كقولك نرفع أعمال من نشاء فجعل اليزيدي الرفع للأعمال دون الإنسان»^(٤١٣).

قال الطبري: «﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ بإضافة الدرجات إلى ﴿مَنْ﴾ بمعنى: نرفع الدرجات لمن نشاء. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ بتنوين الدرجات بمعنى: نرفع من نشاء درجات.... والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: هما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء متقارباً معناهما وذلك أن من رفعت درجته فقد رفع في الدرج ومن رفع في الدرج فقد رفعت درجته فبأيهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في ذلك»^(٤١٤).

(٤١١) مشكل إعراب القرآن ج١ ص٢٥٩، وانظر: القراءات وأثرها في علوم العربية ج٢ ص٢٦٥.

(٤١٢) هو الإمام يحيى بن المبارك البصري النحوي، عرف باليزيدي لارتباطه بيزيد بن منصور خال المهدي يودب ولده، كان ثقة علامة فصيحاً مفوهاً بارعاً في اللغات والآداب توفي سنة ٢٠٢هـ [انظر: معرفة القراء الكبار (١٥١/١ - ١٥٢) باختصار].

(٤١٣) حجة القراءات ص٢٥٨، ٢٥٩.

(٤١٤) تفسير الطبري ج٧ ص٢٦٠.

قلت: رفع الدرجات، ثم رفع المُنعم عليهم إليها فيه إشارة إلى عظيم المنة، فالدرجات ليست على منزلة واحدة، بل هناك تفاضل فيما بينها، وقد يكون للمرء درجة عليا يرفع إليها، وغيره له درجة أعلى. فالقراءة بالتنوين في ﴿دَرَجَاتٍ﴾ تفيد حصول ارتفاع المنعم عليهم إلى الدرجات التي خصصت لهم، والقراءة بترك التنوين في ﴿دَرَجَاتٍ﴾ تفيد علو الدرجات التي يرفع إليها المنعم عليهم. والله تعالى أعلى وأعلم.

٢٢ - ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوَثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنَ أَبْرِحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ إِيَّيْ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [يوسف: ٨٠].

القراءات:

١ - قرأ البزي بخلف عنه ﴿اسْتَايسُوا﴾ بألف بعد التاء المفتوحة وبعدها ياء مفتوحة.

٢ - قرأ الباقون ﴿أُسْتَيْسَسُوا﴾ بياء ساكنة بعد التاء وبعدها الياء الساكنة همزة مفتوحة وهو الوجه الثاني للبزي^(٤١٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿اسْتَيْسَسُوا﴾: من اليأس: وهو القنوط (ضد الرجاء) أو قطع الأمل وانتفاء الطمع، يقال: يئس واستيأس، مثل: عجب واستعجب، وسخر واستسخر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾^(٤١٦).

٢ - ﴿اسْتَايسُوا﴾: من أيس منه، إياساً بمعنى قنط، يقال: آيسته وآيسته^(٤١٧).

(٤١٥) انظر: النشر ج ١ ص ٤٠٥، والبدور الزاهرة ص ١٦٦.

(٤١٦) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٥٥٢، القاموس المحيط ص ٧٥١.

(٤١٧) انظر: القاموس المحيط ص ٦٨٤.

وقيل إِنَّ أَيْسْتُ منه آيسُ يأساً لغة في يَيْسْتُ منه أَيْأَسُ يأساً، ومصدرهما واحد، وآيسني منه فلانٌ مثل أَيْأَسَنِي^(٤١٨) وقيل: بل أَيْسْتُ من الشيء مقلوب عن يَيْسْتُ وليس بلغة فيه^(٤١٩).

التفسير:

يخبر الله تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام أنهم لما انقطع طمعهم بالكلية من تخليص أخيه بنيامين، الذي قد التزموا لأبيهم برده إليه، وعاهدوه على ذلك، انفردوا عن الناس يتناجون فيما بينهم، قال كبيرهم: ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم عهد الله وميثاقه المؤكد لتأتني به إلا أن يحاط بكم؟ ألم تعلموا تقصيركم السابق في حفظ يوسف عليه السلام؟، فلن أفارق هذه البلدة حتى يأذن لي أبي في الرجوع إليه راضياً عني، أو يقضي لي ربي بالخروج منها، وترك أخي بنيامين، والله خير من حكم، وأعدل من فصل بين الناس^(٤٢٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن خالويه: ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا مِنْهُ﴾ يقرأ بتقديم الياء قبل الهمزة فيكون الياء فاء الفعل. وبتقديم الهمزة قبل الياء فيكون الياء عين الفعل. ومثله ﴿حَقَّ إِذَا أَسْتَيْسَ الرُّسُلُ﴾ [يوسف: ١١٠]. فالحجة لمن جعل الياء فاء الفعل: أنه أخذه من قولهم: يأس ييأس يأساً. والحجة لمن جعل الهمزة فاء للفعل: أنه أخذه من قولهم: أيس يأيس إياساً^(٤٢١).

قلت: والمعنى اللغوي ل(أيس)، و(يأس) واحد كما ذكر أهل اللغة.

قال القرطبي: ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا مِنْهُ﴾ أي يشسوا مثل عجب واستعجب

(٤١٨) انظر: الصحاح في اللغة ج ٣ ص ٩٩٢، لسان العرب ج ١ ص ١٩٠.

(٤١٩) انظر: لسان العرب ج ١ ص ١٩٠.

(٤٢٠) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ٣٤، ٣٥، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧١٧، روح المعاني ج ١٣ ص ٣٥، ٣٦، التحرير والتنوير ج ١٣ ص ٣٩، ٤٠، التفسير الواضح ج ١٣ ص ١٦.

(٤٢١) الحجة في القراءات السبع ص ١٩٧.

وسخر واستسخر، وقرأ ابن كثير: ﴿استأيسوا﴾، ﴿ولا تأسوا﴾، ﴿إنه لا يأس﴾، ﴿أفلم يأس﴾ بألف من غير همز على القلب قدمت الهمزة وأخرت الياء ثم قلبت الهمزة ألفاً لأنها ساكنة قبلها فتحة، وقال قوم: أيس ويُس لغتان» (٤٢٢).

وعليه يمكن توجيه اختلاف القراءة إما على القلب في الفعل (يأس)، وإما على الاشتقاق من فعلين مختلفين - يحملان المعنى نفسه - وذلك على لغتين من لغات العرب. وعلى كلا الوجهين فالمعنى واحد، وتنوع القراءة في هذه الكلمة يؤكد كمال يأسهم. والله تعالى أعلم.

٢٣ - ﴿يَبْنِيْ اَذْهَبُوْا فَتَحَسَّسُوْا مِنْ يُوسُفَ وَآخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوْا مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِنَّكُمْ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُوْنَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

القراءات:

١ - قرأ البزي بخلف عنه ﴿اسْتَأْيَسُوا﴾ بألف بعد التاء المفتوحة وبعدها ياء مفتوحة.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَسْتَيْسُوا﴾ بياء ساكنة بعد التاء وبعدها الياء الساكنة همزة مفتوحة وهو الوجه الثاني للبزي (٤٢٣).

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى ﴿لَقَدْ اَسْلَيْتُمْ مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠] (٤٢٤).

٢٤ - ﴿قَالُوا اَوَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ اَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْنَا اِنَّكَ مِنْ يَتَى وَيَصْرِ فَإِنَّ اللّٰهَ لَا يُضِلُّعَ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف: ٩٠].

(٤٢٢) تفسير القرطبي ج ٩ ص ٢٤١ - باختصار يسير.

(٤٢٣) انظر: النشر ج ١ ص ٤٠٥، والبدور الزاهرة ص ١٦٦.

(٤٢٤) انظر ص ١٢٦ من هذا البحث.

القراءات:

- ١ - قرأ ابن كثير وأبو جعفر ﴿إِنَّكَ﴾ بهمزة واحدة مكسورة.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿أَنَّكَ﴾ بهمزتين: الأولى مفتوحة والثانية مكسورة (٤٢٥).

٣ - قرأ قبل ﴿يَتَّقِي﴾ بإثبات ياء بعد القاف وصلاً ووقفاً.

٤ - قرأ الباقون ﴿يَتَّقِ﴾ بحذف الياء وصلاً ووقفاً (٤٢٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

- ١ - ﴿أَنَّكَ﴾ مركبة من همزة الاستفهام، و(إِنَّ) الثقيلة، وكاف المخاطب.

قال الفيروزآبادي: «إِنَّ وَأَنَّ: حَرْفَانِ يَنْصِبانِ الْاسْمَ، وَيَرْفَعَانِ الْحَبَرَ، وَقَدْ تَنْصِبُهُمَا الْمَكْسُورَةُ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: (إِنَّ قَعَرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعِينَ خَرِيفًا) (٤٢٧)، وَقَدْ يَرْفَعُ بَعْدَهَا الْمُبْتَدَأُ، فَيَكُونُ اسْمُهَا ضَمِيرَ شَأْنٍ مَحْذُوفًا، نَحْوُ: (إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوَّرُونَ) (٤٢٨). وَالْأَضْلُ: إِنَّهُ، وَالْمَكْسُورَةُ يُؤَكِّدُ بِهَا الْحَبَرَ، وَقَدْ تُخَفَّفُ فَتَعْمَلُ قَلِيلًا، وَتُهْمَلُ كَثِيرًا. وَعَنِ الْكُوفِيِّينَ: لَا تُخَفَّفُ، وَتَكُونُ حَرْفَ جَوَابٍ بِمَعْنَى نَعَمْ» (٤٢٩).

٢ - ﴿يَتَّقِ﴾: وقاه وقياً ووقاية وواقية: صانه، والوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، واتقيت الشيء حذرتة، والتقوى جعل النفس في وقاية مما يُخاف و صار التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يُؤثم، وذلك

(٤٢٥) انظر: النشر ج ١ ص ٣٧٢، البدور الزاهرة ص ١٦٦.

(٤٢٦) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٧، البدور الزاهرة ص ١٦٦.

(٤٢٧) أخرجه الحاكم: كتاب الأهرال ح (٨٧٤٩) ج ٤ ص ٦٣١، ٦٣٢. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤٢٨) أخرجه النسائي: كتاب الزينة، باب ذكر أشد الناس عذاباً ح (٥٣٦٤) ص ٨٠٦. والحديث صحيحه الألباني.

(٤٢٩) القاموس المحيط ص ١٥١٩ - باختصار وتصرف يسير.

بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ، فَمَنْ تَرَكَ مَا شُبَّهَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ، كَانَ لِمَا اسْتَبَانَ أَتَرَكَ، وَمَنْ اجْتَرَأَ عَلَى مَا يَشْكُ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ، أَوْشَكَ أَنْ يَوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ وَالْمَعَاصِي حِمَى اللَّهِ، مَنْ يَزْتَغِ حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَوَاقِعَهُ» (٤٣٠) (٤٣١).

التفسير:

في آخر لقاء تم بين يوسف ﷺ وإخوته - وهم لا يعرفونه - شكوا إليه ما نزل بهم من الضر وهنا أراد يوسف ﷺ أن يكشف الغموض فقال: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩]. كان هذا تلويحاً واضحاً بالكشف عن أن الذي يكلمهم هو يوسف، فقالوا على الفور: ﴿أَوْنَاكَ لَأَنْتَ يَوْسُفُ﴾ على سبيل الاستفهام الذي يفيد التقرير والتوثيق ويدل على الاستعظام، فقد استشعروا من كلامه ثم من ملامحه أنه يوسف، وتعجبوا من ذلك، حيث إنهم يترددون إليه منذ سنتين وأكثر وهم لا يعرفونه، وهو يعرفهم ويكنم نفسه. فأجابهم يوسف: ﴿أَنَا يَوْسُفُ﴾ وجاء الرد مجرداً من التأكيد لأنهم كانوا متحققين ذلك فلم يبق إلا تأييده لذلك، ثم أضاف قائلاً: ﴿وَهَذَا أَخِي﴾ جمع الله بيننا بعد طول فرقة. ثم استمر يلقي عليهم درساً قد آن أوانه، وبين لهم أن اختلاف الجزاء باختلاف العمل، فهم قد أساءوا بالتأمر عليه، وهو لزم طاعة الله فمكّن الله له في الأرض، وأجلسه على عرش مصر بينما هم قابعون في الأرض يقفون موقف المستعطف، إنه من يتق الله فيراقبه بأداء أوامره، واجتناب معاصيه، ويصبر، ويكف نفسه عما حرّم الله عليه من قول أو عمل، فإن الله لا يبطل ثواب من أحسن، ذلك أن الله سنة لا تتخلف في حفظ جزاء

(٤٣٠) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات، ح (٢٠٥١) ص ٣٨٨، ومسلم: كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات ح (٣٩٨٥) ص ٧٨٣.

(٤٣١) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٥٣٠، ٥٣١، القاموس المحيط ص ١٧٣١.

قال ابن عاشور: «وهذا من أفانين الخطابة أن يغتنم الواعظ الفرصة لإلقاء الموعظة، وهي فرصة تأثر السامع وانفعاله وظهور شواهد صدق الواعظ في موعظته» (٤٣٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ - قوله تعالى: ﴿أَءَأْتَاكَ﴾: قال أبو حيان: «قرأ الجمهور ﴿أَءَأْتَاكَ﴾ على الاستفهام، وقرأ ابن كثير ﴿إِنَّكَ﴾ بغير همزة استفهام، والظاهر أنها مرادة (٤٣٤)» (٤٣٥).

وقال الأزهري: «من قرأ بآلف واحدة فهو إيجاب، لأنه يوسف، عرفوه فحققوا أنه أخوهم، ومن قرأ ﴿أَءَأْتَاكَ﴾ فهو استفهام، وذلك أنهم ظنوا ذلك ظناً فاستفهموه، أهو هو؟» (٤٣٦).

قال السمين الحلبي: «فأما قراءة ابن كثير فتحتمل أن يكون خبراً محضاً، واستبعد هذا من حيث تخالف القراءتين مع أن القائل واحد، وقد أجيب عن ذلك بأن بعضهم قاله استفهاماً، وبعضهم قاله خبراً» (٤٣٧). قال أبو حيان: «وهو مع ذلك بعيد» (٤٣٨).

(٤٣٢) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ٥٥، الكشف ج ٢ ص ٣٤١، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٢، التحرير والتنوير ج ١٣ ص ٤٨، ٤٩، التفسير البلاغي للاستفهام ج ٢ ص ١٤٠، ١٤١.

(٤٣٣) التحرير والتنوير ج ١٣ ص ٤٩.

(٤٣٤) قال السخاوي: «قد تحذف الهمزة وهي مرادة، إذا كان في الكلام عليها دلالة، كقوله تعالى: ﴿أَءَأْتَاكَ لَأَنَّ يُوسُفَ﴾ في قراءة ابن كثير» (المفصل في شرح المفصل ص ٣٢٤، ٣٢٥).

(٤٣٥) البحر المحيط ج ٥ ص ٣٣٦ - باختصار وتصرف يسير.

(٤٣٦) معاني القراءات ص ٢٢٧.

(٤٣٧) الدر المصون ج ٤ ص ٢١١، وانظر: البحر المحيط ج ٥ ص ٣٣٧.

(٤٣٨) البحر المحيط ج ٥ ص ٣٣٦.

وقال مكي: «وحجة من قرأه على الخبر أنهم لما عرفوا يوسف، وتيقنوا أنه هو، أتوا بـ(إِنْ) التي لتأكيد ما بعدها، واستغنوا عن الاستخبار، لأنه شيء قد ثبت عندهم، فلا معنى للاستخبار عنه. وحجة من استفهم أنه أتى بلفظ الاستفهام الذي معناه الإلزام والإثبات، لم يستخبروا عن أمر جهلوه، وإنما أتوا بلفظ يحققون به ما صحَّ عندهم، من أنه هو يوسف» (٤٣٩).

قال أبو السعود: «قالوا أئنك لآنت يوسف» استفهام تقرير ولذلك أكدوه بـ(إِنْ) واللام قالوه استغراباً وتعجباً» (٤٤٠).

قال ابن عاشور: «وقولهم ﴿أئنك لآنت يوسف﴾ يدل على أنهم استشعروا من كلامه ثم من ملامحه ثم من تفهم قول أبيهم لهم: ﴿وَأَعْلَمُ مِنْكَ اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]. إذ قد اتضح لهم المعنى التعريضي من كلامه فعرفوا أنه يتكلم مريداً نفسه. وتأكيد الجملة بـ(إِنْ) ولام الابتداء وضمير الفصل لشدة تحققهم أنه يوسف ﷺ. وأدخل الاستفهام التقريري على الجملة المؤكدة لأنهم تطلبوا تأييده لعلمهم به. وقرأ ابن كثير ﴿إِنَّكَ﴾ بغير استفهام على الخبرية. والمراد لازم الخبر، أي عرفناك. ألا ترى أنَّ جوابه بـ ﴿أَنَا يُوسُفُ﴾ مجرد من التأكيد لأنهم كانوا متحققين ذلك فلم يبق إلا تأييده لذلك» (٤٤١).

مما سبق يلاحظ اختلاف المفسرين في توجيه كل قراءة من هاتين القراءتين، فمنهم من جعل الاستفهام على حقيقته، والإخبار على حقيقته، وعلل ذلك بأنَّ بعض إخوة يوسف عرفوه وتحققوا منه، وبعضهم استفهموا، فكانت القراءتان بمجموع أقوالهم. ومنهم من جعل القراءتين بمعنى الاستفهام فقدّر همزة الاستفهام في قراءة ﴿إِنَّكَ﴾ واستند في ذلك إلى ما هو سائغ ومشهور في اللغة. وهناك أيضاً خلاف حول معنى الاستفهام فمنهم من جعل

(٤٣٩) الكشف ج ٢ ص ١٤.

(٤٤٠) تفسير أبي السعود ج ٣ ص ١٣٦، وانظر: روح المعاني ج ١٣ ص ٤٨، ٤٩.

(٤٤١) التحرير والتنوير ج ١٣ ص ٤٨، ٤٩، وانظر: روح المعاني ج ١٣ ص ٤٨، ٤٩.

الاستفهام على حقيقته أريد منه الاستعلام، ومنهم من قال هو استفهام تقريرى يحمل معنى التعجب والاستغراب.

وما تختاره الباحثة أن القراءتين كل منهما أثرت المعنى وزادته جمالاً ووضوحاً وليستا كقراءة واحدة، كما أن الاستفهام ليس على حقيقته لوجود القرائن التي تؤكد أن إخوة يوسف عليه السلام لم يستفهموا استفهام استخبار بل استفهام تقرير. قال الألوسي: «ولذلك أكد بأن واللام لأن التأكيد يقتضي التحقق المنافي للاستفهام الحقيقي، ولعلمهم قالوه استغراباً وتعجباً»^(٤٤٢). «فالاستفهام كما دلّ على تأكدهم من أنه يوسف - عليه السلام -، يدلّ أيضاً على الاستعظام أي أنهم تعجبوا من ذلك، أنهم يترددون إليه من سنتين وأكثر وهم لا يعرفونه وهو مع هذا يعرفهم ويكتم نفسه»^(٤٤٣). أما القراءة بالخبر ﴿إِنَّكَ﴾ فإنها تفيد بلا أدنى شك تأكدهم من أن الذي يكلمهم هو يوسف عليه السلام، وتؤكد ما ذهب إليه أكثر المفسرين - وهو ما رجحته الباحثة - من أن الاستفهام في القراءة الأولى ليس على حقيقته. والله تعالى أعلم.

٢ - قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾:

قال ابن خالويه: «القراءة بكسر القاف وحذف الياء علامة للجزم بالشرط إلا ما رواه قنبل عن ابن كثير بإثبات الياء وله في إثباتها وجهان: أحدهما: أن من العرب من يُجري الفعل المعتل مجرى الصحيح فيقول: لم يأتي زيد. والوجه الثاني أنه أسقط الياء لدخول الجازم ثم بقى القاف على كسرتها وأشبعها لفظاً فحدثت الياء للإشباع»^(٤٤٤).

«ويقوي هذا قراءة حمزة في قوله: ﴿فَلَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾

(٤٤٢) روح المعاني ج ١٣ ص ٤٨.

(٤٤٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٢.

(٤٤٤) الحجة في القراءات السبع ص ١٩٨، ١٩٩، وانظر: حجة القراءات ص ٣٦٤، ٣٦٥، مشكل إعراب القرآن ج ١ ص ٣٩١، ٣٩٢، الكشف ج ٢ ص ١٨، خزانة الأدب ج ٣ ص ٥٣٤.

[طه: ٧٧] (٤٤٥)، ولم يقل (تخش) (٤٤٦).

وذكر مكي توجيهاً ثالثاً لإثبات الياء فقال: «والحجة في إثبات الياء في ﴿يَتَّقِ﴾ أن تكون ﴿مَنْ﴾ بمعنى (الذي) فيرتفع الفعل بعدها، لأنه في الصلة، وفي الكلام معنى الشرط» (٤٤٧).

وأشار البقاعي إلى معنى لطيف، فقال: «وأثبت قبل - بخلافه عنه - ياءه في الحاليين» (٤٤٨) معاملاً له معاملة الصحيح إشارة إلى وصف التقوى بالصحة الكاملة والمكنة الزائدة والملازمة لها في كل حال» (٤٤٩).

قلت: وإثبات الياء فيه أيضاً إشارة إلى المبالغة في تحري التقوى في كل حال.

وعليه فإن حذف الياء في ﴿يَتَّقِ﴾ جاء على الأصل، حيث إن الأصل في الفعل المعتل الآخر أن يحذف حرف العلة من آخره للجزم، أما القراءة بإثبات الياء فإنها تفيد المبالغة في تحري التقوى، وملازمتها في كل حال، وفيها إشارة إلى وصف التقوى بالصحة الكاملة والمكنة الزائدة. والله تعالى أعلم.

٢٥ - ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسَى مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: ١٠٠].

القراءات:

١ - قرأ ابن عامر وأبو جعفر ﴿يَا أَبْتَ﴾ بفتح التاء.

(٤٤٥) الآية مثبتة بقراءة حمزة وهي في رواية حفص ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ (٧٧).

(٤٤٦) حجة القراءات ص ٣٦٤.

(٤٤٧) الكشف ج ٢ ص ١٨، وانظر: مشكل إعراب القرآن ج ١ ص ٣٩١.

(٤٤٨) (في الحاليين) يعني: في الوصل والوقف.

(٤٤٩) نظم الدرر ج ٤ ص ٩٣.

٢ - قرأ الباقون ﴿يَتَابَت﴾ بكسر التاء (٤٥٠).

ويقف ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بالهاء والباقون بالتاء.

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق بيانه (٤٥١).

التفسير:

رفع يوسف عليه السلام أبويه على سرير الملك بجانبه، وسجدا له وسجد له إخوته الأحد عشر، قال يوسف عليه السلام: يا أبت هذا السجود الذي سجدت أنت وأمي وإخوتي لي ما آلت إليه رؤياي التي كنت رأيتها، وقصصتها عليك، قد حققها ربي ﷻ، وقد أحسن الله تعالى بي في إخراجه إياي من السجن وفي مجيئه بكم من البدو، من بعد ما أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي، إن ربي إذا أراد أمراً قيض له أسباباً وقدره ويسره، إنه هو العليم بمصالح عباده، الحكيم في أقواله وأفعاله وقضائه (٤٥٢).

العلاقة التفسيرية للقراءات:

سبق بيان أن القراءتين على لغتين من لغات العرب، وكلتاها تدلان على شدة التصاق يوسف عليه السلام بأبيه يعقوب عليه السلام حيث ناداه بلفظ الأبوة، وأضاف يوسف عليه السلام لفظ الأبوة إلى نفسه كعادة الابن البار في نداء أبيه. والفتحة دلت على الألف المحذوفة المنقلبة عن ياء الإضافة، والكسرة دلت على ياء الإضافة المحذوفة، وأن الكسرة والياء أقوى من الفتحة والألف (٤٥٣). وقد ناسب تنوع الخطاب بين القوة واللين، ما في الرؤيا من صدق ويقين - حيث تحققت كفلق الصبح - وما في يوسف عليه السلام من

(٤٥٠) انظر النشر ج ٢ ص ٢٩٣، والبدور الزاهرة ص ١٦٠.

(٤٥١) انظر ص ٨٠ من هذا البحث.

(٤٥٢) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ٦٨ - ٧٢، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٢٣، ٧٢٤، صفوة التفسير ج ٢ ص ٦٨.

(٤٥٣) انظر ص ٨١ من هذا البحث.

تواضع ولين جانب على مكانته العظيمة ومنصبه الرفيع. والله تعالى أعلم.

٢٦ - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩].

القراءات:

١ - قرأ حفص ﴿نُوْحِيَ﴾ بالنون وكسر الحاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُوْحَىٰ﴾ بالياء التحتية وفتح الحاء (٤٥٤).

٣ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿يَعْقِلُونَ﴾ بياء الغنية.

٤ - قرأ الباقون ﴿تَعْقِلُونَ﴾ بتاء الخطاب (٤٥٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

«(وحي): الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك، فالوحي: الإشارة، والوحي: الكتاب، والرسالة. وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان. وأوحى الله تعالى وَوَحَىٰ» (٤٥٦).

قال الراغب: «أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل أمرٌ وَحِيٌّ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة، ويقال للكلمة الإلهية التي تُلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحيٌّ وذلك أضربٌ حسبما دلَّ عليه قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا

(٤٥٤) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٦، البدور الزاهرة ص ١٦٨.

(٤٥٥) انظر: النشر ج ٢، البدور الزاهرة ص ١٦٨.

(٤٥٦) معجم مقاييس اللغة ج ٦ ص ٩٣، وانظر: القاموس المحيط ص ١٧٢٩.

فَيُوحِي بِآذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُمْ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ [الشورى: ٥١] (٤٥٧).

التفسير:

يُخْبِرُ الله ﷻ أَنَّ إِرْسَالَ الرِّسْلِ ﷺ سُنَّةٌ إِلَهِيَّةٌ قَدِيمَةٌ، وَمَا أَرْسَلَ اللهُ ﷻ إِلَّا رِجَالًا، لَا مَلَائِكَةً وَلَا نِسَاءً، وَأَوْحَى إِلَيْهِمْ آيَاتِهِ بِالْدُّعَاءِ إِلَى طَاعَتِهِ، وَإِفْرَادِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الرِّسْلُ مِنْ أَهْلِ الْمَدَن لَأَنَّ أَهْلَهَا أَعْلَمُ وَأَحْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُكِينَ الَّذِينَ عَمَّوْا عَنِ الْحَقِّ، أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا - نَظَرَ تَفَكَّرٍ وَتَدَبُّرٍ - مَا حَلَّ بِالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَكْذُوبَةِ لِلرِّسْلِ؟، كَيْفَ أَهْلَكَ اللهُ تَعَالَى الْكَافِرِينَ، وَنَجَّى الْمُؤْمِنِينَ؟، وَتِلْكَ سُنَّةُ اللهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ، وَكَمَا نَجَّى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا كَذَلِكَ كَتَبَ لَهُمُ النِّجَاةَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَهِيَ خَيْرٌ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا، أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَيُّهَا الْمَعَانِدُونَ فَتُؤْمِنُونَ؟ (٤٥٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ - قوله تعالى: ﴿تُوحِي إِلَيْهِمْ﴾:

مَنْ قَرَأَ ﴿تُوحِي﴾ بِالنُّونِ وَكَسَرَ الْحَاءَ فَعَلَى الْإِسْنَادِ إِلَى اللهِ تَعَالَى عَلَى وَجْهِ التَّعْظِيمِ (٤٥٩)، وَلَقَرَبِهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ فَجَرَى الْفَعْلَانِ عَلَى الْإِخْبَارِ مِنْ اللهِ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ بِذَلِكَ. وَمَنْ قَرَأَ ﴿تُوحِي﴾ بِالْيَاءِ التَّحْتِيَّةِ وَفَتَحَ الْحَاءَ رَدَّهُ عَلَى لَفْظِ ﴿رِجَالٌ﴾ فَأَقْبِمُوا مَقَامَ الْفَاعِلِ، عَلَى مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ، لِأَنَّ لَفْظَ مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ يَحْتَوِي عَلَى مَعْنَى مَا تَقَدَّمَهُ مِنَ الْكَلَامِ وَعَلَى غَيْرِهِ (٤٦٠).

(٤٥٧) المفردات في غريب القرآن ص ٥١٥ - باختصار، وانظر: لسان العرب ج ٦ ص ٤٧٨٧.

(٤٥٨) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ٨٠، ٨١، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٣٢، تفسير البضاوي ج ١ ص ٤٩٨، التسهيل ج ٢ ص ١٢٩، التحرير والتنوير ج ١٣ ص ٦٦، ٦٧، التفسير الواضح ج ١٣ ص ٢٦، ٢٧، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٧٠.

(٤٥٩) شرح طيبة النشر ص ٢٥٦.

(٤٦٠) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ١٩٨، الكشف ج ٢ ص ١٥، الملخص في إعراب القرآن ص ٧١، شرح طيبة النشر لأحمد بن الجزري ص ٢٥٦.

والقراءة ﴿يُوحَى﴾ فيها إشارة إلى عظيم منزلة الرسل بتلقيهم الوحي، وفيه تنبيه على أهمية الموحى به، حيث تميز الرسل عن غيرهم بهذا الوحي. والقراءة ﴿تُوحَى﴾ فيها إشارة إلى ارتفاع منزلة الرسل بتلقيهم هذا الوحي من الله ﷻ. والله أعلم.

٢ - قوله تعالى ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

قال ابن عاشور: «﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بقاء الخطاب على الالتفات، لأن المعاندين لما جرى ذكرهم وتكرر صاروا كالحاضرين فالتفت إليهم بالخطاب. و﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بقاء الغيبة على نسق ما قبله» (٤٦١).

وأسلوب الخطاب فيه مزيد تبكيت وتقريع، حيث وُجّه التقريع توجيهاً مباشراً لهم، أما أسلوب الغيبة فيحمل معنى الاستخفاف بالمعاندين فهم ليسوا حُرَيين بالخطاب (٤٦٢). والله تعالى أعلم.

٢٧ - ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا مِّنْ نَّشَأٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

القراءات:

١ - قرأ البزي بخلف عنه ﴿اسْتَيْسَرَ﴾ بألف بعد التاء المفتوحة وبعدها ياء مفتوحة.

٢ - قرأ الباقون ﴿اسْتَيْسَرَ﴾ بياء ساكنة بعد التاء وبعدها الياء الساكنة همزة مفتوحة وهو الوجه الثاني للبزي (٤٦٣).

٣ - قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف وأبو جعفر ﴿كُذِّبُوا﴾ بتخفيف الذال.

(٤٦١) التحرير والتنوير ج ١٣ ص ٦٩ - بتصرف يسير.

(٤٦٢) استُوحيت هذه المعاني من حديث د. فضل عباس حول أثر القراءات من الوجهة البلاغية في قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]. (انظر: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص ٢٩).

(٤٦٣) انظر: النشر ج ١ ص ٤٠٥، والبدور الزاهرة ص ١٦٦.

٤ - قرأ الباقون ﴿كُذِّبُوا﴾ بتشديد الذال^(٤٦٤).

٥ - قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب ﴿فَنَجَّى﴾ بنون واحدة مضمومة وبعدها جيم مشددة وبعد الجيم ياء مفتوحة.

٦ - قرأ الباقون ﴿فَنُنَجِّي﴾ بنونين: الأولى مضمومة والثانية ساكنة وبعد الثانية جيم مخففة، وبعد الجيم ياء ساكنة مدية^(٤٦٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿أَسْتَيْسَسَ﴾: سبق بيانه^(٤٦٦).

٢ - ﴿كُذِّبُوا﴾، ﴿كُذِّبُوا﴾:

«الكذب: ضد الصدق. وكذبت بالحديث كذاباً وتكذيباً، وكذب الوحشي، إذا جرى شوطاً ثم وقف لينظر ما وراءه. وحمل فلان على فلان فما كذب حتى طعن أو ضرب، أي ما وقف. والأكاذيب: أحاديث الباطل، الواحدة أكذوبة. والكذب: النفس. ويقول الرجل للرجل: لا مكذبة أي لا أكذبك. وكذلك يقال: كذب عليك كذا وكذا، في معنى الإغراء، أي عليك به»^(٤٦٧).

و﴿كُذِّبُوا﴾ هنا بمعنى: أخبروا بالكذب^(٤٦٨). و﴿كُذِّبُوا﴾ بمعنى: تلقوا بالكذب، فكذبوا نحو خطئوا، فسقوا إذا نسبوا إلى شيء من ذلك^(٤٦٩).

قال الجوهري: «قال الكسائي: ... وكذبتُهُ، إذا أخبرت أنه كاذب»^(٤٧٠).

(٤٦٤) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٦، والبدور الزاهرة ص ١٦٨.

(٤٦٥) انظر: المرجعين السابقين والصفحات نفسها.

(٤٦٦) انظر ص ١٢٦ من هذا البحث.

(٤٦٧) جمهرة اللغة ج ١ ص ٢٥١ - باختصار، وانظر: لسان العرب ج ٥ ص ٣٨٤٢.

(٤٦٨) انظر: القاموس المحيط ص ١٦٦.

(٤٦٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٤٢٧.

(٤٧٠) الصحاح في اللغة ج ٢ ص ٢١٠، وانظر: لسان العرب ج ٥ ص ٣٨٤٢.

٣ - ﴿فُنَجِّى﴾ ، ﴿فَنُنَجِّى﴾ :

«(نجا): نَجَّوْا وَنَجَاةً وَنَجَايَةً: خَلَّصَ، كَنَجَّيْ واستنجى. وأنجاه الله، وَنَجَاه. وَنَجَا الشَّجَرَةُ نَجَّوْا: قطعها»^(٤٧١).

قال الراغب: «أصل النَّجَاء: الانفصالُ من الشيء، ومنه: نَجَا فلانٌ من فلانٍ وأنجيتَه ونجيتَه، قال تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا آلَ يُونُسَ﴾ [النمل: ٥٣]، وقال ﴿إِنَّا مُنَجِّوْكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا نَّكَ﴾ [النمل: ٣٣] والنجوة والنجاة: المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله، وقيل سمي لكونه ناجياً من السيل»^(٤٧٢).

التفسير:

يذكر الله ﷻ أن نصره ينزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند اشتداد الأزمات وانتظار الفرج من الله تعالى في أحوج الأوقات إليه، ففي اللحظة التي تستحكم فيها الشدة، ويأخذ الكرب بالمخائق، حتى يستئثس الرسل من إيمان قومهم، ويوقنوا بلا أدنى شك أن قومهم قد كذبوهم فيما جاءوهم به من عند الله، وتشتد الأزمة على الرسل حتى يظنوا أن أتباعهم قد كذبوهم لما لحقهم من البلاء من الكفار، ويغتر المرسل إليهم - لطول إمهالهم - فيظنون أن الرسل قد كذبتهم فيما أخبروهم به من أنهم إن لم يؤمنوا نزل بهم العذاب، وتشتد الأزمة أكثر فأكثر حتى يظن أتباع الرسل أن الرسل قد أخلفوا ما وعدوا به من النصر، عندها يبرز الفجر وتنفرج الكربة ويأتي النصر المبين، وَيُنَجِّى الله تعالى الرسل ومن تبعهم من المؤمنين، ويهلك الكافرين، ولا يُرَدُّ عذابُ الله ﷻ وبطشه عن القوم المجرمين^(٤٧٣).

(٤٧١) القاموس المحيط ص ١٧٢٣.

(٤٧٢) المفردات في غريب القرآن ص ٤٨٣، ٤٨٤ - باختصار.

(٤٧٣) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ٨٢، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٣٢، ٧٣٣، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٧٠.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ - ﴿أَسْتَيْسَسَ﴾: سبق بيانه (٤٧٤).

٢ - ﴿كُذِّبُوا﴾: من قرأ ﴿كُذِّبُوا﴾ بالتخفيف جعل ﴿وَطَّنُوا﴾ فعلاً للمرسل إليهم (٤٧٥)، وفيه وجهان:

الأول: وظنَّ المرسل إليهم أنَّ الرسل قد كُذِّبوا، أي أخلفوا ما وُعدوا به من النصر (٤٧٦)، وعلى هذا الوجه يعود الضمير في قوله ﴿أَنَّهُمْ﴾ على الرسل. والثاني: أن يكون المعنى: وظنَّ المرسل إليهم أنَّ الرسل قد كَذَّبَتْهم فيما أخبروهم به من أنَّهم إن لم يؤمنوا نزل بهم العذاب، ثم رُدَّ إلى ما لم يسمَّ فاعله، وعلى هذا الوجه يعود الضمير في قوله ﴿أَنَّهُمْ﴾ على المرسل إليهم (٤٧٧). ويجوز في هذه القراءة أن يكون الضمير في ﴿وَطَّنُوا﴾ وفي ﴿أَنَّهُمْ﴾ للرسل، والظن بمعنى اليقين، أي فأيقن الرسل أنهم لم يصدقهم قومهم في وُعدهم بقبول ما أتوهم به (٤٧٨)(٤٧٩) ومن قرأ ﴿كُذِّبُوا﴾ بالتشديد

(٤٧٤) انظر ص ١٢٧ من هذا البحث.

(٤٧٥) جاز حمل الضمير في ﴿وَطَّنُوا﴾ على القوم المرسل إليهم ولم يجر لهم ذكر، لأن ذكرَ الرسل يدل على وجود المرسل إليهم. (انظر: حجة القراءات ص ٣٦٦، الكشف ج ٢ ص ١٦).

(٤٧٦) انظر: أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ١٧٩، حجة القراءات ص ٣٦٦، الملخص في إعراب القرآن ص ٧٢.

(٤٧٧) انظر: معاني القراءات ص ٢٢٩، حجة القراءات ص ٣٦٦، ٣٦٧، الكشف ج ٢ ص ١٥، مجمع البيان ج ٥ ص ٤١٨، الملخص في إعراب القرآن ص ٧٢، إبراز المعاني من حرز الأمان ص ٥٣٨.

(٤٧٨) انظر: الكشف ج ٢ ص ١٦.

(٤٧٩) روي عن ابن عباس معنى آخر غير ما ذكر فعنه أنه قال - عن الرسل - : «كانوا بشراً ضعفاً ويشوا» (تفسير الطبري ج ١٣ ص ٨٦) والمعنى: وظنت الرسل أنهم قد كذبوا فيما وعدوا من النصر، والظن بمعنى الشك في هذا القول. ولم يقبل ابن جرير رحمه الله هذا القول ورده وأباه حيث قال: «وقول غيره من أهل التأويل أولى عندي بالصواب، وخلافه من القول أشبه بصفات الأنبياء والرسل، وقد ذكر هذا التأويل لعائشة رضي الله عنها فأنكرته أشد النكرة». (تفسير الطبري ج ١٣ ص ٨٦ باختصار، وانظر: =

جعل ﴿وَطَلَّوْا﴾ فعلاً للرسول، ويكون الظن بمعنى اليقين، والمعنى: وأيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيما جاءوهم به من عند الله^(٤٨٠)، وفيه وجه آخر، نُقل عن عائشة رضي الله عنها^(٤٨١)، وهو أن يكون المعنى: وظن الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم لما لحقهم من البلاء من الكفار، والظن هنا بمعنى

= تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٣٤، وجاء في صحيح البخاري: «عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَطَلَّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ خَفِيفَةً ذَهَبَ بِهَا هُنَاكَ وَتَلَا ﴿حَتَّى يَقُولَ الرُّسُلُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَن نَّصُرُ اللَّهُ إِلَّا إِنَّا نَصُرُ اللَّهَ وَمَن يُصِرْ إِلَىٰ كُفْرٍ فَهُوَ عِندَ اللَّهِ مِنَ الْغَافِينَ﴾ فَلَقِيتُ عُرْوَةَ بِنْتَ الزُّبَيْرِ فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَتْ قَالَتْ عَائِشَةُ مَعَاذَ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا وَعَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ مِنْ شَيْءٍ فَطُ إِلاَّ عَلِمَ أَنَّهُ كَاثِبٌ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَلَكِنْ لَمْ يَزَلِ الْبَلَاءُ بِالرُّسُلِ حَتَّى خَافُوا أَنْ يَكُونَ مِنْ مَّعَهُمْ يُكْذِبُونَهُمْ فَكَانَتْ تَقْرُؤُهَا ﴿وَطَلَّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ مُثْقَلَةً. [أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْمَكَّةَ﴾، ح (٤٥٢٤، ٤٥٢٥) ص ٨٥٥]. قال ابن حجر: ولا يظن بابن عباس أنه يجوز على الرسول ﷺ أن نفسه تحدثه بأن الله يخلف وعده، بل الذي يظن بابن عباس أنه أراد بقوله كانوا بشراً إلى آخر كلامه، من آمن من أتباع الرسل لا نفس الرسل» (فتح الباري ج ٨ ص ٣٦٩) قلت: وقد أورد الطبري رواية لابن عباس نصها: «... عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس رضي الله عنه ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَطَلَّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ خَفِيفَةً، قال: استيأس الرسل من إيمان قومهم، وظن القوم أن الرسل قد كذبوهم» (تفسير الطبري ج ١٣ ص ٨٤ وانظر: الدر المثور ج ٤ ص ٥٩٦)، قال ابن حجر «وإسناده حسن فليكن هو المعتمد في تأويل ما جاء عن ابن عباس في ذلك، وهو أعلم بمراد نفسه عن غيره» (فتح الباري ج ٨ ص ٣٦٩).

(٤٨٠) انظر: أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ١٧٩، معاني القراءات ص ٢٢٩، حجة القراءات ص ٣٦٧، الكشف ج ٢ ص ١٦، الملخص في إعراب القرآن ص ٧٢، زاد المسير ج ٤ ص ٢٢١.

(٤٨١) «عن عُرْوَةَ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَطَلَّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾، أَوْ ﴿كُذِّبُوا﴾ قَالَتْ بَلْ كَذَّبَهُمْ قَوْمُهُمْ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَيْقَنُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ كَذَّبُوهُمْ وَمَا هُوَ بِالظَّنِّ فَقَالَتْ يَا عُرْيَةُ لَقَدْ اسْتَيْقَنُوا بِذَلِكَ قُلْتُ فَلَعَلَّهَا أَوْ ﴿كُذِّبُوا﴾ قَالَتْ مَعَاذَ اللَّهِ لَمْ تَكُنِ الرُّسُلُ تَظُنُّ ذَلِكَ بِرَبِّهَا وَأَمَّا هَذِهِ الْآيَةُ قَالَتْ هُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَصَدَّقُوهُمْ وَطَالَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُمْ النَّصْرَ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَتْ مِنْ كَذِبِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ ظَنُّوا أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ كَذَّبُوهُمْ جَاءَهُمْ نَصْرُ اللَّهِ» أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَذَكِّرِينَ﴾ ح (٣٣٨٩) ص ٦٤٩.

مما سبق يتبين أنّ اختلاف القراءة أدى إلى إفادة معاني عدة. فقد دلت القراءة ﴿كُذِّبُوا﴾ بالتخفيف أنّ نصر الله آتٍ لا محالة وإن أخره الله ﷻ إلى أجل، وأنّ من علامات اقتراب الفرج أن تشتد الأزمة حتى يستئثس الرسل من إيمان قومهم، ويظنّ المرسل إليهم - لطول إمهالهم - أنّ الرسل قد كذبتهم فيما أخبروهم به من أنّهم إن لم يؤمنوا نزل بهم العذاب، وتشتد الأزمة أكثر فأكثر، حتى يظن أتباع الرسل أنّ الرسل قد أخلفوا ما وعدوا به من النصر، ويوقن الرسل أنهم لم يصدقهم قومهم في وعدهم بقبول ما أتوهم به. وهذه المعاني تدفع الأنبياء ومن بعدهم كلّ من حمل راية الدعوة إلى الله ﷻ على الصبر، ومواصلة الدعوة مهما واجهوا من التحديات، كما تحمل تهديداً للمكذبين والذين يقفون حجر عثرة في سبيل الدعوة، وتقول لهم لا تغتروا بإمهال الله ﷻ لكم، ففي تلك اللحظة التي توقنون أنّ الرسل - ومن بعدهم الدعوة إلى الله - قد كُذِّبُوا، وتشعرون بالنصر في أنفسكم، ستكون تلك نهايتكم، وسيأتي نصر الله تعالى لرسله وللمؤمنين. أمّا القراءة ﴿كُذِّبُوا﴾ بالتشديد فإنها تحمل البلمس الشافي للرسول، حيث تبشرهم أنّه في حال اشتداد الأزمة وحين يوقنون بلا أدنى شك أنّ قومهم قد كذبوهم فيما جاءوهم به من عند الله، وتشتد الأزمة عليهم حتى يظنّوا أنّ أتباعهم قد كذبوهم لما لحقهم من البلاء من الكفار، يبرز الفجر وتنفرج الكربة ويأتي النصر المبين. وهذا للرسول في زمن الرسالة وللدعاة إلى الله من بعدهم حتى قيام الساعة.

«ولا شك أنّ هذه المعاني جميعاً تزيد من عقيدة المؤمن بقرب نصر الله ﷻ كلما ازداد البلاء واشتدت المحن، وهي كما ترى لا تتعارض في الفهم بل تتآزر، وتتكامل» (٤٨٣).

(٤٨٢) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ٨٧، حجة القراءات ص ٣٦٦، الملخص في إعراب القرآن ص ٧٢، تفسير السمرقندي ج ٢ ص ١٨٠.

(٤٨٣) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ص ١٩١.

٣ - ﴿فَنُنَجِّي﴾، ﴿فَنُنَجِّي﴾: من قرأ ﴿فَنُنَجِّي﴾: جعل الفعل ماضياً من (نَجَّى) وبناءه على ما لم يسم فاعله، ويكون (من) رفعا نائب فاعل ويعلم بالمعنى أَنَّ الله نجاهم، وحجته أَنَّ القصة قد مضت فطابق بين اللفظ والمعنى، فجاء الفعل ﴿فَنُنَجِّي﴾ على لفظ الماضي ويقوي هذا أَنه مكتوب في المصحف بنون واحدة، وَأَنه قد عطف عليه فعل لم يسم فاعله وهو قوله ﷻ: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾. ومن قرأ ﴿فَنُنَجِّي﴾: بنونين جعل الفعل حكاية عن حال يكون فيما بعد، وجعله من (أنجى)، وبناءه على الإخبار من الله تعالى عن نفسه، والنون الأولى نون الاستقبال، والثانية هي الأصلية إلا أنها خفيت للغة، فحذفت خطأ، وتكون (من) نصباً مفعولاً به والفاعل ضمير مستتر تقديره (نحن) يعود على الله تعالى، وأسكن الياء في الفعل علماً للرفع (٤٨٤).

قال ابن زنجلة: «وقوله ﴿فَنُنَجِّي﴾ من نشاء» حكاية حال الأمر من القصة فيما مضى. كما أن قوله ﴿هَذَا مِنْ شِعْرِهِ وَهَذَا مِنْ عُلُوٍّ﴾ [القصص: ١٥]، إشارة إلى الحاضر والقصة ماضية لأنه حكى الحال (٤٨٥).

وعليه فإنَّ القراءة ﴿فَنُنَجِّي﴾ بمعنى الماضي على ما لم يسم فاعله، أي فنَجَّى من نشاء في القرون الماضية، واستخدام الفعل (نَجَّى) بصيغة (فعل) التي تفيد التكثير والمبالغة (٤٨٦)، ومن ثم تقتضي التلبث والمكث (٤٨٧)، يفيد أَنَّ النجاء المتحقق أبلغ وأدوم، وقد ناسبت هذه الصيغة بدلالاتها ومقتضياتها الحديث عن الماضي، فمن تحقق له النجاء ترنو نفسه إلى تحقيقه بشكل أبلغ، وإلى دوامه. أمَّا القراءة الثانية ﴿فَنُنَجِّي﴾ فهي بمعنى المستقبل، أي

(٤٨٤) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ١٩٩، حجة القراءات ص ٣٦٧، الكشف ج ٢ ص ١٧، الملخص في إعراب القرآن ص ٧٢، مفاتيح الأغاني ص ٢٢٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٢٨٢.

(٤٨٥) حجة القراءات ص ٣٦٨.

(٤٨٦) انظر: بصائر ذوي التمييز ج ١ ص ٢١٢، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص ٦٢.

(٤٨٧) انظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص ٦٢، ٦٣.

فنجي من نشاء في المستقبل، واستخدام الفعل (أنجي) في هذه القراءة بصيغة (أفعل) فيه إشارة لطيفة إلى سرعة تحقق النجاء^(٤٨٨) وهو ما تصبو إليه النفس في خضم الخطوب. وبناء القراءة الأولى لما لم يسم فاعله لأنَّ النجاء قد تحقق فلا يسأل السائل عن الفاعل - وإن كان معلوماً بالمعنى أنَّ الله نجاهم -، أما القراءة الثانية فبنيت على الفاعل - وهو ضمير مستتر تقديره (نحن) يعود على الله تعالى - وذلك أنَّ الحال هو الحديث عن فترة عصيبة يعيشها القوم والوعد بالنجاء لن يكون مؤثراً إلا إذا عُلِمَ الفاعل، وبالطبع سيكون القول أوقع في النفس إذا أُخبر السامع أنَّ النجاء سيكون من الله ﷻ، وزاد في وقعه أنه وعد من الله تعالى بنفسه، حيث عبّر بنون المضارعة التي دلت على ضمير الجمع الذي يفيد العظمة. وهذه القراءة إشارة إلى الحاضر والقصة ماضية، فهي ترسم للسامع صورة القصة، فيراها ماثلة أمامه، وهذا من أفانين الكلام.

والقراءتان معاً تؤكدان حدوث النجاء للمؤمنين بشكل بليغ ودائم، وعلى سرعة تحقق ذلك النجاء عند إرادة الله تعالى لذلك، كما أنَّ هناك فائدة بلاغية في تنوع الأسلوب، بين الإخبار عن القصة تارة بصيغة الماضي، وتارة بصيغة الحاضر والتي تجسد القصة فيراها السامع ماثلة أمامه، ويعيش فصولها وأحداثها. والله تعالى أعلم.

(٤٨٨) الفعل (نجى) على وزن (فعل)، يفيد التكثير والمبالغة، ومن مقتضيات التكثير والمبالغة في الحدث، استغراق وقت أطول، وأنه يفيد تلبساً ومكثاً (انظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص ٦٢) قلت: وفي المقابل سيستغرق الفعل (أنجي) الذي لا يقتضي التكثير وقتاً أقل، فهو يوحى بسرعة تحقق النجاء، مقارنة بالفعل (نجى).

الفصل الثاني

تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سورتي الرعد وإبراهيم عليه السلام

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: سورة الرعد.

المبحث الثاني: سورة إبراهيم عليه السلام.

المبحث الأول

سورة الرعد

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الرعد.

المطلب الثاني: تفسير سورة الرعد بالقراءات القرآنية العشر.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الرعد.

اسمها:

تسمى هذه السورة: سورة الرعد، ولا يعرف لها اسم غير هذا.

قال ابن عاشور: «سورة الرعد، هكذا سُميت من عهد السلف. وذلك يدل على أنها مسماة بذلك من عهد النبي ﷺ إذ لم يختلفوا في اسمها. وإنما سميت بإضافتها إلى الرعد، لورود ذكر الرعد فيها بقوله تعالى: ﴿وَيَسِّجُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقُ﴾ [الرعد: ١٣]» (٤٨٩).

نزولها:

اختلف في نزول سورة الرعد، ف قيل نزلت في مكة، وقيل نزلت في

المدينة. قال السيوطي: «والذي يُجمع به بين الاختلاف أنها مكية إلا آيات منها»^(٤٩٠) «يعني قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَنَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢] إلى قوله ﴿شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]، وقوله: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدُ عَلَّمَ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣]»^(٤٩١).

عدد آياتها:

عدد آياتها ثلاث وأربعون آية في العدّ الكوفي، وأربع وأربعون في العدّ المكي والمدني، وخمس وأربعون في العدّ البصري، وسبع وأربعون في العدّ الشامي^(٤٩٢).

وجه اتصالها بما قبلها (سورة يوسف):

هناك تناسب بين سورة الرعد وسورة يوسف عليه السلام، فقد تناولت كلتا السورتين الحديث عن قصص الأنبياء مع أقوامهم، وكيف نجى الله تعالى المؤمنين وأهلك الكافرين، وكل من السورتين جاءت لإثبات توحيد الله تعالى، ففي سورة يوسف عليه السلام: ﴿أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، وفي سورة الرعد: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَأَتَّخِذُهُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦]، وفيهما من الأدلة على وجود الخالق الحكيم، وكمال قدرته وعلمه ووحدانيته الشيء الكثير. وزيادة على ما تقدم فإن الله سبحانه قال في آخر سورة يوسف عليه السلام: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ آيَاتِهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]، فذكر الآيات الكونية مجملة، ثم فصل في مطلع سورة الرعد. كما أن سورة يوسف عليه السلام قد خُتمت بوصف القرآن ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً

(٤٩٠) الإتيان ج ١ ص ١٦، وانظر: روح المعاني ج ١٣ ص ٨٤.

(٤٩١) التحرير والتنوير ج ١٣ ص ٧٨.

(٤٩٢) فنون الألفان ص ٥٢، روح المعاني ج ١٣ ص ٨٤ بشير اليسر شرح ناظمة الزهر ص ٩٩.

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ [يوسف: ١١١]، وبدئت سورة الرعد بقوله سبحانه: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١] وهو من تشابه الأطراف (٤٩٣).

ما اشتملت عليه السورة:

تتناول سورة الرعد موضوع العقيدة وقضاياها: توحيد الألوهية، توحيد الربوبية، قضية البعث والجزاء، والردّ على شبهات المشركين. وأهم ما اشتملت عليه (٤٩٤):

١ - إقامة الأدلة على وجود الله تعالى ووحدانيته، من خلق السماوات والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، إلخ، وتفرد سبحانه وتعالى بالخلق والإيجاد، والإحياء والإماتة، والنفع والضرر.

٢ - تفنيد أقوال أهل الشرك ومزاعمهم في إنكار البعث، وتهديدهم أن يحلّ بهم ما حلّ بأمثالهم.

٣ - التذكير بأنعم الله تعالى على الناس.

٤ - التهديد بالحوادث الكونية أن يكون منها عذاب للمكذبين كما حلّ بالأمم قبلهم.

٥ - التذكير بأن الدنيا ليست دار قرار.

٦ - بيان أن الله تعالى بعث النبي محمداً ﷺ منذراً، ولكل قوم هاد، وكان إرساله ﷺ في أمة قد خلت من قبلها أمم ليتلو عليهم ما أوحى إليه ولقد كفروا بالقرآن وبالرحمن.

٧ - الثناء على فريق من أهل الكتاب يؤمنون بأن القرآن منزل من عند

(٤٩٣) انظر: تناسق الدرر ص ٩٥، روح المعاني ج ١٣ ص ٨٤، التفسير المنير ج ١٣ ص ٩٦، ٩٧.

(٤٩٤) انظر: التحرير والتنوير ج ١٣ ص ٧٧، ٧٨، التفسير المنير ج ١٣ ص ٩٦، موسوعة القرآن العظيم ج ١ ص ٥٦٧، ٥٦٨.

الله تعالى والإشارة إلى حقيقة القدر ومظاهر المحو والإثبات.

المطلب الثاني: تفسير سورة الرعد بالقراءات القرآنية العشر:

١ - ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾﴾
[الرعد: ٣].

القراءات:

١ - قرأ شعبة وحمزة والكسائي، ويعقوب وخلف ﴿يُغْشَى﴾ بفتح الغين وتشديد الشين.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُغْشَى﴾ بإسكان الغين وتخفيف الشين^(٤٩٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

«غَشِيَ»: غَشِيَهُ غِشَاوَةً وَغِشَاءً أَتَاهُ إِتْيَانٌ مَا قَدْ غَشِيَهُ أَي سَتَرَهُ
و(الغِشَاوَةُ) مَا يَغْطِي بِهِ الشَّيْءُ^(٤٩٦).

التفسير:

يقول الله تعالى: والله الَّذِي خلق الأرض ووسعها للعباد وأودع فيها من مصالحهم ما أودع، وجعل فيها جبلاً عظيماً لثلاً تميد بالخلق، وجعل فيها أنهاراً تسقي الأنعام وبهائمهم وحروثهم، فأخرج بها من الأشجار والزرع والثمار خيراً كثيراً وجعل من كل الثمرات صنفين اثنين، يلبس الليل بالنهار فتظلم الآفاق، إِنَّ فِي عَجَائِبِ صَنِعِ اللَّهِ تَعَالَى لَدَلَالَاتٍ وَعَلَامَاتٍ باهرة على قدرته ووحدانيته لمن تأمل وتفكر^(٤٩٧).

(٤٩٥) انظر النشر ج ٢ ص ٢٦٩، البدور الزاهرة ص ١٦٨.

(٤٩٦) المفردات في غريب القرآن ص ٣٦١، وانظر: القاموس المحيط ص ١٦٩٩.

(٤٩٧) انظر: تفسير السعدي ص ٤٣٧، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٧٤.

- ٤ - قرأ الباقون ﴿تَشَقَّى﴾ بالتاء الفوقية^(٥٠٢).
- ٥ - قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿وَيُفَضِّلُ﴾ بالياء التحتية.
- ٦ - قرأ الباقون ﴿وَيُفَضِّلُ﴾ بالنون^(٥٠٣).
- ٧ - قرأ نافع وابن كثير ﴿فِي الْأَكْلِ﴾ بإسكان الكاف.
- ٨ - قرأ الباقون ﴿فِي الْأَكْلِ﴾ بضم الكاف^(٥٠٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

- ١ - ﴿وَزَرَعٌ﴾: (زَرََعَ): طَرَحَ البَذَرَ، والزَرْعُ: الإنبات، وحقيقة ذلك تكون بالأمور الإلهية دون البشرية. والزَرْعُ في الأصل مصدر وعُبرَ به عن المزروع^(٥٠٥).
- ٢ - ﴿وَنَخِيلٌ﴾: «النخل معروف، وقد يستعمل في الواحد والجمع قال تعالى ﴿وَالنَّخْلُ بَاسِقَاتٍ لِّمَا طَلَعَ نَبَذٌ﴾ [ق: ١٠]، وجمعه نَخِيل. والنَّخْلُ: نَخْل الدقيق بالمنخل وانتَخَلْتُ الشيء انتقيته فأخذت خِيَارَهُ»^(٥٠٦).
- ٣ - ﴿صِنَوَانٌ﴾: «الصُّنُو: الغُصْنُ الخارجُ عَنِ أَصْلِ الشَّجَرَةِ، يُقَالُ هُمَا صِنَوَا نَخْلَةٍ وَفُلَانٌ صِنُو أَبِيهِ، وَالتَّثْنِيَةُ صِنَوَانٍ وَجَمْعُهُ صِنَوَانٌ»^(٥٠٧)^(٥٠٨).
- ٤ - ﴿غَيْرٍ﴾ سبق بيانه^(٥٠٩).

-
- (٥٠٢) انظر: المرجعين السابقين، والصفحات نفسها.
- (٥٠٣) انظر: المرجعين السابقين، والصفحات نفسها.
- (٥٠٤) انظر: المرجعين السابقين، والصفحات نفسها.
- (٥٠٥) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢١٢، القاموس المحيط ص ٩٣٦.
- (٥٠٦) المفردات في غريب القرآن ص ٤٨٦ - باختصار، وانظر القاموس المحيط ص ١٣٧١.
- (٥٠٧) قال البقاعي: «وهو تركيب لا فرق بين مثناه وجمعه إلا بكسر النون من غير تنوين وإعرابها مع التنوين» (نظم الدرر ج ٤ ص ١٢٤).
- (٥٠٨) المفردات في غريب القرآن ص ٢٨٧.
- (٥٠٩) انظر ص ٤١ من هذا البحث.

٥ - ﴿يُسْقَى﴾: «سقى: السَّقْيُ والسَّقْيَا أن يعطيه ما يشرب» (٥١٠).

٦ - ﴿وَنُقْضِلُ﴾: الفضل ضد النقص، والفضل زيادة أحد الشيئين على الآخر (٥١١).

٧ - ﴿الْأَكْلُ﴾: «(أَكَلَ): الأَكْلُ: تَنَاوُلُ المَطْعَمِ، والأَكْلُ: لِمَا يُؤْكَلُ بِضَمِّ الكافِ وسكونه. قال تعالى: ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا﴾ [الرعد: ٣٥]» (٥١٢).

التفسير:

من عجائب قدرة الله تعالى أن في الأرض بقاعاً مختلفة متلاصقة قريب بعضها من بعض، وفي هذه القطع المتجاورة أنواع من النبات: العنب المتسلق، وما على شاكلته، والنخل السامق بأنواعه، والزرع من بقول، وحبوب، وخضروات متشابهة، وغير متشابهة، كلها مجتمعة حدائق كالجنات. وذلك النخل منه ما ينبت من الأصل الواحد شجرتان فأكثر، ومنه ما ينبت شجرة واحدة. والجميع يسقى بماء واحد، وأرضه واحدة، ولكن الثمار مختلفة الطعوم، وبعضها أفضل من بعض، وليس ذلك إلا علامات باهرة ظاهرة لمن تدبر وتفكر (٥١٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ - قوله تعالى: ﴿وَزَرَعَ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ﴾.

القراءة ﴿وَزَرَعَ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ﴾ برفع الأربعة وذلك على عطف ﴿زَرَغٌ وَنَخِيلٌ﴾ على ﴿قِطْعٌ﴾، و﴿صِنَوَانٌ﴾ نعت لـ ﴿نَخِيلٌ﴾ و﴿غَيْرُ﴾ عطف

(٥١٠) المفردات في غريب القرآن ص ٢٣٦ وانظر: القاموس المحيط ص ١٦٧١.

(٥١١) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٨١، القاموس المحيط ص ١٣٤٨، لسان العرب ج ٥ ص ٣٤٢٨.

(٥١٢) المفردات في غريب القرآن ص ٢٠ وانظر: القاموس المحيط ص ١٢٤٢.

(٥١٣) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ٩٧، تفسير السعدي ص ٤٣٧، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٧٤، المشاهد في القرآن الكريم ص ١٢٦.

على ﴿صِنَوَانِ﴾^(٥١٤).

قال أبو علي الفارسي: «والجنة على هذا يقع على الأرض التي فيها الأعناب دون غيرها»^(٥١٥).

والقراءة ﴿وَزَّرَعَ وَنَخِيلَ صِنَوَانٍ وَغَيْرَ﴾ بالخفض في الأربعة، وذلك على عطف ﴿زَرَ وَنَخِيلَ﴾ على ﴿أَعْنَبٍ﴾ فهو أقرب إليه من ﴿قَطَعَ﴾ و﴿صِنَوَانٍ﴾ نعت لـ ﴿نَخِيلَ﴾، و﴿غَيْرَ﴾ عطف على ﴿صِنَوَانٍ﴾^(٥١٦).

قال أبو علي الفارسي: «فأما من قرأ: ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَّرَعَ وَنَخِيلَ صِنَوَانٍ﴾ فإنه حمل الزرع والنخيل على الأعناب، كأنه: جنات من أعناب، ومن زرع ومن نخيل»^(٥١٧).

فعلى القراءة بالرفع يكون المعنى: (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب، وفيها أيضاً زرعٌ ونخيلٌ ...)، وعلى القراءة بالخفض يكون المعنى: (وفي الأرض قطع متجاورات وفيها جنات مشتملة على الأعناب والزرع والنخيل ...)، فرسمت لنا كل قراءة صورة مختلفة للطبيعة الخلابة، من جنات من الأعناب (منفردة)، وزروع ونخيل، ومن جنات مشتملة على الأعناب، والنخيل، والزرع. والله تعالى أعلم.

٢ - قوله تعالى: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ﴾:

القراءة ﴿يُسْقَى﴾ بياء التذكير، حملاً على معنى: يُسقى ما ذكر، والقراءة ﴿تُسْقَى﴾ بتاء التأنيث حملاً على معنى: تسقى هذه الأشياء التي

(٥١٤) انظر: الكشف ج ٢ ص ١٩، إتحاف فضلاء البشر ص ٣٨، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٢٨٤.

(٥١٥) الحجة للقراء السبعة ج ٥ ص ٧.

(٥١٦) انظر: الكشف ج ٢ ص ١٩، إتحاف فضلاء البشر ص ٣٨، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٢٨٤.

(٥١٧) الحجة للقراء السبعة ج ٥ ص ٧.

ذكرت، ويقوي ذلك أن بعده ﴿بَعْضُهَا﴾ على التأنيث ولم يقل بعضه^(٥١٨).

والتذكير يحمل معاني عدة منها: القوة، والقلة، والتأنيث يحمل معاني عدة: منها الكثرة والضعف^(٥١٩)، فكل ما ذكر قل أم كثر، على تنوع أصنافه وأنواعه، من نخل باسق، وعنب متسلق، وزرع، يسقى بماء واحد. والله تعالى أعلم.

٣ - قوله تعالى: ﴿وَيُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾:

القراءة ﴿وَيُفَضِّلُ﴾ بنون العظمة على الإخبار من الله ﷻ عن نفسه وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم^(٥٢٠)، وفي الالتفات تطرية للكلام وتفنن في الأسلوب^(٥٢١). وقد جاء الإخبار بلفظ الجماعة؛ لما فيه من معاني التبجيل والتعظيم لله سبحانه وتعالى. قال الزجاج: «وهذا خوطب به العرب لأنهم يستعملون فيمن يُجْلَوْنَه لفظ الجماعة»^(٥٢٢).

والقراءة ﴿وَيُفَضِّلُ﴾ بالياء على الإخبار من الله ﷻ بذلك على لفظ الغائب، جرياً على سياق ما قبله^(٥٢٣).

فالقراءتان جاءتا على أسلوبين من أساليب العرب: الجري على السياق، وهو الأصل، والالتفات، وفيه تطرية للكلام، كما حملت القراءة بالنون معاني التبجيل والتعظيم لله تعالى. والله أعلم.

(٥١٨) انظر: الكشف ج ٢ ص ١٩، شرح طيبة النشر لأحمد بن الجزري ص ٢٥٧، إتحاف فضلاء البشر ص ٣٣٨، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٢٨٥.

(٥١٩) انظر: التأنيث في اللغة العربية ص ٢٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٢٨٦.

(٥٢٠) انظر: الكشف ج ٢ ص ١٩، شرح طيبة النشر لأحمد بن الجزري ص ٥٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٢٨٥.

(٥٢١) انظر: التحبير في علم التفسير ص ١٢٠.

(٥٢٢) معاني القرآن للزجاج ج ٣ ص ١٣٨.

(٥٢٣) انظر: الكشف ج ٢ ص ١٩، شرح طيبة النشر لأحمد بن الجزري ص ٥٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٢٨٥.

٤ - قوله تعالى: ﴿الْأَكْلُ﴾:

القراءة ﴿الْأَكْلُ﴾ بضم الكاف على الأصل، والقراءة ﴿الْأَكْلُ﴾ بإسكان الكاف على التخفيف، وهما لغتان^(٥٢٤). وتنوع القراءة بين لفظ ﴿الْأَكْلُ﴾ بما فيه من ثقل؛ لتوالي ضمتين، ولفظ ﴿الْأَكْلُ﴾ وما به من خفة، ناسب التنوع الكبير في المطعومات، واختلاف أوجه التفاضل بينها. والله أعلم.

٣ - ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُكُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا لَّيْ خَلَقَ جَدِيدٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ أَغْوَيْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد: ٥].

القراءات:

١ - قرأ نافع والكسائي ويعقوب، ﴿أئذا﴾ بهمزين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام، ﴿إنَّا﴾ بهمزة واحدة على الإخبار.

٢ - قرأ ابن عامر وأبو جعفر ﴿إئذا﴾ بهمزة واحدة على الإخبار، ﴿أئنا﴾ بهمزين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام.

٣ - قرأ الباقون ﴿أئذا﴾ بهمزين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام، ﴿أئنا﴾ أيضاً بهمزين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام^(٥٢٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿إِذَا﴾: اسم يدل على زمان مستقبل، ولم تستعمل إلا مضافة إلى جملة، وتجيء للماضي، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا

(٥٢٤) انظر: الكشف ج ١ ص ٣١٤، المغني في توجيه القراءات العشر ج ١ ص ٢٨٠.

(٥٢٥) انظر: النشر ج ١ ص ٣٧٣.

أَنْفَضُوا إِلَيْهَا ﴿[الجمعة: ١١]﴾ (٥٢٦).

٢ - ﴿إِنَّا﴾ مركبة من كلمة (إن) المخففة من الثقيلة وضمير المتكلمين (نا).

قال الراغب: «إن على أربعة أوجه: للشرط نحو: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَلَا تَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ [المائدة: ١١٨]، والمخففة من الثقيلة ويلزمها اللام نحو: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا﴾ [الفرقان: ٤٢]، والنافية نحو: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ [الجاثية: ٣٢]، والمؤكددة للنافية نحو: ما إِنْ يَخْرُجُ زَيْدٌ» (٥٢٧).

التفسير:

وإن تعجب يا محمد - ﷺ - من شيء، فليس ما هو أعجب من قول الكفار أنذا كنا ترابا وبلينا فعدمنا إنا لمجدد إنشاؤنا، وإعادتنا خلقاً جديداً، كما كنا قبل وفاتنا؟، تكذيباً منهم بقدرة الله تعالى، وجحوداً للشواب والعقاب والبعث بعد الممات، فإن إنكارهم للبعث حقيق أن يُتعجب منه، فإن الذي قَدَرَ على إنشاء السماوات والأرض والثمار قادر على إنشاء الخلق بعد موتهم (٥٢٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن جزي: «واختلف القراء في هذا الموضع... فمنهم من قرأ بالاستفهام في الأول والثاني ومنهم من قرأ بالاستفهام في الأول فقط ومنهم من قرأ بالاستفهام في الثاني فقط، وأصل الاستفهام في المعنى إنما هو عن الثاني، فإن همزة الاستفهام معناها الإنكار، وإنما أنكروا أن يكونوا خلقاً جديداً ولم ينكروا أن يكونوا تراباً، فمن قرأ بالاستفهام في الثاني فقط فهو على الأصل، ومن قرأ بالاستفهام في الأول، فالقصد بالاستفهام الثاني ومن

(٥٢٦) انظر: القاموس المحيط ص ١٧٣٧، لسان العرب ج ١ ص ٥٠.

(٥٢٧) المفردات في غريب القرآن ص ٢٧ - باختصار يسير.

(٥٢٨) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ١٠٣، ١٠٤، التسهيل ج ٢ ص ١٣٠.

قرأ بالاستفهام فيهما فذلك للتأكيد» (٥٢٩).

وعليه فإن القراءة بالاستفهام في الثاني جاءت على الأصل، والقراءة بالاستفهام في الأول قد قصد بها الاستفهام في الثاني، وذلك لأن الاستفهام إذا دخل في أول الكلام أحاط بآخره، ولما كان أحد الاستفهامين علة للآخر كان المعنى في أحدهما دون الآخر، وكان الآخر علة له يقع لوقوعه ويرتفع بارتفاعه ويدل عليه^(٥٣٠). وفي هذه القراءة لفظة بيانية جميلة تبين مدى تبجحهم وكفرهم، حيث أمعنوا في إنكارهم للبعث بإنكارهم علته، وهو موتهم وكونهم تراباً، وهذا معلوم بالمشاهدة فكيف يكون إنكارهم لما هو غائب؟.

أما القراءة بالاستفهام في الموضوعين فتحمل معنى المبالغة والتوكيد، وزيادة التوكيد من إعادة لفظ الاستفهام. والقراءات بمجموعها تبين مدى إنكارهم للبعث، وقد جاء التعبير مرة على الأصل ومرة بالتوكيد اللفظي الظاهر ومرة بالتوكيد المعنوي الذي يفهم من السياق. والله تعالى أعلم.

٤ - ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ يَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

القراءات:

١ - قرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف ﴿يَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ﴾ بالياء التحتية.

٢ - قرأ الباقون ﴿نَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ﴾ بالتاء الفوقية^(٥٣١).

(٥٢٩) التسهيل ج ٢ ص ١٣٠، ١٣١ - باختصار وتصرف يسير، وانظر: حجة القراءات

ص ٣٧١، الكشف ج ٢ ص ٢٠، ٢١.

(٥٣٠) انظر: حجة القراءات ص ٣٧١.

(٥٣١) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٧، البدور الزاهرة ص ١٦٩.

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿تَسْتَوِي﴾: «اسْتَوِيَا وَتَسَاوَيَا: تَمَائِلًا، وَسَوِيَّتُهُ بِهِ تَسْوِيَةٌ، وَسَوِيَّتُ بَيْنَهُمَا وَسَاوِيَّتٌ وَأَسْوِيَّتٌ بِهِ. وَهُمَا سَوَاءَانِ وَسِيَّانِ: مِثْلَانِ» (٥٣٢).

التفسير:

يقول الله تعالى: قل يا محمد - ﷺ - لهؤلاء المشركين: مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُدْبِرُهُمَا؟ وَلَمَّا كَانُوا يَقْرُونُ بِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمَا، وَهُوَ رَبُّهُمَا، وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا سَبِيلَ لِلنَّكَارِ ذَلِكَ أَبَدًا، أَمَرَ مُحَمَّدٌ ﷺ أَنْ يُجِيبَ وَيَقُولَ: اللَّهُ. ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهٖ أَنْ يَسْأَلَ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ: وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَأَنْتُمْ تُقْرُونَ بِأَنَّهُ الْخَالِقُ وَالرَّبُّ لِلْسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَمَا بِالْكُمْ اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ عَاجِزِينَ لَا يَمْلِكُونَ لَأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا؟.

ثم يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد - ﷺ - لهؤلاء المشركين: هل يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئاً بالبصير؟، فكما لا يستويان، كذلك لا يستوي الكافر الذي لا يعرف الحق، بالمؤمن الذي يبصر الحق فيتبعه، ويعرف الهدى فيسلكه. وقل لهم يا محمد - ﷺ - : هل تستوي الظلمات التي لا يُرى فيها السبيل، بالنور الذي تُبْصَرُ به الأشياء ويجلو ضوءه الظلام؟، فكما لا يستويان كذلك الكفر والإيمان لا يستويان (٥٣٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بالياء على التذكير، لأن تأنيث ﴿الظُّلُمَاتُ﴾ غير حقيقي (٥٣٤)، ولأن الجمع بالتاء والألف يراد به القلة، والعرب تُذَكِّرُ الجمع إذا قلَّ عدده، كما يجوز أن يذهب بـ ﴿الظُّلُمَاتُ﴾ إلى معنى المصدر فيُذَكِّرُ الفعل حملاً

(٥٣٢) القاموس المحيط: ص ١٦٧٣، وانظر: لسان العرب ج ٣ ص ٢١٦١.

(٥٣٣) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ١٣٢، ١٣٣، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٤٩، التفسير الواضح ج ١٣ ص ٣٨، ٣٩.

(٥٣٤) البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ص ٦٦.

على معنى الإظلام والظلام. والقراءة بالتاء على التانيث على ظاهر تانيث لفظ ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ فذهبوا إلى اللفظ لا إلى المعنى^(٥٣٥).

والتانيث في اللغة يحمل معنى الضعف والكثرة، والتذكير يحمل معنى القلة والقوة^(٥٣٦).

وعليه فإن القراءتين معاً تفيدان أن الضلال وإن كثرت سبله فهي قليلة عند مواجهة الحق لزيفها، ومهما قوي فهو ضعيف زائل. والله أعلم.

٥ - ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُۥ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد: ١٧].

القراءات:

١ - قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿يُوقِدُونَ﴾ بالياء التحتية.

٢ - قرأ الباقون ﴿تُوقِدُونَ﴾ بالتاء الفوقية^(٥٣٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال الراغب: «(وَقَدَ): يُقَالُ وَقَدَتِ النَّارُ تَقْدُ وَقُودًا وَقَدًا، والْوُقُودُ يُقَالُ للحطب المحمول للوقود ولِمَا حَصَلَ من اللهب، واستَوْقَدْتُ النارَ إِذَا تَرَشَّحْتُ لِإِقَادِهَا وَأَوْقَدْتُهَا، قال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾»^(٥٣٨).

(٥٣٥) انظر: حجة القراءات ص ٣٧٣، الكشف ج ٢ ص ١٩، ٢٠، إبراز المعاني ص ٥٤٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٢٨٦، ٢٨٧.

(٥٣٦) انظر: التانيث في اللغة العربية ص ٢٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٢٨٦.

(٥٣٧) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٨، البدور الزاهرة ص ١٦٩.

(٥٣٨) المفردات في غريب القرآن ص ٥٢٩ وانظر: القاموس المحيط ص ٤١٧، لسان العرب ج ٦ ص ٤٨٨٨.

التفسير:

يضرب الله ﷻ في هذه الآية مثلاً للحق والباطل والإيمان والكفر حيث يقول تعالى: مثل الحق في ثباته والباطل في اضمحلاله، مثل ماء أنزله الله ﷻ من السماء إلى الأرض فاحتملته الأودية، الكبير بكبره والصغير بصغره. فاحتمل السيل الذي حدث من هذا الماء زبداً عالياً فوق السيل وهذا الزبد نافش منتفخ، ولكنه بعد غشاء يتلاشى، لا منفعة فيه ولا نقاء، يقذفه الماء ويرمي به على جانبي الوادي، والماء من تحته سارب ساكن هادئ ولكنه هو الماء الذي يحمل الخير والحياة، وهذا المثل كذلك يقع في المعادن، التي يوقد عليها الناس في النار طلب حلية يتخذونها كالذهب والفضة، أو متاع كالحديد والرصاص، فإن الخبث يطفو ولكنه بعد خبث يذهب ويبقى المعدن في نقاء، ذلك مثل الحق والباطل، فالباطل يطفو ويعلو ويبدو رابياً منتفخاً ولا يلبث أن يذهب جفاءً مطروحاً لا حقيقة له ولا ثبات، والحق هادئ ساكن ولكنه باق في الأرض كالماء الذي يحمل الحياة والخير والمعدن الصريح النقي. ومثل هذا المثل للإيمان والكفر يضرب الله تعالى الأمثال للناس ليتعظوا ويعتبروا^(٥٣٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿يُؤَيَّدُونَ﴾ بالياء التحتية على الغيبة والقراءة ﴿تُؤَيَّدُونَ﴾ بالتاء الفوقية على الخطاب^(٥٤٠).

قال مكي: «قوله ﴿رَمَمًا يُؤَيَّدُونَ عَلَيْهِ﴾ قرأ حفص وحمزة والكسائي بالياء، ردوه على ذكر الناس بعده، ولما قبله من لفظ الغيبة، في قوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ [الرعد: ١٣]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ [الرعد: ١٣]».

(٥٣٩) انظر: تفسير الصنعاني ج ٢ ص ٣٣٥، تفسير الطبري ج ١٣ ص ١٣٤، في ظلال القرآن ج ٥ ص ٨٤، ٨٥، صفوه التفاسير ج ٢ ص ٧٩، ٨٠.

(٥٤٠) انظر: حجة القراءات ص ٣٧٣، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٢٨٧.

[١٤]، فردوه في الغيبة على ما قبله وما بعده، وقرأ الباقون بالتاء، جعلوه على الخطاب الذي قبله، وهو قوله: ﴿قُلْ أَتَأْتِخْتُمُ مِنْ دُونِهِ﴾ [الرعد: ١٦] (٥٤١).

وهذا من أفانين الكلام وبلاغته حيث رُدَّ اللفظ على اللفظ القريب قبله وبعده في قراءة ﴿يُوقَدُونَ﴾ - ورُدَّ اللفظ على اللفظ حسن (٥٤٢) -، ورُدَّ على اللفظ البعيد في قراءة ﴿تُوقَدُونَ﴾، فتوَّع الكلام بين الغيبة والخطاب. وفائدة اختلاف القراءة هنا فائدة بلاغية. والله تعالى أعلم.

٦ - ﴿أَفَنَنْ هُوَ قَائِدٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَاهِرُ مِنْ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يَضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

القراءات:

١ - قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ﴿وَصَدُّوا﴾ بفتح الصاد.

٢ - قرأ الباقون ﴿وَصَدُّوا﴾ بضم الصاد (٥٤٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

«صَدَّ عَنْهُ صُدُوداً: أَعْرَضَ، وَصَدَّ فُلَاناً عَنْ كَذَا صَدّاً: مَنَعَهُ، وَصَرَفَهُ» (٥٤٤).

قال الراغب: «(صَدَدَ): الصُّدُودُ والصَّدُّ قد يَكُونُ انصرافاً عن الشيء وامتناعاً نحو: ﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً﴾ [النساء: ٦١] وقد يكون صَرَفاً ومنعاً نحو: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [النمل: ٢٤]، والصَّدُّ

(٥٤١) الكشف ج ٢ ص ٢٢.

(٥٤٢) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٨٣.

(٥٤٣) انظر: الشرح ج ٢ ص ٢٩٨، البدور الزاهرة ص ١٧١.

(٥٤٤) القاموس المحيط ص ٣٧٣، وانظر لسان العرب ج ٤ ص ٢٤٠٩.

من الْجَبَلِ مَا يَحُولُ، وَالصَّدِيدُ مَا حَالُ بَيْنِ اللَّحْمِ وَالْجِلْدِ مِنَ الْقَيْحِ» (٥٤٥).
التفسير:

أَمَّنْ هُوَ ﴿قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ﴾ أي: متوليها ومدبرها في جميع شئونها في الخلق والأجل والرزق، والعالم بأحوالها وأعمالها، ومن جعلوهم به شركاء سواء في استحقاق العبادة؟، والمشركون لا ينازعون في انفراد الله ﷻ بهذا القيام ولكنهم لا يراعون ذلك في عبادتهم غيره، هؤلاء الذين جعلتموهم شركاء لله في العبادة، سئوهم لنا وصِفوهم؟ أم تخبرون الله تعالى بشركاء لا يعلمهم؟ وهذا دليل على عدم وجودهم فلو كان لهم وجود لعلمهم الله لأنه لا تخفى عليه خافية، أم تسمونهم شركاء بظن فاسد لا حقيقة له، بل زَيْنَ الشَّيْطَانِ لهؤلاء المشركين ذلك الكفر والضلال، وَمُنَعُوا من طريق الهدى، ومن يُضِلُّ الله فما له من أحد يهديه (٥٤٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الطبري: «قال تعالى: ﴿وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ بضم الصاد بمعنى: وَصَدَّهم الله عن سبيله لكفرهم به، ثم جعلت الصاد مضمومة، إذ لم يُسَمَّ فاعله. والقراءة ﴿وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ بفتح الصاد على معنى أن المشركين هم الذين صَدُّوا النَّاسَ عن سبيل الله» (٥٤٧).

قال الأزهري: «من قرأ ﴿وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ فله وجهان: صَدُّوا بأنفسهم أي أعرضوا، ومضارعه (يَصِدُّون) بالكسر، والوجه الثاني أنهم صَدُّوا غَيْرَهُم عن السبيل فَأَصْلُوهُمْ، ومستقبله (يَصِدُّون). وهذا مُتَعَدُّ والأول

(٥٤٥) المفردات في غريب القرآن ص ٢٧٥، ٢٧٦ - باختصار، وانظر: لسان العرب ج٤ ص ٢٤٠٩، ٢٤١٠.

(٥٤٦) انظر تفسير الطبري ج ١٣ ص ١٥٨، ١٥٩، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٦٢ التحرير والتنوير ج ١٣ ص ١٥١، ١٥٢، التفسير الواضح ج ١٣ ص ٥١، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٨٤.

(٥٤٧) تفسير الطبري ج ١٣ ص ١٦١ - بتصريف يسير، وانظر: الحجة في القراءات السبع ص ٢٠١، حجة القراءات ص ٣٧٣، مفاتيح الأغاني ص ٢٢٩.

لازم. ومن قرأ ﴿وَصُدُّوا﴾ فمعناه أُضِلُّوا» (٥٤٨).

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: هؤلاء المشركون بالله قد صدهم الله ﷻ عن سبيله لكفرهم، ومن أضله الله عن إصابة الحق والهدى فما له من أحد يهديه لإصابتهما. وهؤلاء المشركون قد أعرضوا عن سبيل الحق، وصدُّوا غيرهم عن الهدى والإيمان. فقد ضلُّوا في أنفسهم وأضلُّوا غيرهم. والله تعالى أعلم.

٧ - ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ بإسكان التاء وتخفيف الباء.

٢ - قرأ الباقون ﴿وَيُثَبِّتَ﴾ بفتح التاء وتشديد الباء (٥٤٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

«ثَبَّتَ»: الثَّبَاتُ ضِدُّ الزَوَالِ، يُقَالُ: ثَبَّتَ يَثْبُتُ ثَبَاتًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ [الأنفال: ٤٥]، وَرَجُلٌ ثَبَّتَ وَثَبَّتَ فِي الْحَرْبِ، وَالْإِثْبَاتُ وَالتَّثْبِيتُ تَارَةٌ يُقَالُ بِالْفِعْلِ يُقَالُ لِمَا يَخْرُجُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ نَحْوُ: أَثَبَّتَ اللَّهُ كَذَا، وَتَارَةٌ لِمَا يَثْبُتُ بِالْحُكْمِ فَيُقَالُ: أَثَبَّتَ الْحَاكِمُ عَلَى فَلَانٍ كَذَا وَثَبَّتَهُ، وَتَارَةٌ لِمَا يَكُونُ بِالْقَوْلِ سَوَاءً أَكَانَ ذَلِكَ صِدْقًا أَمْ كَذِبًا فَيُقَالُ: أَثَبَّتَ التَّوْحِيدَ وَصَدَّقَ النُّبُوَّةَ، وَفُلَانٌ أَثَبَّتَ مَعَ اللَّهِ إِلَاهًا آخَرَ» (٥٥٠).

(٥٤٨) معاني القراءات ص ٢٣٢. وانظر: إتحاف فضلاء البشر ص ٣٣٩، ٣٤٠.

(٥٤٩) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٨، البدور الزاهرة ص ١٧١.

(٥٥٠) المفردات في غريب القرآن ص ٧٨ - باختصار، وانظر القاموس المحيط ص ١٩٠، لسان العرب ج ١ ص ٤٦٧.

التفسير:

يبدل الله ^{وَيَكُنْ} ما يشاء من الشرائع والأحكام، وصحف الملائكة، وأمور العباد، ويثبت منها ما يشاء دون تغيير، وعنده أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ^(٥٥١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الحجة لمن خفف أنه جعله من أثبت يثبت فهو مثبت إذا كتب فالمعنى: ويكتب ما يشاء^(٥٥٢) أو على معنى: ويُقَرُّ ما يشاء مَكْتُوباً فلا يَمْحُوهُ^(٥٥٣).

والحجة لمن شدد أنه جعله من ثبت يثبت، بمعنى: يُقَرُّ الله تعالى ما كتبه ويبقيه ثابتاً فلا يَمْحُوهُ^(٥٥٤). وقال مكي: «القراءتان لغتان، كما أن (ثبت وأثبت) لغتان بمعنى، لكن في التشديد معنى التأكيد والتكرير»^(٥٥٥).

وعليه فإن قراءة التخفيف تحتل معنى: ويكتب أو يُقَرُّ ما كتب، وقراءة التشديد على معنى: ويُقَرُّ، وتحمل معنى التأكيد والتكرير. وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: يمحو الله ما يشاء ويبقى ما يشاء فيُقَرُّه ولا يَمْحُوهُ، ويكتب ما يشاء، وذلك الفعل من الله مؤكد متكرر، فهو على كل شيء قدير وبيده مقاليد كل شيء. والله تعالى أعلم.

٨ - ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ

(٥٥١) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ١٦٥، ١٦٧ - ١٧٠، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٦٦، ٧٦٧، تفسير القرطبي ج ٩ ص ٣٢٩، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٨٧، التفسير المنير ج ١٣ ص ١٨٥.

(٥٥٢) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٢٠٢، حجة القراءات ص ٣٧٤، الكشف ج ٢ ص ٢٣.

(٥٥٣) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ١٧٢، الكشف ج ٢ ص ٢٣.

(٥٥٤) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٢٠٢ حجة القراءات ص ٣٧٤ تفسير الطبري ج ١٣ ص ١٧٢، الكشف ج ٢ ص ٢٣.

(٥٥٥) الكشف ج ٢ ص ٢٣.

وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عَقِيَ الدَّارِ ﴿٤٢﴾ [الرعد: ٤٢].

القراءات:

١ - قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ﴿الْكَافِرُ﴾ بفتح الكاف وألف بعدها وكسر الفاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿الْكَفَّارِ﴾ بضم الكاف وفتح الفاء وتشديدها وألف بعدها على الجمع^(٥٥٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

(كَفَّرَ): الكُفْرُ: نَقِيضُ الْإِيمَانِ، وَالْكُفْرُ: سَتْرُ الشَّيْءِ، وَكُفِّرَ النُّعْمَةُ وَكُفِّرَ أَهْلُهَا: سَتَرَهَا بِتَرْكِ أَدَائِ شُكْرِهَا، وَالْكَافِرُ عَلَى الْإِطْلَاقِ مُتَعَارِفٌ فِيمَنْ يَجْحَدُ الْوَحْدَانِيَّةَ أَوْ النُّبُوَّةَ أَوْ الشَّرِيعَةَ، وَالْجَمْعُ كُفَّارٌ^(٥٥٧).

التفسير:

يقول تعالى: قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم التي سلفت بأنبياء الله تعالى ورسله، واستنفذوا جهدهم وطاقتهم في الصدِّ عن سبيل الله، فمكر الله تعالى بهم، فلم يَضُرُّوا بمكرهم إلا مَنْ شاء الله أن يضره ذلك، وإنما ضُرُّوا أنفسهم لأنهم أسخطوا الله تعالى فاستحقوا الهلاك، ونَجَّى الله تعالى رسله. فكذلك المشركون من قريش يمكرون بك يا محمد ﷺ والله مُنْجِيكَ من مكرهم، ومُلْحِقُ ضَرٍّ مَكْرِهِمْ بِهِمْ. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَالِمٌ بِجَمِيعِ السَّرَائِرِ وَالضَّمَائِرِ وَسَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ، وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ - إِذَا قَدَمُوا إِلَى رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - لِمَنْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ حِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ وَيَدْخُلُ الْمُؤْمِنُونَ الْجَنَّةَ^(٥٥٨).

(٥٥٦) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٨، البدور الزاهرة ص ١٧١.

(٥٥٧) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٤٣٣ - ٤٣٥، القاموس المحيط ص ٦٠٥، لسان العرب ج ٥ ص ٣٨٩٧.

(٥٥٨) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ١٧٥، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٦٩، التحرير والتنوير ج ١٣ ص ١٧٤، التفسير الواضح ج ١٣ ص ٥٧.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة ﴿الْكَافِرُ﴾ بالإفراد على إرادة الجنس، أي سيعلم كل من كفر من الناس. وقراءة ﴿الْكَافَرِ﴾ على الجمع^(٥٥٩).

قال ابن عاشور: «والمفرد والجمع سواء في المَعْرِف بلام الجنس»^(٥٦٠).

وقال مكي: «والقراءتان ترجع إلى معنى واحد لأن الجمع يدل بلفظه على الكثرة، والواحد الذي للجنس يدل بلفظه على الكثرة فهما سواء»^(٥٦١).

قلت: إيراد القراءة مرة بالإفراد على إرادة الجنس مستغرقاً كل من كفر من الناس، ومرة بالجمع، فيه مزيد تهديد ووعيد للكافرين لما يحمله إيراد البيان بأكثر من صورة من تأكيد لحصول المخبر عنه. والله تعالى أعلم.

(٥٥٩) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ١٧٥، حجة القراءات ص ٣٧٣، ٣٧٤، الكشف

ج ٢ ص ٢٤، التسهيل ج ٢ ص ١٣٧.

(٥٦٠) التحرير والتنوير ج ١٣ ص ١٧٤.

(٥٦١) الكشف ج ٢ ص ١٧٤.

المبحث الثاني سورة إبراهيم ﷺ

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة إبراهيم ﷺ.

المطلب الثاني: تفسير سورة إبراهيم ﷺ بالقراءات القرآنية العشر.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة إبراهيم ﷺ.

اسمها:

تسمى هذه السورة: سورة إبراهيم ﷺ. قال ابن عاشور: «أضيفت هذه السورة إلى اسم إبراهيم ﷺ فكان ذلك اسماً لها لا يعرف لها غيره ...، ووجه تسميتها بهذا وإن كان ذكر إبراهيم ﷺ جرى في كثير من السور؛ أنها من السور ذوات ﴿الر﴾، وقد ميز بعضها عن بعض بالإضافة إلى أسماء الأنبياء - ﷺ - التي جاءت قصصهم فيها، أو إلى مكان بعثة بعضهم وهي سورة الحجر» (٥٦٢).

نزولها:

هي مكية كلها عند الجمهور، وقيل مكية إلا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ﴿١٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا

وَيَسِّرْ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ [إبراهيم: ٢٨ - ٣٠]. والصحيح أنها مكية، وقد نزلت بعد سورة الشورى وقبل سورة الأنبياء (٥٦٣).

عدد آياتها:

عدد آياتها أربع وخمسون في عدّ المدنيّين والمكي وأهل حمص، وخمسة وخمسون في عدّ أهل الشام، وإحدى وخمسون في عدّ أهل البصرة، واثنان وخمسون في عدّ أهل الكوفة (٥٦٤).

وجه اتصالها بما قبلها (سورة الرعد):

تعتبر سورة إبراهيم عليه السلام امتداداً لما ذكر في سورة الرعد، وتوضيحاً لما أجمل فيها، فكل منهما تحدثت عن القرآن، وكل منهما ذكر فيها تفويض إنزال الآيات الكونية إلى الله تعالى، كما ذكر في كليهما الآيات الكونية من رفع السماء بغير عمد، ومدّ الأرض، وغيرها، كما تعرضت السورتان لإثبات البعث، وضرب الأمثال للحق والباطل، والحديث عن مكر الكفار وكيدهم وعاقبته، والأمر بالتوكل على الله تعالى، وأيضاً ففي سورة الرعد: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَشِرَّيْ بِرُسُلِي مَن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢]، وذلك مجمل في أربعة مواضع: الرسل، والمستشهزين، وصفة الاستهزاء، والأخذ، وقد فصلت الأربعة في سورة إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٩] إلى الآية ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ

(٥٦٣) انظر: جمال القراء وكمال الإقراء ص ٢٠٥، الإتقان ج ١ ص ٢٠، روح المعاني ج ١٢ ص ١٧٩، التحرير والتنوير ج ١٢ ص ١٩٧، إتقان البرهان ج ١ ص ٣٨٥.

(٥٦٤) انظر: فنون الأفتان ص ٥٣، روح المعاني ج ١٣ ص ١٧٩، التحرير والتنوير ج ١٣ ص ١٧٧.

عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ [إبراهيم: ١٧] (٥٦٥).

ما اشتملت عليه السورة:

مما اشتملت عليه السورة ما يلي (٥٦٦):

- ١ - التنبيه إلى إعجاز القرآن الكريم وإلى عظيم شأنه، وأنه أنزل لإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الهدى والإيمان، والامتنان عليهم بأن جعله بلسان العرب، وتمجيد الله تعالى الذي أنزله.
- ٢ - إثبات أصول العقيدة من الإيمان بالله والرسول والبعث والجزاء، وبيان اتحاد مهمة الرسل ودعوتهم في أصول الاعتقاد والفضائل.
- ٣ - ذم الكافرين وتهديدهم بالعذاب الشديد، ووعد المؤمنين على أعمالهم الطيبة بالجنات.
- ٤ - تنبيه المعاندين بأن محمداً ﷺ ما كان بدعاً من الرسل، وكونه بشراً لا ينافي رسالته.
- ٥ - بيان كيد الشيطان، وكيف يتبرأ من أوليائه يوم القيامة.
- ٦ - وصف حال المؤمنين وحال الكافرين.
- ٧ - بيان فضل كلمة الإسلام، وخُبت كلمة الكفر.
- ٨ - تعداد بعض أنعم الله تعالى على الناس تفصيلاً ثم جمعها إجمالاً.
- ٩ - ذكر طرف من قصة موسى ﷺ، وقصة إبراهيم ﷺ.
- ١٠ - التحذير من كفران النعمة وإنذار الكافرين بأن يحلّ بهم ما حلّ بالمكذبين قبلهم.

(٥٦٥) انظر: تناسق الدرر ص ٩٦، روح المعاني ج ١٣ ص ١٧٩، ١٨٠، التفسير المنير ج ١٣ ص ١٩٧، ١٩٨.

(٥٦٦) انظر: التحرير والتنوير ج ١٣ ص ١٧٨، ١٧٩، في ظلال القرآن ج ٥ ص ١٢١، التفسير المنير ج ١٣ ص ١٩٨، ١٩٩.

١١ - تثبيت النبي ﷺ بوعده بالنصر.

١٢ - بيان الحكمة من تأخير العذاب إلى يوم القيامة.

المطلب الثاني: تفسير سورة إبراهيم ﷺ بالقراءات القرآنية العشر:

١ - ﴿الرَّ كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾ [إبراهيم: ١ - ٢].

القراءات:

١ - قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر ﴿الله﴾ برفع الهاء في الوصل والابتداء.

٢ - قرأ رويس ﴿الله﴾ برفع الهاء في الابتداء، و﴿الله﴾ بخفض الهاء في الوصل.

٣ - قرأ الباقون ﴿الله﴾ بخفض الهاء في الوصل والابتداء^(٥٦٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

اسم الجلالة ﴿الله﴾: «قيل أصله إلاه فحذفت همزته وأدخل عليه الألف واللام فَخُصَّ بالباري تعالى ولتخصصه به قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]»^(٥٦٨)، وقيل هو مشتق من إِلَه يَأْلَهُ إذا تحير؛ لأن العقول تَأْلَهُ عند التفكير في جلاله أي تتحير^(٥٦٩).

قال الفيروزآبادي: «واخْتُلِفَ فيه على عَشْرِينَ قَوْلًا...، وَأَصْحُهَا أَنَّهُ عَلَّمَ غَيْرُ مُشْتَقٍّ»^(٥٧٠). وهذا هو الراجح، والله أعلم. ويؤيد ذلك الإمام السخاوي رحمه الله حيث يقول: «والى هذا القول ذهب جماعة من أهل

(٥٦٧) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٨، البدور الزاهرة ص ١٦٩.

(٥٦٨) المفردات في غريب القرآن ص ٢١.

(٥٦٩) انظر: تفسير الطبرسي ج ١ ص ٢٢، سفر السعادة ج ١ ص ١٢.

(٥٧٠) القاموس المحيط ص ١٦٠٣.

العربية، وجماعة من الفقهاء قالوا: هو اسم غير مشتق من شيء. وهذا الذي حكيناه عن الفقهاء ومن وافقهم هو الذي يعول عليه ويجب المصير إليه» (٥٧١).

التفسير:

يخبر الله تعالى أنه أنزل كتابه على رسوله محمد ﷺ ليخرج الناس من ظلمات الكفر والجهل والمعاصي، إلى نور الإيمان والعلم ومحاسن الأخلاق، بإرادة من الله تعالى ومعونة منه، يهديهم إلى طريق الله العزيز الذي لا يُمانع ولا يُغالَب، المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وأمره ونهيه، الله المالك لما في السماوات والأرض، الغني عن الخلق، المسيطر على هذا الكون وما فيه. والهلاك والدمار للكافرين الذين يؤثرون الحياة الدنيا فيعملون لها، وينسون الآخرة، ويتركونها وراء ظهورهم، ويصرفون الناس عن دين الإسلام، ويطلبون أن تكون شريعة الله مُعَوَّجَةً لتوافق أهواءهم. هؤلاء المتصفون بهذه الصفات الذميمة إنما هم في ذهاب عن الحق لا يُرجى لهم صلاح ولا نجاح» (٥٧٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

«الحجة لمن قرأ ﴿الله﴾ - برفع الهاء من لفظ الجلالة - : أنه جعل الكلام تاماً عند قوله: ﴿الْحَمِيدُ﴾، ثم ابتداء قوله: ﴿اللهُ الَّذِي﴾ فرفع لفظ الجلالة بالابتداء، وإنما حَسُنَ ذلك لأن الذي قبله رأس آية. والحجة لمن قرأ ﴿الله﴾ - بخفض الهاء من لفظ الجلالة - : أنه جعله بدلاً من قوله: ﴿الْحَمِيدُ﴾» (٥٧٣). وعلى هذا التوجيه فإنَّ القراءة بالخفض على البديل فيها «من

(٥٧١) سفر السعادة ج ١ ص ١٤، ١٥ - باختصار وتصرف يسير.

(٥٧٢) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ١٧٩، ١٨٠، التسهيل ج ٢ ص ١٣٧، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٧١، الأساس في التفسير ج ٥ ص ٢٧٧٧، تفسير السعدي ص ٤٤٦، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٩٠.

(٥٧٣) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٢٠٢، حجة القراءات ص ٣٧٦، المكتفى في الوقف والابتداء ص ٣٣٩، الكشف ج ٢ ص ٢٥، مفاتيح الأغاني ص ٢٣٠، الملخص في إعراب القرآن ص ٩٣.

بيان كمال فخامة شأن الصراط وإظهار تحتم سلوكه على الناس^(٥٧٤). ما ليس في الجملة الخبرية على قراءة الرفع - على هذا التوجيه -، فقد أفادت قراءة الخفض إفادة واضحة - لفظاً - عظم شأن الصراط لأنه صراط ﴿اللَّهُ﴾ و﴿الْعَزِيزُ﴾ السلطان ﴿الْحَمِيدُ﴾ في أقواله وأفعاله، وأحكامه، المألوه المعبود بالعبادات^(٥٧٥)، وحيث إن ﴿الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ﴾ وصفان يجوز إطلاق كل منهما على الخلق^(٥٧٦). فإن القراءة بالخفض بينت - بياناً واضحاً يفهم من اللفظ مباشرة - أن المراد بهذين الوصفين هو الله تعالى. أما القراءة بالرفع في لفظ الجلالة على الاستئناف ففيها معنى القوة والفخامة حيث إن «الرفع أقوى وأفخم»^(٥٧٧). من الخفض. والله تعالى أعلم.

ويمكن توجيه القراءة بالرفع في لفظ الجلالة على أنه خبر عن مبتدأ محذوف والتقدير: هو - أي ﴿الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ﴾ - ﴿اللَّهُ﴾ الموصوف بـ ﴿الَّذِي لَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. وهذا الحذف جار على حذف المسند إليه ويُسمى عند علماء البيان بالحذف لمتابعة الاستعمال، أي استعمال العرب عندما يجري ذكر موصوف بصفات أن ينتقلوا من ذلك إلى الإخبار عنه بما هو أهم وأعظم مما تقدم ذكره ليكسب ذلك الانتقال تقريراً للغرض المقصود. وعلى هذا التوجيه فإن القراءتين معناهما واحد، إلا أن الرفع أقوى وأفخم كما سبق بيانه^(٥٧٨)، والخفض أبين وأوضح لأنه يُوصل المعنى المقصود مباشرة. والله تعالى أعلم.

٢ - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَإُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم: ١٨].

(٥٧٤) روح المعاني ج ١٣ ص ١٨٢.

(٥٧٥) تفسير السعدي ص ٤٤٦ - بتصرف يسير.

(٥٧٦) نظم الدرر ج ٤ ص ١٦٦ - بتصرف يسير.

(٥٧٧) التحرير والتنوير ج ١٣ ص ١٨٢.

(٥٧٨) انظر: التحرير والتنوير ج ١٣ ص ١٨٢.

القراءات:

١ - قرأ نافع وأبو جعفر ﴿الرِّيحُ﴾ بفتح الياء وبعدها ألف.

٢ - قرأ الباقون ﴿الرَّيْحُ﴾ باسكان الياء وحذف الألف^(٥٧٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

(الرَّيْحُ) هي: «الهواء المتحرك»^(٥٨٠)؛ وقيل هي: «نَسِيمُ الهواءِ وكذلك نَسِيمُ كُلِّ شَيْءٍ»^(٥٨١). وهي مؤنثة، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَثَ قَوْمٍ﴾ [آل عمران: ١١٧]، وقد تكون الرِّيحُ بمعنى الغلبة والقوة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكَ﴾ [الأنفال: ٤٦]^(٥٨٢).

التفسير:

تعرضت الآيات السابقة لهذه الآية لبيان ما أعدَّ الله تعالى للكافرين من عذاب شديد بسبب كفرهم، ثم ضرب الله تعالى مثلاً لبيان عاقبة أعمالهم التي توهموا من ورائها جلب نفع أو دفع ضرر. يقول تعالى ذكره: صفة أعمال الكفار التي عملوها في الدنيا يزعمون أنهم يريدون وجه الله تعالى بها، كصفة رماد تخلف عن مواد محروقة، عصفت به الريح في يوم شديد هبوب الريح، فنسفته وزهبت به ولم تبق منه شيئاً، لا يقدرّون على تحصيل ثواب ما عملوا وذلك لبطلانه بالشرك، كما لا يستطيع الإنسان الحصول على شيء من الرماد الذي نسفته الريح، وذلك هو الخسران الواضح^(٥٨٣).

(٥٧٩) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٢٣، البدور الزاهرة ص ١٧٠.

(٥٨٠) المفردات في غريب القرآن ص ٢٠٦.

(٥٨١) لسان العرب ج ٣ ص ١٧٦٣.

(٥٨٢) انظر: القاموس المحيط ص ٢٨٢.

(٥٨٣) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ١٩٧، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٩٤، ٩٥، الأمثال في القرآن ص ٣٣١.

قال عبدالعظيم المطعني: «أعمال الكافرين هنا رماد محترق، لا تتعلق به آمال، وحتى مع هذا الوضع الحقيّر لأعمالهم، الرماد لم يقر له قرار، فقد اشتدت به الريح وهذا كاف لتبديده وتطيره. ولكن زيادة في تقنيّتهم ومحو أي أثر لأعمالهم أضيفت إلى ما سبق أمور يكاد معها عمل الكافر يكون عدماً، فاشتداد الريح كان في يوم عاصف، وإسناد العصف إلى ضمير (اليوم)، مبالغة في شدة العصف، وأنهم في هذا اليوم لا يقدرّون على الانتفاع بكسبهم أو شيء منه، كما نلاحظ وصف الضلال بـ ﴿الْبُعِيدُ﴾ ولم يقل (المبين)، لأن الريح لشدة عصفها طيّرت الرماد إلى مسافات نائية جداً لو تعقبوها في تلك المسافات لوقعوا في حيرة وضلال بعيد، والمسافات كما تعلم يناسبها البعد الذي جعل الوصف منه وصفاً لضلالهم في هذا المكان»^(٥٨٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ ﴿الرِّيحَ﴾ فعلى الجمع، ومن قرأ ﴿الرَّيحَ﴾ فعلى الأفراد، وأريد به الجنس^(٥٨٥). ووجه القراءة بالجمع، هو إثبات الرياح من كل جانب وذلك معنى يدل على اختلاف هبوبها، فيكون لفظها مطابقاً لمعناها في الجمع، ووجه القراءة بالأفراد أنّ الواحد يدل على الجمع، لأنه اسم للجنس فهو أخف في الاستعمال، مع ثبات معنى الجمع فيه^(٥٨٦).

وقد أفادت قراءة الجمع، كثرة تشتت الرماد وذهابه، لتعدد جهات هبوب الرياح، أما قراءة الأفراد فقد أفادت بيان شدة هبوب الرياح، حيث إنّ هبوب الرياح من كل جهة على حدة كان شديداً قوياً، وبالجمع بين القراءتين يستفاد أنّ الرياح عصفت بالرماد من جهات مختلفة، وكان هبوبها من كل جهة قوياً شديداً. والله تعالى أعلم.

(٥٨٤) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ج٢ ص٢٢٣ - باختصار وتصرف يسير.

(٥٨٥) انظر: معاني القراءات ص ٦٧، روح المعاني ج١ ص٣٢.

(٥٨٦) انظر: الكشف ج١ ص٢٧١.

فائدة:

ذكر جمع من العلماء^(٥٨٧) قضية تختص بالرياح والريح - بالجمع والإفراد - مفادها أن كل شيء في القرآن من (الرياح) فهو رحمة، وكل شيء فيه من (الريح) فهو عذاب. ولا شك أن اختلاف القراءة في الموضع الواحد بين الجمع والإفراد ينقض هذه القضية، إضافة إلى اعتمادهم على مستند ضعيف في إثبات هذه القضية، وهو حديث روي عن ابن عباس قال: «كان النبي ﷺ إذا هاجت ريح استقبلها بوجهه، وجثا على ركبتيه، ومدّ يديه وقال: اللهم إني أسألك خير هذه الرياح وخير ما أرسلت به، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً، اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»^(٥٨٨). «ويبدو أن أول من دَوّن هذه القضية ومعها دليلها أبو عبيد القاسم بن سلام^(٥٨٩)». قال الطحاوي: «قال أبو عبيد: القراءة التي نَتَّبِعُها في الرياح والرياح أن ما كان منها من الرحمة، فإنه جَمَاعٌ، وما كان منها من العذاب، فإنه على واحدة. قال: والأصل الذي اعتبرنا به هذه القراءة حديث النبي ﷺ أنه كان إذا هاجت الرياح، قال: (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً)^(٥٩١) فكان ما حكاه أبو عبيد من هذا عن رسول الله ﷺ مما لا أصل

(٥٨٧) منهم الراغب في المفردات في غريب القرآن ص ٢٠٦، وابن عطية في تفسيره ج ١١ ص ٢١٣، والزركشي في البرهان ج ٤ ص ٩، والفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز ج ٣ ص ١٠٧، ١٠٨، والسيوطي في الإتقان ج ١ ص ١٨٩.

(٥٨٨) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح (١١٥٣) ج ١١ ص ٢١٣، ٢١٤، عن الحسين ابن قيس، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً. قال الألباني: وهذا إسناد ضعيف جداً. (انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ج ٩ ص ٢٢٨).

(٥٨٩) هو: القاسم بن سلام أبو عبيد الخراساني الأنصاري مولاهم البغدادي، إمام كبير حافظ، علامة، أحد الأعلام المجتهدين، إمام أهل دهره في العلوم، صاحب سُنّة مأمون، له تصانيف في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر، أخذ القراءة عن الكسائي وغيره، وله اختيار في القراءة وافق العربية والأثر، توفي سنة ٢٢٤ هـ. (انظر: غاية النهاية ج ٢ ص ١٧، ١٨).

(٥٩٠) الرياح والرياح في القرآن الكريم وفي كلام العرب ص ١٨.

(٥٩١) سبق تخريجه أعلاه الهامش رقم ٥٨٨.

له، وقد كان الأولى به لجلالة قدره، ولصدقه في روايته غير هذا الحديث،
ألاً يضيف إلى رسول الله ﷺ ما لا يعرفه أهل العلم بالحديث عنه» (٥٩٢).

٣ - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (ن) [إبراهيم: ١٩].

القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿خَلَقُ﴾ بألف بعد الخاء مع كسر اللام ورفع القاف، ﴿السَّمَوَاتِ﴾ بخفض التاء، ﴿الْأَرْضِ﴾ بخفض الضاد.

٢ - قرأ الباقر ﴿خَلَقَ﴾ بحذف الألف وفتح اللام والقاف، ﴿السَّمَوَاتِ﴾ بكسر التاء - علامة نصب - ، ﴿الْأَرْضَ﴾ بفتح الضاد (٥٩٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال الراغب: «الْخَلْقُ أصله التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء قال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [إبراهيم: ١٩] أي: أبدعهما، ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء نحو: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الزمر: ٦]» (٥٩٤). «والخالق في صفاته تعالى: المبدع للشيء، المخترع على غير مثال سابق» (٥٩٥).

التفسير:

ينبه الله تعالى إلى أنه أنشأ السماوات والأرض بالحق منفرداً بإنشائها بغير ظهير ولا معين، فهو القادر على كل شيء، وإن هو شاء أن يُفني الكفار أذهبهم وأفناهم وأتى بخلق آخر مكانهم، وليس ذلك بمتعذر ولا

(٥٩٢) شرح مشكل الآثار ج ٢ ص ٣٧٩.

(٥٩٣) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٨، البدور الزاهرة ص ١٧٠.

(٥٩٤) المفردات في غريب القرآن ص ١٥٧ - باختصار، وانظر: اتفاق المباني وافتراق

المعاني ص ٢٤١، بصائر ذوي التمييز ج ٢ ص ٥٦٦.

(٥٩٥) القاموس المحيط ١١٣٧.

صعب على الله ﷻ، لأنه القادر على كل شيء^(٥٩٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ﴿خَلِيقٌ﴾ اسم على وزن (فاعل)، و﴿السَّمَوَاتِ﴾ بالخفض مضاف إليه، و﴿الْأَرْضِ﴾ بالخفض عطفاً على ﴿السَّمَوَاتِ﴾^(٥٩٧)، وذلك «أنه إذا قرئ على (فاعل) وأضيف دخل به معنى الماضي، ودخل فيه معنى المدح»^(٥٩٨). والقراءة ﴿خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ﴿خَلِيقٌ﴾ فعل ماضٍ، و﴿السَّمَوَاتِ﴾ مفعول به منصوب بالكسرة، و﴿الْأَرْضِ﴾ نصباً عطفً على ﴿السَّمَوَاتِ﴾^(٥٩٩)، والإتيان بالفعل الماضي «لأنه أمر قد كان، وقد فُرع منه، فالفعل أولى به من الاسم، لأن الاسم يشترك في لفظه الماضي والمستقبل والحال، وإنما يخلص للماضي بالدلائل، والفعل بلفظه يدل على الماضي»^(٦٠٠).

وعليه فإنَّ القراءة ﴿خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تحتوي على معنى الفعل الماضي، وتحمل معنى المدح، بوصف الله تعالى بأنه ﴿خَلِيقٌ﴾ بصيغة الاسم الذي يدل على ثبات الأمر واستقراره في صاحبه^(٦٠١)، والقراءة ﴿خَلِيقٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالفعل الماضي تدل باللفظ على حدوث الفعل وتمامه، حيث إنَّ خلق السماوات والأرض أمر قد فُرع منه. والله تعالى أعلم.

٤ - ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي

(٥٩٦) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ١٩٨، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٧٩، تفسير السعدي ص ٤٥٠، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٩٥.

(٥٩٧) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٢٠٣، الكشف ج ٢ ص ٢٥.

(٥٩٨) حجة القراءات ص ٣٧٧، وانظر: الحجة في القراءات السبع ص ٢٠٣، الملخص في إعراب القرآن ص ٩٩.

(٥٩٩) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٢٠٣، الكشف ج ٢ ص ٢٥، ٢٦.

(٦٠٠) الكشف ج ٢ ص ٢٥، ٢٦.

(٦٠١) انظر: التعبير القرآني ص ٢٢.

وَلَوْ مَوْءَا أَنفُسَكُمْ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ
مِنْ قَبْلُ إِنَّ الْكَافِلِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ [إبراهيم: ٢٢].

القراءات:

١ - قرأ حمزة ﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾ بكسر الياء.

٢ - قرأ الباقون ﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾ بفتح الياء (٦٠٢).

المعنى اللغوي للقراءات:

«الصراخ: صوت المستغيث وصوت المغيث إذا صرخ بقومه للإغاثة. وتقول: جاء فلان صارخاً وصريخاً ومُستَصرِخاً: مستغيثاً. وأقبل صارخاً وصارخةً وصريخاً ومُصرِخاً: مغيثاً. وفي المثل: (عبدٌ صَريخُه أمة) أي: مُغيثه. وأصرَخته: أغثته. واستصرخني: استغاثني. وتصارخوا واصطرخوا: تصايحوا» (٦٠٣).

التفسير:

يُخبر الله تعالى عن مشهد من مشاهد الآخرة، بعدما قضى الله بين عباده، فأدخل المؤمنين الجنات، وأسكن الكافرين النار، وقام إبليس لعنه الله يومئذ خطيباً في أهل النار ليزيدهم غمّاً إلى غمهم فقال: إِنَّ الله وعدكم أيها الأتباع النار، ووعدتكم النصر، فأنجز الله وعده، وأخلفتكم وعدي، وما كان لي من حجة ولا دليل فيما وعدتكم به، إلا أن دعوتكم إلى طاعتي ومعصية الله فاستجبتم لدعائي، فلا توجهوا لي اللوم اليوم فإنّ الذنب لكم لكونكم اتبعتموني بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل. ما أنا بمنقذكم ولا مخلصكم مما أنتم فيه، وما أنتم بمنقذي مما أنا فيه من العذاب، إني

(٦٠٢) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٨، البدور الزاهرة ص ١٧١.

(٦٠٣) أساس البلاغة ص ٣٥٢ - باختصار.

جحدت أن أكون شريكاً لله ﷻ، إنَّ الظالمين في إعراضهم عن الحق واتباعهم الهوى والباطل لهم عذاب أليم موجه^(٦٠٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بكسر الياء وفتحها لالتقاء الساكنين. وأصل الكلمة (بمصرخيني) فحذفت النون للإضافة وأدغمت ياء الجمع في ياء الإضافة كما تقول (لديّ، عليّ) فالتقى ساكنان، فمن فتح فلأن الفتح في الياء أخف من الكسر والضم، ومن كسر جرى على الأصل في التقاء الساكنين^(٦٠٥). ويمكن توجيه القراءة بالكسر بأنها على لغة من يزيد ياءً على ياء الإضافة إجراء لها مجرى هاء الضمير إلا أنه حُذفت الياء هنا اكتفاءً بالكسرة، فالأصل عنده في مصرخيّ ثلاث ياءات: ياء الجمع، وياء الإضافة وياء زیدت للمدّ، ثم حُذفت الياء التي للمد وبقيت الياء المشددة مكسورة^(٦٠٦).

وعليه فإنَّ القراءتين على لغتين من لغات العرب، وقد ناسب الكسر مقام الذل والانكسار والخيبة لإبليس اللعين، وناسب الفتح وما به من خفة هوان إبليس في ذلك اليوم. والله أعلم.

٥ - ﴿تَوَقَّ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَا ذِئْبُ رَبِّهَا وَيَعْرِيبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٥].

القراءات:

١ - قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ﴿أَكْلَهَا﴾ بإسكان الكاف.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَكْلَهَا﴾ بضم الكاف^(٦٠٧).

(٦٠٤) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ٢٠٠، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٨١، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٩٦.

(٦٠٥) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٢٠٣، حجة القراءات ص ٣٧٧، ٣٧٨، إبراز المعاني ص ٥٥٠، روح المعاني ج ١٣ ص ٢١٠، التحرير والتنوير ج ١٣ ص ٢٢٠.

(٦٠٦) انظر: الكشف ج ٢ ص ٢٦، الملخص في إعراب القرآن ص ١٠١، إبراز المعاني ص ٥٥٠، روح المعاني ج ١٣ ص ٢١٠.

(٦٠٧) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٣٢، البدور الزاهرة ص ١٧٣.

وقد تقدم الحديث عن هذه القراءة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَجَوِّرَةٌ وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَيْتُونٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِيدٍ وَتُقْضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤] (٦٠٨).

٦ - ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس ﴿لِيُضِلُّوا﴾ بفتح الياء.

٢ - قرأ الباقون ﴿لِيُضِلُّوا﴾ بضم الياء (٦٠٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

«(ضَلَّ): الضلال: العدول عن الطريق المستقيم، وبضاده الهداية، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَنَا مَتَّبِعُ لِنَفْسِي وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [يونس: ١٠٨]، ويُقال الضلال لكل عدول عن المنهج القويم عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً» (٦١٠).

التفسير:

يقول تعالى: وجعل هؤلاء الكفار لله شركاء ونظراء مماثلين عبدوهم معه ليضلوا الناس ويصرفوهم عن طريق الحق، فتمتعوا أيها الكفار، ومهما قدرتم عليه في الدنيا فافعلوا، فَإِنَّ مَرْجِعَكُمْ وَمَأَلَكُمْ إِلَى النَّارِ (٦١١).

(٦٠٨) انظر ص ١٥٣ من هذا البحث.

(٦٠٩) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٩، البدور الزاهرة ص ١٧١.

(٦١٠) المفردات في غريب القرآن ص ٢٩٧، وانظر: القاموس المحيط ص ١٣٢٤.

(٦١١) انظر: تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٩٥، تفسير السعدي ص ٤٥٢، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٩٧.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿يُضِلُّوْا﴾ بضم الياء بمعنى: كي يُضِلُّوا الناس عن سبيل الله بفعلهم هذا، والقراءة ﴿لِيُضِلُّوْا﴾ بفتح الياء بمعنى: كي يضل جاعلوا الأنداد لله عن سبيله^(٦١٢). فقد ضلوا في أنفسهم وأضلوا غيرهم بفعلهم هذا. والله تعالى أعلم.

٧ - ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ﴿لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ بفتح العين في ﴿بَيْعَ﴾، واللام في ﴿خِلَالٌ﴾ من غير تنوين فيهما.

٢ - قرأ الباقر ﴿لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ برفع العين في ﴿بَيْعَ﴾، واللام في ﴿خِلَالٌ﴾ مع التنوين فيهما^(٦١٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿بَيْعَ﴾: «باع الشيء يبيعه بَيْعاً مَبِيعاً شَرَاهُ وهو شاذ وقياسه مَبَاعاً، وباعه أيضاً اشتراه فهو من الأضداد»^(٦١٤).

قال الراغب: «الْبَيْعُ إِعْطَاءُ الْمُثْمَنِ وَأَخْذُ الثَّمَنِ، وَالشَّرَاءُ: إِعْطَاءُ الثَّمَنِ وَأَخْذُ الْمُثْمَنِ، وَيُقَالُ لِلْبَيْعِ الشَّرَاءُ وَلِلشَّرَاءِ الْبَيْعُ وَذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يَتَصَوَّرُ مِنَ الثَّمَنِ وَالْمُثْمَنِ وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ

(٦١٢) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ٢٢٤، حجة القراءات ص ٣٧٨، ٣٧٩، روح المعاني ج ١٣ ص ٢١٩.

(٦١٣) انظر: النشر ج ٢ ص ٢١١، البدور الزاهرة ص ١٧٢.

(٦١٤) مختار الصحاح ص ٧١.

وَكَاثُورًا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ [يوسف: ٢٠]، وقال ﷺ: «لا يبيع الرجل على بيع أخيه»^(٦١٥)، أي: لا يشتري على شراؤه، وأبغث الشيء: عَرَضْتُهُ للبيع»^(٦١٦).

٢ - ﴿خِلَالٌ﴾ قيل: هو مصدرُ خَالَتُهُ مخالّةٌ وخلالاً، والخلال والمُخَالَة: المصادقة. وقيل: جَمْعُ خُلَّةٍ، والخُلَّةُ الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلالة أي في باطنه، والخُلَّةُ أيضاً: الصَّدِيقُ يقال للذَّكَرِ والأنثى والواحدِ والجَمِيعِ^(٦١٧).

قال الراغب: «خَلَّ: الخلل فرجة بين الشيئين وجمعه خِلال، والخلال لما تخلل به الأسنان وغيرها، يقال خَلَّ سِنْتُهُ، وخَلَّ الرمية بالسهم، والخُلَّةُ المودة إما لأنها تَتَخَلَّلُ النفس أي تتوسطها، وإما لأنها تُخِلُّ النفس فتؤثر فيها تأثير السَّهْم في الرمية، وإما لفرط الحاجة إليها، يقال منه خالته مخالّة وخِلالاً فهو خليل، وقوله ﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ فقد قيل هو مصدر من خَالَتُ وقيل هو جمع، يُقَالُ خليلٌ وأخِلَّةٌ وخِلَالٌ»^(٦١٨).

التفسير:

يقول تعالى: قل يا محمد - ﷺ - لعبادي الذين آمنوا فليقيموا الصلاة المفروضة عليهم ويؤدوها على الوجه الأكمل، ولينفقوا مما أنعمنا عليهم من الرزق خفية وجهراً، من قبل أن يأتي يوم القيامة، حيث لا ينفع أحداً بيع ولا فدية، ولا صداقة، فلا سبيل لاستدراك ما فات لا بمعاوضة بيع وشراء، ولا بهبة خليل وصديق، فليقدم كل امرئ لنفسه، ولينتهز الفرصة قبل ألا

(٦١٥) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب لا يبيع على بيع أخيه ولا يسوم على سوم أخيه حتى يأذن له أو يترك، ح(٢١٤٠) ص٤٠٢، ومسلم: كتاب البيوع، باب تحريم بيع الرجل على بيع أخيه وسومه على سومه وتحريم النجش وتحريم التصرية، ح(٣٧٠٣) ص٧٣٧.

(٦١٦) المفردات في غريب القرآن ص٦٧ - بتصرف يسير، وانظر: مختار الصحاح ص٧١.

(٦١٧) انظر: لسان العرب ج٥ ص١٢٥٢.

(٦١٨) المفردات في غريب القرآن ص١٥٣ - باختصار وتصرف يسير.

يمكنه ذلك (٦١٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن عاشور: «وقرأ الجمهور ﴿لَا بَيْعَ﴾ بالرفع، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب بالبناء على الفتح. وهما وجهان في نفي النكرة بحرف (لا)» (٦٢٠).

قلت: تنوع القراءة بين الفتح وما به من خفة وضعف، وبين الضم وما به من ثقل وقوة يفيد نفي جميع صور البيع، وجميع أنواع الخلال والمصادقة في ذلك اليوم. والله تعالى أعلم.

٨ - ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

القراءات:

١ - قرأ هشام بخلف عنه ﴿أَفْنِدَةً﴾ بياء ساكنة بعد الهمزة.

٢ - قرأ الباقر ﴿أَفْنِدَةً﴾ بغير ياء بعد الهمزة وهو الوجه الثاني لهشام (٦٢١).

المعنى اللغوي للقراءات:

«(فأد): فأذ اللحم في النار شواه، والفئيد: النار، والمَشْوِي، والجبان، وافتأدوا أوقدوا ناراً. والتَفْؤد: التَّحْرُق، والتَّوْقُد، ومنه الفؤاد للقلب، مُذَكَّر، أو هو ما يتعلق بالمريء من كبد ورئة وقلب، والجمع أفئدة» (٦٢٢).

(٦١٩) انظر: تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٩٦، تفسير السعدي ص ٤٥٢، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٩٧، ٩٨.

(٦٢٠) التحرير والتنوير ج ١٣ ص ٢٣٤.

(٦٢١) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٩، البدور الزاهرة ص ١٧٢.

(٦٢٢) القاموس المحيط ص ٣٨٩ - باختصار وتصرف يسير.

التفسير:

يخبر الله ﷻ عن إبراهيم عليه السلام إذ توجه بالدعاء إلى الله تعالى قائلاً:
يا ربنا إني أسكنت من ذريتي، ولدي إسماعيل، وزوجي هاجر، بوادٍ مقفر
ليس فيه زرع، بجوار بيتك المحرم، كي يعبدوك ويقيموا الصلاة، فاجعل
قلوباً من قلوب الناس تحن وتسرع إليهم، وارزقهم من أنواع الثمار بأن
تجعل بقربهم قرى يحصل فيها ذلك أو تجبى إليهم من الأقطار الشاسعة
ليكون حالهم حال من يرجى شكرهم لما يرون من نعمك العظيمة، فيشتغلوا
بعبادتك لإغنائك لهم وإحسانك إليهم^(٦٢٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بغير ياء بعد الهمزة على الأصل، والقراءة بإثبات ياء ساكنة بعد
الهمزة على لغة المشبعين من العرب الذين يقولون (الدراهم، الصياريف)،
وهي لغة مستعملة^(٦٢٤).

قال ابن الجزري: «واختلف عن هشام في ﴿أَفْنِدَةً مِّنَ النَّاسِ﴾ فروى
الحلواني عنه من جميع طرقه بياء بعد الهمزة هنا خاصة، ... على لغة
المشبعين من العرب الذين يقولون (الدراهم والصياريف) وليست ضرورة بل
لغة مستعملة. ... وقال بعضهم بل هو ضرورة، وإنَّ هشاماً سهّل الهمزة
كالياء فعبر الراوي عنها على ما فهم بياء بعد الهمزة والمراد بياء عوض
عنها، وردّ ذلك الحافظ الداني^(٦٢٥) وقال: إنَّ النقلة عن هشام كانوا أعلم

(٦٢٣) انظر: نظم الدرر ج ٥ ص ١٩١، ١٩٢، روح المعاني ج ١٣ ص ٢٤٠، صفوة التفاسير
ج ٢ ص ١٠٠.

(٦٢٤) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٩، روح المعاني ج ١٣ ص ٢٤٠، المغني في توجيه القراءات
العشر ج ٢ ص ٢٩٨.

(٦٢٥) هو: عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر، أبو عمرو الداني الأموي مولاهم
القرطبي، المعروف في زمانه بابن الصيرفي، الإمام العلامة الحافظ، أستاذ
الأستاذين، وشيخ مشايخ المقرئين. برز في القراءات علماً وعملاً، وفي الحديث،
وأسماء رجاله، وفي الفقه والتفسير، وسائر أنواع العلوم، له كتاب التيسير في
القراءات السبع، والمكتفى في الوقف والابتداء، وطبقات القراء، وغيرها، توفي
رحمه الله سنة ٤٤٤ هـ بدانية بالأندلس. (انظر: غاية النهاية ج ١ ص ٥٠٣ - ٥٠٥).

الناس بالقراءة ووجوها وليس يفضي بهم الجهل إلى أن يعتقد فيهم مثل هذا» (٦٢٦).

قلت: أفادت القراءة بالإشباع كثرة عدد القلوب التي تحترق شوقاً إلى البيت الحرام فتقصده وتسرع نحوه برغبة، وهذا يمليه ما فيها من زيادة مبنى بحرف المد. أما القراءة الأخرى فعلى الأصل، ومبنى الكلمة يوحى بقوة شوق القلوب وشدة تحرقها، وهذا يمليه التقاء حرفي الهمزة والdal من غير فاصل بينهما على ما بهما من شدة. والله تعالى أعلم.

٩ - ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

القراءات:

١ - قرأ عاصم وابن عامر وحمزة وأبو جعفر ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ بفتح السين.

٢ - قرأ الباقون ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ بكسر السين (٦٢٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

حَسِبْتُهُ وَأَحْسَبُهُ بالفتح، مَحْسَبَةٌ وَمَحْسَبَةٌ وَحِسْبَانًا بالكسر، أي ظَنَنْتُهُ. ويقال أَحْسَبُهُ، بالكسر (٦٢٨).

التفسير:

يقول تعالى: ولا تظنن يا محمد - ﷺ - أن الله تعالى ساهٍ عن أفعال الظلمة، لا تحسبته إذا أنظرهم وأجلهم أنه غافل عنهم مهمل لهم لا يعاقبهم على صنعهم، بل هو يحصي ذلك ويعدده عليهم عدأً، وإنما يؤجل حسابهم إلى يوم القيامة، ذلك اليوم العصيب الرهيب الذي تشخص فيه الأبصار فتظل

(٦٢٦) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٩.

(٦٢٧) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٣٦، البدور الزاهرة ص ١٧٢.

(٦٢٨) الصحاح في اللغة ج ١ ص ١١١ - بتصرف يسير، وانظر: القاموس المحيط ص ٩٥.

مفتوحة لا تَطْرَف لشدة ما ترى من الهول، حيث يقومون من قبورهم إلى أرض المحشر مسرعين لا يلتفتون إلى شيء، رافعي رؤوسهم، أبصارهم شاخصة، لا يطفون لحظة؛ لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة والمخافة لما يحل بهم، وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الوجع^(٦٢٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن خالويه: «الحجة لمن فتح: أنه أتى بلفظ الفعل المضارع على ما أوجبه بناء ماضيه، لأن (فَعَلَ) بالكسر يأتي مضارعه على (يَفْعَل) بالفتح قياس مطرد. والحجة لمن كسر: أنَّ العرب استعملت الكسر والفتح في مضارع أربعة أفعال: (يحسب، وينعم، وييس، ويبس) حتى صار الكسر فيهم أفصح»^(٦٣٠).

وعليه فإنَّ القراءتين على لغتين من لغات العرب، والقراءة بالفتح على الأصل في قياس الفعل، والقراءة بالكسر على غير القياس وإنما اشتهر بالسماع. والقراءتان تلقيان بظلالهما على المعاني حيث يوحى إيراد الفعل بصورتين مختلفتين، إحداهما قياساً على أصل، والأخرى سماعاً على غير أصل، إلى نفي الظنَّ بجميع صورته، سواء أكان ظناً بُني على أصل، أم بُني على ما أخذ سماعاً على غير أصل. والله تعالى أعلم.

١٠ - ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ ظَنُّهُ بُنِيَ عَلَى أَصْل، أَمْ بُنِيَ عَلَى مَا أَخَذَ سَمَاعاً عَلَى غَيْرِ أَصْل. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

القراءات:

- ١ - قرأ الكسائي ﴿لَتَرْوُلَ﴾ بفتح اللام الأولى، ورفع الثانية.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿لِزَوُلَ﴾ بكسر اللام الأولى، ونصب الثانية^(٦٣١).

(٦٢٩) انظر: نظم الدرر ج ٥ ص ١٩٤، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٩٩، ٨٠٠، تفسير السعدي ص ٤٥٣، ٤٥٤. صفوة التفاسير ج ٢ ص ١٠١.

(٦٣٠) الحجة في القراءات السبع ص ١٠٣.

(٦٣١) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٠، البدور الزاهرة ص ١٧٢.

المعنى اللغوي للقراءات:

(زال): زال الشيء يزول زوالاً: فارق طَرِيقَتَهُ جانحاً عنه، ويُقال في شيء قد كان ثابتاً قبل (٦٣٢).

التفسير:

يقول تعالى: لقد مكر المشركون مكرأ عظيماً استفرغوا فيه جهدهم بحيث لم يبق لهم مكر غيره في تأييد الكفر وإبطال الحق، والحال أن الله تعالى المحيط علماً وقدرة بكل شيء، عالم بمكرهم من جميع وجوهه وإن دق، وقادر على إبطاله وإن جَلَّ، وإن تعاضم هذا المكر حتى كان من القوة أن يُزيل الجبال الراسيات من أماكنها فلن يزيل أمر النبوة والرسالة لأنها ثابتة راسخة، بأمر الله تعالى وقدرته (٦٣٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ فمعناه: وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع من أماكنها، غير أن الله ناصر دينه، ومُزيل مكر الكفار ومحقه. فأفادت هذه القراءة بيان عظم مكرهم (٦٣٤).

أما القراءة ﴿وإن كانت مكرهم لتزول﴾ بكسر اللام الأولى، ورفع الثانية ففيها ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن تكون ﴿إن﴾ نافية واللام مؤكدة لها ومعنى ذلك: أن مكرهم أوهن وأضعف من أن تزول منه الجبال، والجبال هنا مشار بها إلى ما جاء به النبي ﷺ من الدين الحق والتأويل: وما كان مكرهم ليزول به أمر

(٦٣٢) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢١٧.

(٦٣٣) انظر: نظم الدرر ج ٥ ص ١٩٥، ١٩٦، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٨٠١، تفسير السعدي ص ٤٥٤، صفوة التفاسير ج ٢ ص ١٠١.

(٦٣٤) انظر: حجة القراءات ص ٨٧٩، الكشف ج ٢ ص ٣٨٢، معاني القراءات ص ٢٣٧، ما انفرد به كل من القراء السبعة ص ١٠٢.

نبوة محمد ﷺ وهي ثابتة كثبوت الجبال الرواسي؛ لأن الله تبارك وتعالى وعده أن يظهر دينه على الأديان كلها، ودليل هذا قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلِّفًا وَعْدَهُ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (٤٧) [إبراهيم: ٤٧]، وتنصره قراءة ابن مسعود: (وما كان مكرهم) (٦٣٥).

الوجه الثاني: أن تكون ﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة «والمعنى: وإن عظم مكرهم وتبالغ في الشدة، فضرب زوال الجبال منه مثلاً لتفاقمه وشدته: أي: وإن كان مكرهم مُسَوِّئاً لإزالة الجبال معداً لذلك» (٦٣٦).

الوجه الثالث: أن ﴿إن﴾ شرطية وجوابها محذوف والمعنى: وإن كان مكرهم مقدراً لإزالة أشباه الجبال الرواسي، فالله مجازيهم بمكرهم وأعظم منه (٦٣٧).

قال السمين الحلبي: «وقد رَجَحَ الوجهان الأخيران على الأول - وهو أن ﴿إن﴾ نافية - لأن فيه معارضة لقراءة الكسائي ذلك أن قراءته تؤذن بالإثبات، وقراءة غيره تؤذن بالنفي. وقد أجاب بعضهم عن ذلك بأن الجبال في قراءة الكسائي مشار بها إلى أمور عظام غير الإسلام ومعجزاته لمكرهم صلاحية إزالتها، وفي قراءة الجماعة مشار بها إلى ما جاء به النبي ﷺ من الدين الحق. فلا تعارض إذ لم يتوارد على معنى واحد نفيًا وإثباتًا» (٦٣٨).

والقراءتان معاً تبينان أن هؤلاء الكفار قد مكروا مكرًا تبالغ في الشدة، وقد عبرت كل قراءة عن هذا المعنى بأسلوب مختلف، مما يؤكد عظم مكرهم. كما أن القراءة ﴿لِتَزُولَ﴾ قد أفادت بالإضافة لما سبق، تحقيق

(٦٣٥) انظر: تفسير الطبري ج ١٣ ص ٢٤٦، الحجة في القراءات السبع ص ٢٠٥، حجة القراءات ص ٣٨٠، الكشف ج ٢ ص ٣٨٣، معاني القراءات ص ٢٣٧، الدر المصون ج ٤ ص ٢٧٩، ٢٨٠، روح المعاني ج ١٣ ص ٢٥٠.

(٦٣٦) الكشف ج ٢ ص ٣٨٣. وانظر: الدر المصون ج ٤ ص ٢٧٩، روح المعاني ج ١٣ ص ٢٥٠، اللامات دراسة نحوية ص ٦٦، ٦٧.

(٦٣٧) انظر: الدر المصون ج ٤ ص ٢٨٠.

(٦٣٨) الدر المصون ج ٤ ص ٢٨٠ - بتصرف يسير، وانظر: روح المعاني ج ١٣ ص ٢٥١.

مكرهم رغم عظمه، وأنه ما كان ليزول به أمر نبوة محمد ﷺ، فقد وعد الله تعالى أن يظهر دينه على الأديان كلها. والله تعالى أعلم.

١١ - ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعَدُوهُ رَسُولُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

القراءات:

١ - قرأ عاصم وابن عامر وحمزة وأبو جعفر ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ بفتح السين.

٢ - قرأ الباقون ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ بكسر السين (٦٣٩).

وقد تقدم الحديث عن هذه القراءة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] (٦٤٠).

(٦٣٩) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٣٦، البدور الزاهرة ص ١٧٢.

(٦٤٠) انظر ص ١٨٨ من هذا البحث.

الفصل الثالث

تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سورتي الحجر والنحل.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: سورة الحجر.

المبحث الثاني: سورة النحل.

المبحث الأول سورة الحجر

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الحجر.

المطلب الثاني: تفسير سورة الحجر بالقرآن العشر.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الحجر.

اسمها:

تُسمى هذه السورة: سورة الحجر. قال ابن عاشور: «سميت هذه السورة سورة الحجر، ولا يعرف لها اسم غيره، ووجه التسمية أن اسم الحجر لم يذكر في غيرها، والحجر^(٦٤١) اسم البلاد المعروفة به، وهو حجر ثمود، وثمرود هم أصحاب الحجر^(٦٤٢)».

نزولها:

سورة الحجر كلها مكية على الأصح، وقد عُدَّت الرابعة والخمسين في عدد نزول السور، وقد نزلت بعد سورة يوسف وقبل سورة الأنعام^(٦٤٣).

(٦٤١) الحجر: «ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام» (معجم البلدان ج ٢ ص ٢٥٤، آثار البلاد وأخبار العباد ص ٩٠).

(٦٤٢) التحرير والتنوير ج ١٤ ص ٥.

(٦٤٣) انظر: التحرير والتنوير ج ١٤ ص ٥، التفسير المنير ج ١٤ ص ٥.

عدد آياتها:

عدد آياتها تسع وتسعون آية باتفاق أهل العدة^(٦٤٤).

وجه اتصالها بما قبلها (سورة إبراهيم عليه السلام):

هناك تناسب بين خاتمة سورة إبراهيم عليه السلام وافتتاح سورة الحجر، حيث وصف الله ﷻ أحوال الكفار يوم القيامة في خاتمة سورة إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۝٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝٤٩ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانٍ وَتَعْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ۝٥٠﴾ [إبراهيم: ٤٨ - ٥٠]، ثم قال في افتتاح سورة الحجر ﴿رَبِّمَا يَودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الحجر: ٢] فأخبر أنَّ المجرمين المذكورين إذا طال مكثهم في النار، ورأوا عصاة الموحدين قد أخرجوا منها، تَمَنَّوْا أَنْ لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، هذا مع اختتام سورة إبراهيم عليه السلام بوصف الكتاب ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، وافتتاح سورة الحجر به ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ [الحجر: ١]، وذلك من تشابه الأطراف^(٦٤٥). كما أنَّ هناك تناسباً بين كلتا السورتين في الافتتاح والمضمون، أما الافتتاح، فكلتا السورتين افتتحتا بوصف الكتاب المبين، وأما المضمون فقد اشتملت كلتا السورتين على شرح أحوال الكفرة يوم القيامة، ووصف السماوات والأرض، وإيراد جزء من قصة إبراهيم عليه السلام، وبعض قصص الرسل، وتسليية الرسول ﷺ لما يلاقيه من قومه^(٦٤٦).

ما اشتملت عليه السورة:

سورة الحجر كغيرها من السور المكية تناولت قضايا إثبات الوجدانية، والنبوة، والبعث والجزاء، والتذكير بمصارع الطغاة ومكذبي الرسل، وقد

(٦٤٤) انظر: فنون الألفان ص ٥٣، تفسير الطبرسي ج ٦ ص ٩١، روح المعاني ج ١٤ ص ٢، بشير اليسر شرح ناظمة الزهر ص ١٠٤.

(٦٤٥) انظر: تناسق الدرر ص ٩٧، روح المعاني ج ١٤ ص ٢، التفسير المنير ج ١٤ ص ٥، ٦.

(٦٤٦) انظر: التفسير المنير ج ١٤ ص ٥.

اشتملت السورة على ما يلي: (٦٤٧)

- ١ - بيان أن القرآن الكريم هو الكتاب الجامع للكمال والبيان.
- ٢ - بيان سنة الله تعالى التي لا تتخلف في الرسالة والإيمان بها والتكذيب. مبدوءة بالإنذار الضمني الملفع بالتهويل: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]، ومنتهية بأن المكذبين إنما يكذبون من عناد لا من نقص في دلائل الإيمان، وأن تلك عادة المكذبين مع رسلهم.
- ٣ - بعض آيات الله تعالى في الكون مثل: خلق السماوات والأرض، إرسال الرياح، الإحياء والإماتة والعلم الشامل والحشر.
- ٤ - قصة خلق آدم، وامتنال الملائكة أمر الله ﷻ بالسجود لآدم، وعصيان إبليس أمر الله تعالى، وبيان عداة إبليس للبشر.
- ٥ - وصف حال أهل الشقاوة وأهل السعادة يوم القيامة.
- ٦ - الإخبار عن سنة الله تعالى في خلقه وأنه غفار لمن تاب وأناب، ومعذب المصيرين على الذنوب.
- ٧ - قصص بعض الأنبياء عليهم السلام وأقوامهم: قصة إبراهيم عليه السلام، قصة أصحاب الأيكة - قوم شعيب - ، قصة أصحاب الحجر - قوم ثمود - .
- ٨ - ذكر أفضال الله ﷻ على النبي المصطفى ﷺ، وتبئته ﷺ ودعوته إلى الصفح عن الذين يؤذونه، وبيان أن الله تعالى كافيه أعداءه.

المطلب الثاني: تفسير سورة الحجر بالقراءات القرآنية العشر:

- ١ - ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

(٦٤٧) انظر: التحرير والتنوير ج ١٤ ص ٦، في ظلال القرآن ج ٥ ص ١٩٠، التفسير المنير ج ١٤ ص ٦، ٧، صفوة التفسير ج ٢ ص ١٠٤.

القراءات:

١ - قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر ﴿رُبَّمَا﴾ بتخفيف الباء.

٢ - قرأ الباقون ﴿رُبَّمَا﴾ بتشديد الباء^(٦٤٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

«رُبَّ» ويُقال رُبَّتْ، ورُبَّمَا، ورُبَّتَمَا، وقد تُخفف: حرف جر للتقليل أو للتكثير حسبما يستفاد من سياق الكلام، ولا يدخل إلا على نكرة، وهو في حكم الزائد فلا يتعلق بشيء، وإذا لحقته (ما) كفته عن العمل، فيجوز دخوله على الأفعال والمعارف فتقول: ربما أقبل الخليل، وربما الخليل مقبل، وقد يبقى على عمله كقوله: ربما ضربة بسيف صقيل^(٦٤٩).

وللنحويين تعليلات في تخفيف (رُبَّمَا) من بينها أنَّ إحدى الباءين حذفت تخفيفاً، كراهية التضعيف، وبينهم خلاف في معناها أهو التكثير أم التقليل، دون إمكان ترجيح أحد المعنيين على الآخر، والسياق هو الدليل الوحيد على ترجيح أحدهما^(٦٥٠).

التفسير:

يقول تعالى ذكره: ربما تمنى الكفار لو كانوا في الدنيا من الموحدين المسلمين، وذلك عند معاينتهم لأهوال يوم القيامة، وقيل حين يرون خروج أهل الخطايا من المسلمين من النار، كما جاء في الحديث: عن رسول الله ﷺ قال: «إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من أهل القبلة، من شاء الله، قالوا: ما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟، قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فسمع الله ما قالوا، قال: فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا. فيقول الكفار: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا، قال: وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ

(٦٤٨) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠١، البدور الزاهرة ص ١٧٥.

(٦٤٩) إعراب القرآن لدرويش ج ٥ ص ٢١٧، وانظر: التفسير المنير ج ١٤ ص ٩.

(٦٥٠) انظر: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم ج ٢ ص ٦٣١.

مُبِين ﴿١﴾ رَبِّمَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ مثقلة (٦٥١) (٦٥٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان بتخفيف الباء وتشديدها على لغتين من لغات العرب (٦٥٣).

قال القرطبي: «وقرأ نافع وعاصم ﴿رُبَمَا﴾ مخفف الباء. الباكون مشددة، وهما لغتان ... وأصلها أن تستعمل في القليل، وقد تستعمل في الكثير؛ أي يود الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين، ... وقال بعضهم: هي للتقليل في هذا الموضع؛ لأنهم قالوا ذلك في بعض المواضع لا في كلها؛ لشغلهم بالعذاب» (٦٥٤).

و﴿رُبَمَا﴾ على معنى التقليل أبلغ في التهديد لأن «التقليل هنا مستعمل في التهكم والتخويف، أي: احذروا وذاذتكم أن تكونوا مسلمين، فلعلها أن تقع نادراً، كما تقول العرب في التوبيخ: لعلك ستندم على فعلك، وهم لا يشكون في تندمه، وإنما يريدون أنه لو كان الندم مشكوكاً فيه لكان حقاً عليك أن تفعل ما قد تندم على التفريط فيه لكي لا تندم، لأن العاقل يتحرز من الضر المظنون كما يتحرز من المتيقن» (٦٥٥).

قلت: وقد ناسب التخفيف معنى التقليل الذي يحمل في طياته أبلغ التهديد، كما ناسب التشديد شدة الحسرة والندم التي يقاسيها الكفار في جهنم - والعياذ بالله - لتفريطهم وعدم إيمانهم. والله أعلم.

(٦٥١) أخرجه الحاكم في المستدرک: کتاب التفسیر ح (٢٩٥٤) ج ٢ ص ٢٦٥، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٦٥٢) انظر: تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٨٠٦، ٨٠٧، صفوة التفسير ج ٢ ص ١٠٥.

(٦٥٣) انظر: معاني القرآن للكسائي ص ١٧٤، حجة القراءات ص ٣٨٠، تفسير السمرقندي ج ٢ ص ٢١٤.

(٦٥٤) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٢.

(٦٥٥) التحرير والتنوير ج ١٤ ص ١١.

٢ - ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ [الحجر:

. [٨]

القراءات:

١ - قرأ شعبة ﴿مَا تُنْزَلُ﴾ بقاء مضمومة ونون مفتوحة وزاي مفتوحة كذلك، ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾ بالرفع.

٢ - قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿مَا نُزِّلُ﴾ بنونين الأولى مضمومة والثانية مفتوحة وكسر الزاي، ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾ بالنصب.

٣ - قرأ البزي ﴿مَا تُنْزَلُ﴾ بقاء مفتوحة مشددة ونون مفتوحة وزاي مفتوحة كذلك^(٦٥٦)، ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾ بالرفع.

٤ - قرأ الباقون ﴿مَا تُنْزَلُ﴾ بقاء مفتوحة ونون مفتوحة وزاي مفتوحة كذلك، ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾ بالرفع^(٦٥٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿تُنْزَلُ﴾: (نزل): النزول في الأصل هو انحطاط من علو، يقال نزل عن دابته، وأنزله غيره. ونزل بكذا وأنزله بمعنى، وإنزال الله تعالى نعمه أو يقمه على الخلق إما بإنزال الشيء نفسه أو بإنزال أسبابه والهداية إليه. والتَنَزُّلُ كالنَّزول، يُقال نَزَلَ الْمَلَكُ بكذا وَتَنَزَّلَ^(٦٥٨).

٢ - ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾: الملائكة جمع، وواحدة (مَلَكٌ)، وهو مشتق من (أَلَكٌ) بمعنى: أرسل، وأصل (مَلَكٌ): (مَأْلَكٌ)، فَقُدِّمَتِ العين وهي اللام، وأُخِرَتِ الفاء فصارت (مَأْلَكًا)، واستثقلت الهمزة، فنقلت إلى الساكن قبلها، وحذفت، فصار لفظه (ملكًا)، فإذا جُمع، رُدَّ إلى أصله من الهمزة وبقي

(٦٥٦) يلزم من تشديد التاء المد الطويل في ﴿مَا﴾ وصلًا، وإذا ابتداء بالفعل لم يشدد التاء وقرأها هكذا: ﴿تُنْزَلُ﴾. (انظر: المغني في توجيه القراءات العشر ج ١ ص ٢٨٤).

(٦٥٧) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠١، البدور الزاهرة ص ١٧٥.

(٦٥٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٤٨٨، ٤٨٩.

على قلبه^(٦٥٩).

التفسير:

طلب الكفار من النبي ﷺ أن يأتيهم بالملائكة لتشهد بصحة ما جاء - وذلك منهم تهكماً وسخرية وإمعاناً في الكفر والتكذيب -، فردّ الله ﷻ عليهم في هذه الآية بأنّ إنزال الملائكة لا يكون إلّا بالحق، أي بالرسالة للرسول أو بالعذاب لمن أراد الله تعذيبه، ولو أجابهم الله تعالى إلى ما طلبوا ثم كفروا لم يُنظروا، بل عُجلوا بالعذاب كما فعل بالأمم المُكذّبة قبلهم^(٦٦٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ما ﴿نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ﴾ بمعنى: ما ننزلها نحن - أي الله ﷻ - فأخبر الله تعالى عن نفسه، إذ بإرادته يكون كلّ شيء، والقراءة ﴿ما تُنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ﴾ على وجه ما لم يسمّ فاعله، بإقامة الملائكة مقام الفاعل لأن الملائكة لا تُنْزَلُ حتى تُنْزَلُ، والأمر ليس لها في النزول، إنما يُنْزَلُها الله ﷻ، أمّا القراءة ﴿ما تُنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ﴾ فعلى إضافة الفعل للملائكة، فرفعها به، وفي الفعل حذف تاء لاجتماع تاءين بحركة واحدة، وأصله (تُنْزَلُ)، والمعنى: ما تُنْزَلُ الملائكة، وحسّن إضافة الفعل للملائكة لأنه قد فهم أنّها تنزل بأمر الله تعالى لها بالنزول^(٦٦١).

قال الطبري: «وكل هذه القراءات الثلاث متقاربات المعاني، وذلك أنّ الملائكة إذا أنزلها الله على رسول من رسله، تُنْزَلُ إليه، وإذا تُنْزَلُ إليه، فإنّما تنزل بإنزال الله إياها إليه»^(٦٦٢).

(٦٥٩) انظر: عمدة الحفاظ ج ١ ص ١١٢، ١١٣.

(٦٦٠) انظر: تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٨٠٨، التحرير والتنوير ج ١٤ ص ١٩، صفوة التفسير

ج ٢ ص ١٠٦، التفسير المنير ج ١٤ ص ١٦.

(٦٦١) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ٧، الحجة في القراءات السبع ص ٢٠٥، ٢٠٦، معاني

القراءات ص ٢٤٠، الكشف ج ٢ ص ٢٩.

(٦٦٢) تفسير الطبري ج ١٤ ص ٧، وانظر حجة القراءات ص ٣٨١.

قلت: القراءة بإسناد الفعل إلى الله تعالى بينت الاهتمام بشأن الفاعل - وهو الله ﷻ - فالذي ينزل الملائكة هو الله العليم الحكيم الذي بيده ملكوت كل شيء والذي لا تصدر عنه الأفعال والأقوال إلا بالحق، ومن كان وصفه كذلك فمحال أن ينزل الملائكة عبثاً، سبحانه وتعالى، أما القراءة على وجه ما لم يُسم فاعله، فقد بينت مزيد الاهتمام بالمفعول - وهو الملائكة - وذلك لبيان عظيم شأن الملائكة فهي أعظم من أن تُنزل لأمر تافهة، وإنما نزولها لأمر عظام. أما القراءة بإسناد الفعل للملائكة فإنها تبين مزيد الاهتمام بشأن تصرف الملائكة، فلا يصدر منها إلا الحق وذلك لأنها تنفذ أمر الله تعالى كما يريد ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. فكانت تلك أبلغ إجابة على طلب الكافرين إنزال الملائكة، حيث ألزمهم الله ﷻ الحجة، وردّ عليهم من جميع الجهات بأوجز عبارة وأروعها وأبدعها، فسبحان الذي جمع البلاغة كلها في كتابه العزيز. والله تعالى أعلم.

٣ - ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ [الحجر: ١٤ - ١٥].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير ﴿سُكَّرَتْ﴾ بتخفيف الكاف.

٢ - قرأ الباقون ﴿سُكَّرَتْ﴾ بتشديد الكاف (٦٦٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

(سَكِرَ): نقيض صَحَا، و(السُّكْرُ) حالة تعرض بين المرء وبين عقله، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب، وقد يَغْتَرِي من الغضب والعشق، و(السُّكْرُ) حبس الماء، وذلك باعتبار ما يعرض من السدّ بين المرء وعقله. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا﴾ من السُّكْر، أو من السُّكْر أي حُبست

عن النظر وخَيْرَت، أو غُطِيتَ وغُشِّيتَ^(٦٦٤).

قال ابن فارس: «(سكر): السكر من الشراب، يقال سَكِرْتُ ورجل سَكِير. والتَّسْكُرُ: التَّخَيْرُ، قال الله جل ثناؤه: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَرُنَا﴾ وناس يقرءونها: سُكِّرَتْ خفيفة على سُحِرَتْ»^(٦٦٥).

التفسير:

يقول تعالى: ولو أننا فتحنا لهؤلاء الكفار المعاندين باباً من أبواب السماء فجعلوا يصعدون فيه، لما صدقوا بذلك، وقالوا لفرط مكابرتهم وكفرهم وعنادهم: إنما سُدَّتْ أبصارنا وخُدعت بهذا الارتقاء والصعود، وقد شُبّه علينا واختلطت الأمور في أذهاننا، وأصبحنا لا نرى إلاّ أخيلة، كالقوم المسحورين^(٦٦٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال مكّي: «قوله ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾ خففه ابن كثير، وشدده الباقر، وهما لغتان: سَكِرْتُ عينه وسَكَّرْتُها، أغشيتها إغشاءً، لكن في التشديد معنى التكثير والتكرير، وحسن ذلك لإضافته إلى جماعة، لكل واحد بصر قد غُشِيَ بغشاوة، والأبصار جماعة فحقه التشديد ليدل على التكثير»^(٦٦٧).

وقال الماوردي: «قوله ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَرُنَا﴾ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾» في «سُكِّرَتْ» قراءتان: إحداها بتشديد الكاف، والثانية بتخفيفها، وفي اختلافهما وجهان:

أحدهما: معناهما واحد، فعلى هذا ستة تأويلات: أحدها: سُدَّتْ، الثاني: عميت، الثالث: أخذت، الرابع: خدعت، الخامس: غشيت

(٦٦٤) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٣٦، القاموس المحيط ص ٥٢٤.

(٦٦٥) مجمل اللغة ج ١ ص ٤٦٨.

(٦٦٦) انظر: تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٨٠٩، التحرير والتنوير ج ١٤ ص ١٧، التفسير المنير ج ١٤ ص ١٧.

(٦٦٧) الكشف ج ٢ ص ٣٠، معاني القراءات ص ٢٤٠.

وغطيت، السادس: معناه حبست.

والوجه الثاني: أنَّ معنى ﴿سُكِّرَتْ﴾ بالتشديد والتخفيف مختلف، وفي اختلافهما وجهان: أحدهما: أنَّ معناه بالتخفيف سُجِّرَتْ، وبالتشديد: أخذت. الثاني: أنَّه بالتخفيف من سُكر الشراب، وبالتشديد مأخوذ من سكرت الماء^(٦٦٨).

قلت: على اعتبار أنَّ القراءتين بمعنى، ففائدة تنوع القراءة تأكيد المعنى، كما أنَّ قراءة التشديد تحمل معنى التكثير. وعلى اعتبار اختلاف المعنى وهو الأولي، لأن «التأسيس أولى من التأكيد»^(٦٦٩)، فإنَّ قراءة التشديد أفادت أنَّ أبصارهم سدت فما عادوا يُبصرون، وقراءة التخفيف بينت أنَّ سدَّ أبصارهم لا يعني أنها عميت عن الرؤية نهائياً بل (سُكِّرَتْ) أي أصبحوا يرون باختلاط وتغير كما يرى السكران أو المسحور^(٦٧٠). والله تعالى أعلم.

ملحوظة:

قد يتبادر إلى الذهن أن تفسير ﴿سُكِّرَتْ﴾ بمعنى (سُحِرَتْ)، سيؤدي إلى تكرار في الآية حيث إنها ختمت بقوله تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾، ويحول هذا الإشكال إذا عرفنا أنَّ هناك قراءة شاذة: (سحرت أبصارنا)، وقد أوردها أبو حيان وقال: «قرأ أبان بن تغلب»^(٦٧١): (سحرت أبصارنا) ويجيء قوله: ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ انتقالاتاً إلى درجة عظمى من سحر العقل، وينبغي أن تجعل هذه القراءة تفسير معنًى لا تلاوة؛ لمخالفتها سواد

(٦٦٨) تفسير الماوردي ج ٣ ص ١٥٠، ١٥١ - باختصار.

(٦٦٩) الأشباه والنظائر في قواعد فقه الشافعية ص ١٧٥، وانظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ج ١ ص ٣٩٦.

(٦٧٠) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ج ٢ ص ٧٨٨.

(٦٧١) هو: أبان بن تغلب الربيعي، أبو سعد، ويقال أبو أميمة الكوفي النحوي، قرأ على عاصم بن أبي النجود، والأعمش، وغيرهما، توفي سنة ١٤١هـ، وقيل سنة ١٥٣هـ. (انظر: غاية النهاية ج ١ ص ٤).

المصحف» (٦٧٢).

٤ - ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر: ٢٢].

القراءات:

١ - قرأ حمزة وخلف ﴿الرِّيحَ﴾ بإسكان الياء، بغير ألف بعدها.

٢ - قرأ الباقون ﴿الرِّيَّاحَ﴾ بياء مفتوحة وألف بعدها (٦٧٣).

وقد تقدم توجيه هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم: ١٨] (٦٧٤). والظاهر أن القراءتين هنا بمعنى واحد. والله أعلم.

٥ - ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر: ٣٩ - ٤٠].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بكسر

اللام.

٢ - قرأ الباقون ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بفتح اللام (٦٧٥).

وقد تقدم الحديث عن هذه القراءة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَدُوهُ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿١٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤] (٦٧٦).

(٦٧٢) البحر المحيط ج ٥ ص ٤٣٧.

(٦٧٣) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٢٣، البدور الزاهرة ص ١٧٥.

(٦٧٤) انظر ص ١٧٥ من هذا البحث.

(٦٧٥) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٥، البدور الزاهرة ص ١٧٥.

(٦٧٦) انظر ص ١٠٠ من هذا البحث.

٦ - ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ (الحجر: ٤١).

القراءات:

- ١ - قرأ يعقوب ﴿عَلَيَّ﴾ بكسر اللام، ورفع الياء وتنوينها.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿عَلَيَّ﴾ بفتح اللام والياء من غير تنوين (٦٧٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

(علا): العُلُوُّ الارتفاع، وهو ضد السُّفْل، وَعَلَا يَغْلُوا عُلُوًّا، وَعَلَيَّ يَغْلِي عَلًّا فهو عَلِيٌّ: أي رفيع القَدْر، و(علا) بالفتح يقال في الأمكنة والأجسام أكثر، وقيل إنَّ (علا) يُقال في المحمود والمذموم، و(عَلَيَّ) لا يُقال إلا في المحمود (٦٧٨). و(على) حرف، وعند سيويه: اسم للاستعلاء، والمصاحبة، والتعليل كاللام، والظرفية، وبمعنى مِنْ والباء والاستدراك، وتكون زائدة للتعويض، وتكون اسماً بمعنى فوق (٦٧٩). و﴿عَلَيَّ﴾ هنا في الآية بمعنى إِلَيَّ (٦٨٠).

التفسير:

يقول الله تعالى: هذا طريق مستقيم واضح مرجعه إِلَيَّ فأجازي كلاً بأعمالهم (٦٨١).

قال ابن عاشور: «والصراط مستعار للعمل الذي يَقصد منه عامله فائدة، شُبّه بالطريق الموصول إلى المكان المطلوب وصوله إليه، أي هذا هو السنّة التي وضعتها في الناس وفي غوايتك إياهم، وهي أنك لا تغوي إلا»

(٦٧٧) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠١، البدور الزاهرة ص ١٧٥، ١٧٦.

(٦٧٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٤٥، ٣٤٦.

(٦٧٩) انظر: القاموس المحيط ص ١٦٩٥.

(٦٨٠) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ٣٣، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٢٨، التحرير والتنوير ج ١٤ ص ٥٢.

(٦٨١) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ٣٣، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٢٨.

من اتبعك من الغاوين، أو أنك تغوي من عدا عبادي الصالحين» (٦٨٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة الجمهور ﴿عَلِي﴾ بفتح اللام وفتح الياء، على أنها (على) اتصلت بها ياء المتكلم، وقراءة يعقوب ﴿عَلِي﴾ بكسر اللام وضم الياء وتنوينها على أنه وصف من (العلو) وُصف به ﴿صِرَاطٌ﴾، أي صراط شريف عظيم القدر، رفيع الشأن (٦٨٣).

وقد أفادت قراءة يعقوب ﴿عَلِي﴾، عظم شأن هذا الصراط، فهو صراط شريف رفيع القدر، وأفادت قراءة الباقيين أنَّ هذا الصراط مرجعه إلى الله ﷻ. وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: يقول الله تعالى: هذا صراط رفيع القدر عظيم الشأن، مرجعه إليّ فأجازي كلاً بعمله. والله تعالى أعلى وأعلم

٧ - ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٣ - ٤٤].

القراءات:

- ١ - قرأ شعبة ﴿جُزْءٌ﴾ بضم الزاي.
- ٢ - قرأ أبو جعفر ﴿جُزْءٌ﴾ بحذف الهمزة وتشديد الزاي مضمومة منونة.
- ٣ - قرأ الباقون ﴿جُزْءٌ﴾ بإسكان الزاي (٦٨٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

-
- (٦٨٢) التحرير والتنوير ج ١٤ ص ٥١، ٥٢.
- (٦٨٣) انظر: تفسير السمرقندي ج ٢ ص ٢١٩، التحرير والتنوير ج ١٤ ص ٥٢، روح المعاني ج ١٤ ص ٥١.
- (٦٨٤) انظر: النشر ج ٢ ص ٢١٦، البدور الزاهرة ص ١٧٦.

الجزء: البعض، وجزء الشيء ما يُتَقَوَّم به جملته، كأجزاء البيت وأجزاء السفينة، وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ أي نصيب وذلك جزء من الشيء^(٦٨٥).

التفسير:

يخبر الله تعالى أن جهنم - والعياذ بالله - موعد إبليس وأتباعه، وأن لها - أي جهنم - سبعة أبواب يدخلون منها، وقد روي أن هذه الأبواب أطباق، طبق فوق طبق، وأنها دركات بعضها أشد من بعض، يقول تعالى: لكل فريق من أتباع إبليس باب مُعَيَّن بحسب عمله^(٦٨٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿جُزْءٌ﴾ بضم الزاي لمجانسة ضم الجيم قبله، وهو لغة الحجازيين، والإسكان على الأصل وهو لغة تميم وأسد^(٦٨٧). والقراءة ﴿جَزْءٌ﴾ بتشديد الزاي من غير همز، وذلك على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الزاي^(٦٨٨). وتنوع القراءة في هذه الكلمة يؤدي إلى تنوع في المسموع يلقي بظلاله على المعاني، فقراءة الضم توحى بتتابع الأجزاء والأنصبه في توزيعها، والقراءة بإسكان الزاي، توحى باستقرار كل جزء مع المقسوم له، والقراءة بحذف الهمزة وتشديد الزاي توحى بخطوات التقسيم حيث يتم اقتطاع كل جزء من الكل. والله أعلم.

٨ - ﴿إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ فِي جَنَّتٍ وَعَيْنُونَ﴾ [الحجر: ٤٥].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وابن ذكوان، وشعبة، وحمزة، والكسائي ﴿وعَيْنُونَ﴾ بكسر العين.

(٦٨٥) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٩٣، القاموس المحيط ص ٤٥.

(٦٨٦) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ٣٥، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٨١٥، صفوة التفاسير ج ٢ ص ١١٠.

(٦٨٧) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر ج ١ ص ٢٧٧.

(٦٨٨) انظر: روح المعاني ج ١٤ ص ٥٣.

٢ - قرأ الباقون ﴿وَعُيُونٌ﴾ بضم العين (٦٨٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

العيون: منابع الماء، قال الراغب: «(عين): العين الجارحة، والجمع أعين وعيون، ويستعار لفظ العين لمعانٍ توجد في الجارحة بنظرات مختلفة، ويقال لمنبع الماء عين تشبيهاً بها لما فيها من الماء، قال تعالى: ﴿فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾» (٦٩٠).

التفسير:

يقول تعالى ذكره: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهَ بطاعته، واجتناب معاصيه في بساتين ناضرة، وعيون متفجرة (٦٩١). والمراد بالعيون يحتمل أن يكون الأنهار الأربعة: ماء وخمر ولبن وعسل، ويحتمل أن يكون منابع مغايرة لتلك الأنهار وهو الظاهر (٦٩٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بضم العين على الأصل، وبكسرهما لمناسبة الياء (٦٩٣). وذلك على لغتين من لغات العرب (٦٩٤). والقراءة بالكسر وما فيه من تناسب مع الياء بعدها يؤدي إلى انسجام إيقاعي وتوافق حركي، يعد ضرباً من الإعجاز الصوتي، وهو لون من ألوان الجمال، والقراءتان إنما هما غدو ورواح بين لونين من ألوان الجمال في روضة الوحي البهيجة، وجمعاً بين لغتين حفلت

(٦٨٩) انظر: النشر ج ٢، الدور الزاهرة ص ١٧٦.

(٦٩٠) المفردات في غريب القرآن ص ٣٥٥ - باختصار وتصرف يسير. وانظر: القاموس المحيط ص ١٥٧٢.

(٦٩١) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ٣٦، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٢، صفوة التفاسير ج ٢ ص ١١٢، التفسير المنير ج ١٤ ص ٣٨.

(٦٩٢) انظر: روح المعاني ج ١٤ ص ٥٧.

(٦٩٣) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٩٣، ٩٤، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٢، روح المعاني ج ١٤ ص ٥٧.

(٦٩٤) انظر: الكشف ج ١ ص ٢٨٥، البسط في القراءات العشر ج ١ ص ١٦٥.

تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر

بهما لغة القرآن الكريم^(٦٩٥). وإضافة إلى الجمال الصوتي، فإن كل قراءة تلقي بظلالها على المعاني، فالقراءة بالضم وما به من قوة، توحى بقوة تفجر هذه العيون وغزارة مائها، أما القراءة بالكسر وما به من معنى التذلل، فإنها توحى بسلاسة جري هذا الماء، وأنه رغم غزارته وكثرته فإنه يجري مذللاً في تناول أهل الجنة. والله تعالى أعلى وأعلم.

٩ - ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَالِمٍ﴾ [الحجر: ٥٣].

القراءات:

١ - قرأ حمزة ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ بفتح النون وإسكان الباء وضم الشين مخففة.

٢ - قرأ الباقون ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ بضم النون وفتح الباء وكسر الشين مشددة^(٦٩٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

(بَشَرَ): البَشَرَةُ ظاهر الجلد، وأبَشَرْتُ الرجل، وبَشَرْتُهُ، وبَشَرْتُهُ: أخبرته بشار بسط بَشَرَة وجهه. وبَشَرْتُهُ عام، أما أبَشَرْتُهُ وبَشَرْتُهُ فعلى التكثير^(٦٩٧).

التفسير:

هذا طرف من قصة ضيف إبراهيم عليه السلام حيث أوجس منهم خيفة فقالوا له: لا تخف، إنما نحن رسل ربك، جئنا لبشارتك بميلاد غلام ذي علم وفطنة وفهم، وهو إسحق عليه السلام^(٦٩٨).

(٦٩٥) انظر: التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم ص ٦٠.

(٦٩٦) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٣٩، ٢٤٠، الدور الزاهرة ص ١٧٦.

(٦٩٧) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٤٨، القاموس المحيط ص ٤٤٧.

(٦٩٨) انظر: تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٥، صفوة التفاسير ج ٢ ص ١١٢، التفسير المنير ج ١٤ ص ٤٩.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿يُبَشِّرُكَ﴾ بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين بمعنى: يُسِرُّكَ ويُفرحك، يُقال: بَشَّرْتُ الرجل أبشره إذا فرحته، و﴿يُبَشِّرُكَ﴾ بالتشديد أي يُخَبِّرُكَ. يُقال: بَشَّرْتَهُ، أبشره أي أخبرته بما أظهر في بشرة وجهه من السرور^(٦٩٩). وهما لغتان^(٧٠٠)، «غير أن التخفيف لا يقع إلا فيما سرّ، والتشديد يقع فيما سرّ وضرّ»^(٧٠١). وبشّر بما فيها من تضعيف تحمل معنى التكثير^(٧٠٢) والمبالغة^(٧٠٣)، وتوحي بقوة هذه البشارة^(٧٠٤).

قال الأزهرى: «من قرأ ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ فهو من البشارة لا غير، يُقال بَشَّرْتَهُ بشارة بتشديد الشين. ومن قرأ ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ فمعناه: يَسِرُّكَ ويُفرحك. يُقال: بَشَّرْتَهُ أبشره، إذا فرحته. ... ومن العرب من يُجيز: بشرته وأبشرته وبَشَّرْتَهُ بمعنى واحد، ويُقال: بَشَّرْتَهُ فأبشر وبَشَّرْ، أي سرّ وفرح»^(٧٠٥).

مما سبق يتبين أنّ القراءتين مفادهما إخبار إبراهيم عليه السلام بخبر يسره وهو أنّ الله سيرزقه بغلام عليم، وقد أكدت قراءة التشديد هذه البشارة بما يحمله مبنى (بشّر) المُضَعَّف من معنى التكثير والمبالغة، أمّا قراءة التخفيف فقد أكدت حصول السرور والبشر، حيث إنّ هذه الكلمة تختص بالأمور السارة، وتحمل معنى جلب السرور والفرحة، وفيها بيان تحقق الفرح

(٦٩٩) انظر: تفسير الطبري ج ٣ ص ٢٥١، حجة القراءات ص ١٦٣.

(٧٠٠) انظر: الكشف ج ١ ص ٣٤٤، الحجة في القراءات السبع ص ١٠٩.

(٧٠١) الحجة في القراءات السبع ص ١٠٩ - باختصار وتصرف يسير.

(٧٠٢) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٤٠.

(٧٠٣) قال ابن فارس: «العرب تزيد في حروف الفعل مبالغة» (الصاحبي ص ٤٤٥).

(٧٠٤) قال السيوطي عند حديثه عن مناسبة الألفاظ للمعاني: «وكذلك جعلوا تكرير العين نحو فرّح وبشّر؛ فجعلوا قوة اللفظ لقوة المعنى، وخصوا بذلك العين؛ لأنها أقوى من الفاء واللام ...» (المزهر في علوم اللغة وأنواعها ج ١ ص ٤٩).

(٧٠٥) معاني القراءات ص ١٠١، ١٠٢.

والسرور لإبراهيم عليه السلام بهذا الغلام الذي سيولد له ^(٧٠٦). والله تعالى أعلى وأعلم.

١٠ - ﴿قَالَ أَبَشِّرْهُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَا بَشَّرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤].

القراءات:

- ١ - قرأ نافع ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ بكسر النون مخففة.
- ٢ - قرأ ابن كثير ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ بكسر النون مشددة مع المد المشبع.
- ٣ - قرأ الباقون ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ بفتح النون مخففة ^(٧٠٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق بيانه ^(٧٠٨).

التفسير:

قال إبراهيم عليه السلام للضيف بعدما بشروه بغلام عليم: أبشروني بالولد وأنا على هذه الحال من الكبر والهرم، فبأي شيء تبشرون، قالها عليه السلام على وجه التعجب ^(٧٠٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

حجة من خفف وفتح النون أنه لم يُعَدَّ الفعل إلى مفعول ولم يرد

^(٧٠٦) لمزيد بيان أقول: قد يخبرك شخص خبراً مفرحاً من وجه نظر المُخبر، وهذا الخبر أيضاً مفرح في العادة، فيصح إطلاق لفظ البشري عليه، فنقول بشرك بكذا، ولكن تحقق السرور ليس شرطاً إذ قد تكون هذه البشارة من وجهة نظرك هي غير ذلك. لذلك كانت قراءة التخفيف مؤكدة لحصول البشر والسرور.

^(٧٠٧) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٢، البدور الزاهرة ص ١٧٦.

^(٧٠٨) انظر ص ٢١٠ من هذا البحث.

^(٧٠٩) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ٤٠، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٥٣٢، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٥، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٨١٨، صفوة التفاسير ج ٢ ص ١١٢.

الإضافة إلى النفس، فأتى بنون الإعراب الدالة على الرفع مفتوحة على الأصل. ومن شدد النون وكسرهما عدّى الفعل وأضافه إلى النفس، فصار (تبشرونني) بنونين: الأولى علامة الرفع والثانية دخلت لتمنع الفعل من أن ينكسر، وهي مع الياء في موضع نصب مفعول به، فأسكن الأولى وأدغمها في الثانية تخفيفاً، وحذف الياء اجتزاءً بالكسرة لأنها نابت عن الياء. ومن خفف النون وكسرهما، فعلى حذف إحدى النونين تخفيفاً من غير إدغام، واجتزأً بالكسرة من الياء^(٧١٠).

وإضافة البشارة إلى نفسه على القراءة بكسر النون - خفيفة أو ثقيلة - فيها بيان تعجبه من هذه البشارة وحاله أنه بلغه الكبر. والتشديد فيه مزيد تأكيد لتعجبه لما فيه من الثقل وما يستوجبه من مدّ في الحرف السابق للمشدد. أما القراءة بغير إضافة إلى النفس، ففيها بيان أنّ التعجب من هذه البشارة ليس قاصراً على إبراهيم عليه السلام فإن كان حاله أنه بلغه الكبر فكذلك زوجه عجوز عقيم، «فمعلوم أن هذه المفاوضة من الملائكة لم تكن مع إبراهيم عليه السلام والصلاة والسلام خاصة، بل مع سارة أيضاً كما جاء في سورة هود»^(٧١١)، كما أنّ الفتح وما به من خفة يوحي بقلة مبالاة إبراهيم عليه السلام وزوجه سارة بهذه البشارة لمضي العمر واستيلاء الكبر. قال الثعالبي: «وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾: تقرير على جهة التعجب والاستبعاد، لكبرهما، أو على جهة الاحتقار وقلة المبالاة بالمسرات الدنيوية، لمضي العمر، واستيلاء الكبر»^(٧١٢). والله تعالى أعلم.

١١ - ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

[٥٦].

(٧١٠) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٢٠٦، ٢٠٧، حجة القراءات ص ٣٨٢، ٣٨٣، الكشف ج ٢ ص ٣٠، ٣١. مفاتيح الأغاني ص ٢٣٥، الملخص في إعراب القرآن ص ١٢٢، تفسير الفخر الرازي ج ١٩ ص ٢٠١.

(٧١١) روح المعاني ج ٢٧ ص ١٣ - عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ أَلْعَلَّيْكُمْ﴾ [الذاريات: ٣٠] - بتصرف يسير.

(٧١٢) الجواهر الحسان ج ٢ ص ٢١٤.

القراءات :

١ - قرأ أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب، وخلف ﴿يَقْنِطُ﴾ بكسر النون.

٢ - قرأ الباقر ﴿يَقْنِطُ﴾ بفتح النون (٧١٣).

المعنى اللغوي للقراءات :

«قنط»: القنوط اليأس من الخير، يُقال قَنَطَ يَقْنِطُ قُنُوطًا، وَقَنْطَ يَقْنُطُ» (٧١٤).

التفسير :

كان استعجاب إبراهيم عليه السلام من البشارة باعتبار العادة دون القدرة، ولذلك قال عليه السلام: لا ييأس من رحمة الله تعالى إلا الضالون المخطئون طريق الصواب، فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى، وكمال علمه وقدرته (٧١٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات :

القراءة بفتح النون وكسرها على لغتين من لغات العرب، يُقال قَنَطَ يَقْنِطُ، نحو: ضَرَبَ يَضْرِبُ، وَقَنْطَ يَقْنُطُ، نحو: عَلِمَ يَعْلَمُ (٧١٦). ولا شك أن التعبير عن المعنى بأكثر من لفظ فيه مزيد تأكيد لهذا المعنى، والمتأمل لهاتين الكلمتين بالفتح والكسر، يجد أن الفتحة وما بها من ضعف، والكسرة وما توحى به من الانكسار تلقي بظلالها على معنى الكلمة، فترسم للسامع الحالة النفسية للقاطن - وهي حالة الضعف والانكسار -، وتجعل

(٧١٣) انظر: الشرح ٢ ص ٣٠٢، البدور الزاهرة ص ١٧٦.

(٧١٤) المفردات في غريب القرآن ص ٤١٣.

(٧١٥) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ٤٠، تفسير البضاوي ج ١ ص ٥٣٢.

(٧١٦) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٢٠٧، الكشف ج ٢ ص ٣١. مفاتيح الأغاني

ص ٢٣٦، الملخص في إعراب القرآن ص ١٢٢، تفسير الفخر الرازي ج ١٩ ص ٢٠٢.

الألفاظ حية بمعانيها وحركاتها وسكناتها. والله تعالى أعلم.

١٢ - ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا لَوْ أَنَّا لَمُنَجُّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٥٩].

القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف ﴿لَمُنَجُّهُمْ﴾ بإسكان النون وتخفيف الجيم.

٢ - قرأ الباقون ﴿لَمُنَجُّهُمْ﴾ بفتح النون وتشديد الجيم^(٧١٧).

وقد تقدم الحديث عن هذه القراءة عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ كُذِّبُوا جَاءَهُم نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]^(٧١٨).

١٣ - ﴿لَا أَمْرَآتُهُ قَدْ رَنَّا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَدِيرِ﴾ [الحجر: ٦٠].

القراءات:

١ - قرأ شعبة ﴿قَدْ رَنَّا﴾ بتخفيف الدال.

٢ - قرأ الباقون ﴿قَدَّرْنَا﴾ بتشديد الدال^(٧١٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال ابن فارس: «(قَدَّرَ) القاف والدال والراء أصلٌ صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقَدَّر: مبلغ كل شيء. يقال: قَدَّرَهُ كذا، أي مبلغه. وكذلك القَدَّر. وقَدَّرَت الشيء أَقْدَرَهُ وأَقْدَرَهُ من التقدير، وقَدَّرَت أَقْدَرَهُ. والقَدَّر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهايتها التي أرادها لها، وهو القَدَّرُ أيضاً»^(٧٢٠).

(٧١٧) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٥٨، ٢٥٩، البدور الزاهرة ص ١٧٦، مصحف الصحابة للقراءات العشر ص ٢٦٥.

(٧١٨) انظر ص ١٣٨ من هذا البحث.

(٧١٩) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٢، البدور الزاهرة ص ١٧٦.

(٧٢٠) معجم مقاييس اللغة ج ٥ ص ٦٢.

التفسير:

أخبرت الملائكة إبراهيم عليه السلام أنهم مرسلون لإهلاك قوم لوط عليه السلام ثم أخبروه أن الله تعالى سينجي آل لوط عليه السلام من العذاب الواقع على قومه إلا امرأته فقد قضى الله تعالى فيها أن تكون من الباقين مع الكفرة لتهلك معهم^(٧٢١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بتخفيف الدال وتشديدها على لغتين من لغات العرب، وفي التشديد معنى المبالغة^(٧٢٢).

وقد أفادت القراءة بالتخفيف سرعة تحقق أمر الله تعالى^(٧٢٣)، أما القراءة بالتشديد فإنها أكدت تحقق حدوث أمر الله تعالى وبشكل بليغ. والله تعالى أعلم.

١٤ - ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكَ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٥].

القراءات:

١ - قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر ﴿فَأَسْرِ﴾ بهمزة وصل فتسقط في الدّرج ويصير النطق بالسّين الساكنة بعد الفاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿فَأَسْرِ﴾ بهمزة قطع مفتوحة^(٧٢٤).

تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَلُوطُ

(٧٢١) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ٤١، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٥٣٢، التفسير المنير ج ١٤ ص ٥١.

(٧٢٢) انظر: معاني القراءات ص ٢٤٢، الكشف ج ٢ ص ٣٢، الملخص في إعراب القرآن ص ١٢٣.

(٧٢٣) انظر: ص ٢٧ من البحث.

(٧٢٤) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٠، البدور الزاهرة ص ١٧٧.

إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَّكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٧٢٥﴾ [هود: ٨١]

١٥ - ﴿وَكَاوُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢].

القراءات:

١ - قرأ ورش، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿بُيُوتًا﴾ بضم الباء.

٢ - قرأ الباقون ﴿بُيُوتًا﴾ بكسر الباء (٧٢٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

(بيت): أصل البيت مأوى الإنسان بالليل، ويقال للمسكن بيت من غير اعتبار الليل فيه، وجمعه بيوت وأبيات، لكن البيوت بالمسكن أخص والأبيات بالشعر، قال تعالى: ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧]، ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ [النور: ٢٧] ويقع ذلك على المُتَّخِذ من حجر ومدر (٧٢٧) وصوف ووبر (٧٢٨).

التفسير:

يخبر الله تعالى عن أصحاب الحجر وهم ثمود قوم صالح عليه السلام أنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمينين أن تخرب بيوتهم لقوتها، وقيل آمينين من الموت (٧٢٩). قال البيضاوي: ﴿ءَامِنِينَ﴾ من الانهدام وثقب اللصوص، وتخريب الأعداء لوثاقتها، أو من العذاب لفرط غفلتهم أو حساباتهم أن

(٧٢٥) انظر: ص ٥٦ من هذا البحث.

(٧٢٦) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٢٦، مصحف الصحابة للقراءات العشر ص ٢٦٦.

(٧٢٧) المَدَر - محرقة - : قطع الطين اليابس. (القاموس المحيط ص ٦٠٩).

(٧٢٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٦٤.

(٧٢٩) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ٥٠.

الجبال تحميمهم منه»^(٧٣٠). وقال ابن كثير: ﴿ءَامِينَ﴾ أي من غير خوف ولا احتياج إليها بل أشراً وبطراً وعبثاً^(٧٣١). قلت: ولا مانع من اعتبار جميع ما ذكر. والله أعلم.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الكسر والضم في هذه الكلمة على لغتين من لغات العرب، والضم على أصل ما وجب للجمع حيث إنَّ باب (فَعَلَ) في الجمع الكثير (فُعُول). والكسر تخفيفاً، حيث إنَّه لَمَّا كان ثاني الكلمة ياءً، كُسِر أولها، وذلك لأن الكسرة مع الياء أخف من الضمة معها، ولثلا يجتمع في الكلمة حركتان ثقيلتان (ضَمَّتَان)، وحرف ثقيل عليه حركة ثقيلة - وهي الياء المضمومة - في جمع والجمع ثقيل^(٧٣٢). والقراءة بالكسر وما فيه من تناسب مع الياء بعدها يؤدي إلى انسجام إيقاعي وتوافق حركي، يعد ضرباً من الإعجاز الصوتي، وهو لون من ألوان الجمال، والقراءتان إنما هما غدو ورواح بين لونين من ألوان الجمال في روضة الوحي البهيجة، وجمعاً بين لغتين حفلت بهما لغة القرآن الكريم^(٧٣٣).

والم تأمل لكلمة ﴿يُونَا﴾ يجد أنَّ الضم والكسر فيها يرسم الحالة النفسية للفرد في بيته، فهي بين الشعور بالقوة والمَنَّة (وهو ما يوحيه الضم بقوته)، وبين السكينة والاستسلام للراحة نتيجة الشعور بالأمان والاطمئنان، وهو ما يوحيه الكسر بما يحمل من معاني الخضوع والاستسلام. والله تعالى أعلم.

(٧٣٠) تفسير البضاوي ج ١ ص ٥٣٤.

(٧٣١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٨٢٢، قلت: لعله رحمه الله فسر هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَتَنجِثُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُونَا قَرْهَيْنَ﴾ [الشعراء: ١٤٩].

(٧٣٢) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٩٣، ٩٤، الكشف ج ١ ص ٢٨٤، ٢٨٥، البسط في القراءات العشر ج ١ ص ١٦٥.

(٧٣٣) انظر: التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم ص ٦٠.

المبحث الثاني سورة النحل

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة النحل.

المطلب الثاني: تفسير سورة النحل بالقراءات القرآنية العشر.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة النحل:

اسمها:

تسمى سورة النحل، ووجه تسميتها بذلك أَنَّ لفظ النحل قد ورد ذكره فيها ولم يذكر في غيرها من السور، وتُسَمَّى أيضاً سورة النِّعَم - بكسر النون وفتح العين - لما عدد الله تعالى فيها من النعم على عباده^(٧٣٤).

نزولها:

سورة النحل مكية في قول الجمهور. وقيل: إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة منصرف النبي ﷺ من غزوة أحد وهي: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...﴾ [النحل: ١٢٦] إلى آخر السورة، قيل نزلت

(٧٣٤) انظر: تفسير ابن عطية ج ٣ ص ٣٧٧، التكميل والإتمام ص ٢٢٢، جمال القراء وكمال الإقراء ج ١ ص ٣٦، الإيقان ج ١ ص ٧٢، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٦٥، حاشية الشهاب ج ٥ ص ٥٤٥، روح المعاني ج ١٤ ص ٨٩.

في نسخ عزم النبي ﷺ على أن يمثل بسبعين من المشركين إن أظفره الله بهم جزاء تمثيلهم بحمزة وقتلى أحد ﷺ. وقيل: أولها مكى إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ [النحل: ٤١] فهو مدني إلى آخر السورة. وقيل هي مكية إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وهي قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [النحل: ٩٥] - إلى قوله - ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] (٧٣٥).

عدد آياتها:

عدد آياتها مائة وثمان وعشرون آية في عدّ الجميع (٧٣٦).

وجه اتصالها بما قبلها (سورة الحجر):

قال السيوطي: «وجه وضعها بعد سورة الحجر: أَنَّ آخرها شديد الالتئام بأول هذه، فَإِنَّ فِي آخر تلك: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] الذي هو مفسر بالموت، ظاهر المناسبة لقوله هنا: ﴿أَنْتَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: ١]» (٧٣٧).

ما اشتملت عليه السورة:

تعالج سورة النحل موضوعات العقيدة الكبرى: الألوهية، والوحي، والبعث، والنشور، وإلى جانب ذلك تتحدث عن دلائل قدرة الله تعالى ووحدانيته، في ذلك العالم الفسيح، والتي يراها الإنسان في حياته، ويدركها بسمعه وبصره، وقد اشتملت على ما يلي: (٧٣٨)

(٧٣٥) انظر: الإتقان ج ١ ص ١٢، روح المعاني ج ١٤ ص ٨٩، ٩٠، التحرير والتنوير ج ١٤ ص ٩٣.

(٧٣٦) انظر: فنون الأفنان ص ٥٣، تفسير الطبرسي ج ٦ ص ١٢٧، جمال القراء وكمال الإقراء ج ١ ص ٢٠٥، روح المعاني ج ١٤ ص ٩٠.

(٧٣٧) تناسق الدرر ص ٩٧.

(٧٣٨) انظر: في ظلال القرآن ج ٥ ص ٢٢٤، التحرير والتنوير ج ١٤ ص ٩٤، ٩٥، ٩٦، صفوة التفاسير ج ٢ ص ١١٨، زهرة التفاسير ج ٨ ص ٤١٢٠.

١ - إثبات البعث والجزاء وإنذار المشركين من عذاب الله ﷻ الذي يستهزئون به.

٢ - إظهار شناعة الشرك وفساده، وإيراد الأدلة على تفرد الله ﷻ بالألوهية، من تذكير بخلق السماوات والأرض، وما في السماء من شمس وقمر ونجوم، وما في الأرض من بشر وحيوان ونبات وبحار وجبال، وأعراض الليل والنهار، وأطوار الإنسان وأحواله، وأدمج في ذلك العبرة والامتنان على الناس بما في ذلك من المنافع الطيبة المنتظمة، والمحاسن، وحسن المناظر، ومعرفة الأوقات، وعلامات السير في البر والبحر.

٣ - بيان ما حلّ بالأمم التي أشركت بالله ﷻ وكذبت الرسل، وفي مقابل ذلك، بيان ما أعدّه الله ﷻ من نعيم للمتقين الصادقين، الذين صبروا على أذى المشركين.

٤ - موضوع الهجرة في سبيل الله ﷻ، وفتنة المسلمين في دينهم، والكفر بعد الإيمان وجزاء هذا كله عند الله تعالى.

٥ - بيان حقيقة الإرادة الإلهية والإرادة البشرية فيما يختص بالإيمان.

٦ - قضية التحليل والتحريم وأوهام المشركين حول هذه القضية.

٧ - موضوعات المعاملة: العدل والإحسان، والإنفاق، والوفاء بالعهد، وغيرها من موضوعات السلوك القائم على العقيدة.

٨ - إثبات رسالة محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه، وأن شريعة الإسلام قائمة على أصول ملة إبراهيم ﷺ.

المطلب الثاني: تفسير سورة النحل بالقراءات القرآنية العشر:

١ - ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ أَلَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَعَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

[النحل: ١].

القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿عَمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بقاء الخطاب.

٢ - قرأ الباقون ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بياء الغيبة^(٧٣٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

«الشركة والمشاركة خلط الملكين، وقيل هو أن يوجد شيء لاثنيين فصاعداً، يقال شركته وشاركته وتشاركوا واشتركوا وأشركته في كذا، قال ﴿وَأَشْرِكُوا فِي أَمْرِي﴾ [طه: ٣٢]، وشرك الإنسان في الدين ضربان:

أحدهما: الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله تعالى، يقال أشرك فلان بالله وذلك أعظم كفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

والثاني: الشرك الصغير وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله تعالى: ﴿شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠]»^(٧٤٠).

التفسير:

يقول تعالى: قُرْبُ قِيَامِ السَّاعَةِ، ودنا واقترب ما وعدتم به من العذاب أيها الكفرة، وعبر عن ذلك بأمر الله تعالى تفخيماً وتهويلاً، وإيداناً بأن إتيان الساعة منوط بحكم الله ﷻ وقضائه، ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ أيها المشركون، تنزه الله ﷻ وتقدس عن إشراككم به غيره من الأنداد والأوثان^(٧٤١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بتاء الخطاب جرياً على الخطاب قبله في قوله تعالى ﴿تَسْتَعْجِلُوهُ﴾^(٧٤٢)، وفيه مزيد تبكيت وتقريع للمشركين على فعلهم بتوجيه الكلام مباشرة إليهم^(٧٤٣) حيث إنَّ «أسلوب الخطاب أخص من أسلوب

(٧٣٩) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٨٢، البدور الزاهرة ص ١٧٨.

(٧٤٠) المفردات في غريب القرآن ص ٢٥٩، ٢٦٠ - باختصار.


(٧٤١) المقتطف من عيون التفاسير ج ٣ ص ١٠٣.

(٧٤٢) انظر: الدر المصون ج ٤ ص ٣١١.

(٧٤٣) انظر: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص ٢٩.

الغيبة»^(٧٤٤)، قال الطبري: «إنما هو وعيد من الله للمشركين، ابتدأ الآية بتهديدهم، وختم آخرها بنكير فعلهم، واستعظام كفرهم على وجه الخطاب لهم»^(٧٤٥).

والقراءة بالياء إخبار عن أهل الكفر^(٧٤٦)، وذلك على الالتفات^(٧٤٧) حيث عدل عن الخطاب للكفرة إلى الغيبة تحقيراً لهم لفظاً فعلهم، وكأنهم لقلة شأنهم غير حريين بالخطاب^(٧٤٨)، كما أن حكاية حالهم لغيرهم لينكروا عليهم فعلهم، فيه استعظام لقبح فعلهم، فالإنسان يحب نفسه، ولا ينكر عليها ولا يستعظم منها العظائم بل من غيره^(٧٤٩).

٢ - ﴿يُنْزِلُ الْمَلَكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾  [النحل: ٢].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس ﴿يُنْزِلُ﴾ بإسكان النون وتخفيف الزاي، ﴿الْمَلَكَةُ﴾ بالنصب.

٢ - قرأ روح ﴿تَنْزِلُ﴾ بقاء ونون مفتوحة وزاي مفتوحة مشددة، ﴿الْمَلَكَةُ﴾ بالرفع.

٣ - قرأ الباقون ﴿يُنْزِلُ﴾ بياء مضمومة ونون مفتوحة وزاي مكسورة مشددة، ﴿الْمَلَكَةُ﴾ بالنصب^(٧٥٠).

وقد تقدم الحديث عن هذه القراءات عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نُنْزِلُ﴾

(٧٤٤) الإكسير في علم التفسير ص ١٧٧.

(٧٤٥) تفسير الطبري ج ١٤ ص ٧٦.

(٧٤٦) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ٧٦، الدر المصون ج ٤ ص ٣١١.

(٧٤٧) انظر: حاشية الشهاب ج ٥ ص ٥٤٦.

(٧٤٨) انظر: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص ٢٨، ٢٩.

(٧٤٩) انظر: الإكسير في علم التفسير ص ١٧٩.

(٧٥٠) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٢، البدور الزاهرة ص ١٧٨.

الْمَلَكَةِ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾ [الحجر: ٨] (٧٥١).

٣ - ﴿وَنَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَافِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٧].

القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر ﴿بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ بفتح الشين.

٢ - قرأ الباقون ﴿بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ بكسر الشين (٧٥٢).

٣ - قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر ﴿لَرءُوفٌ﴾.

٤ - قرأ الباقون ﴿لَرءُوفٌ﴾ (٧٥٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾

الشَّق: الجهد والعناء والانكسار الذي يلحق النفس والبدن (٧٥٤)،
والشَّق: لغة فيها، تقول العرب: بشق وبشق، وبرق وبرق (٧٥٥).

قال ابن فارس: «(شق): الشين والقاف أصل واحد صحيح يدل على انصداع في الشيء، ثم يحمل عليه ويشق منه على معنى الاستعارة، تقول شققت الشيء أشقه شقاً إذا صدعته، ويقال لنصف الشيء (الشَّق)، ويقال أصاب فلاناً شقٌّ ومشقة، وذلك الأمر الشديد كأنه من شدته يشقُّ الإنسان شقاً» (٧٥٦).

(٧٥١) انظر ص ٢٠٠ من هذا البحث.

(٧٥٢) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٢، البدور الزاهرة ص ١٧٨.

(٧٥٣) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٢٣.

(٧٥٤) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٦٤، لسان العرب ج ٤ ص ٢٣٠٢.

(٧٥٥) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ٨١.

(٧٥٦) معجم مقاييس اللغة ج ٣ ص ١٧٠، ١٧١ - باختصار.

وقال ابن منظور: «الشَّق والمَشَقَّة: الجهد.

٢ - ﴿لَرْؤُفٌ﴾، ﴿لَرْؤُفٌ﴾:

«(رأف) الرأفة الرحمة وقيل أشد الرحمة، رَأَفَ به يَزَأِفُ ورِئِفَ ورؤُفَ رَأْفَةً ورَأْفَةً، ومن صفات الله ﷻ الرؤوف وهو الرحيم لعباده العَطُوفُ عليهم بآلطفه والرأفة أخصُّ من الرحمة وأزَقُّ، وفيه لغتان قرئ بهما معاً رءوفٌ على فَعُولٍ ورؤُفٌ على فَعْلٍ»^(٧٥٧).

التفسير:

في الآيات السابقة لهذه الآية يعدد الله ﷻ النعم التي أنعمها على عباده ويورد من هذه النعم خلق الأنعام لمصالح البشر، ويبين الله ﷻ في هذه الآية أنَّ من تلك المصالح أنَّ الأنعام تحمل أحمال البشر الثقيلة التي يعجزون عن حملها إلى بلدٍ بعيد لم يكونوا ليصلوا إليه إلاَّ بالمشقة العظيمة والجهد الكبير، وذلك إنما هو رأفة ورحمة من الله تعالى بالناس^(٧٥٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ - ﴿بِشَقِّ الْأَنْفُسِ﴾ بفتح الشين وكسرهما لغتان بمعنى المشقة، مثل رِقَ، ورَقَ، ويجوز أن تكون القراءة بفتح الشين بمعنى المصدر، من شَقَّقت عليه أَشَقُّ شَقًّا. والقراءة بكسر الشين بمعنى: النصف، أي: لم تكونوا بالغية إلاَّ بنقص من القوة وذهاب شِق منها، يعني: إلاَّ بنصف أنفسكم، كأن النفس تذوب نصباً وتعباً لما ينالها من المشقة، كما تقول لم تنله إلا بقطعة من كبذك على المجاز^(٧٥٩).

قال ابن منظور: «وأكثر القراء على كسر الشين، معناه إلا بجهد

(٧٥٧) لسان العرب ج٣ ص١٥٣٥ - باختصار، وانظر: المحيط في اللغة ج١٠ ص٤٧١، المفردات في غريب القرآن ص٢٠٨، القاموس المحيط ص١٠٤٩.

(٧٥٨) انظر: تفسير الطبري ج١٤ ص٨٠، ٨١، صفوة التفاسير ج٢ ص١٢٠.

(٧٥٩) انظر: حاشية زاده ج٥ ص٢٤٩، تفسير القرطبي ج١٠ ص٧٢، الدر المصون ج٤ ص٣١٤، روح المعاني ج١٤ ص١٠٠.

الأنفس، وكأنه اسم وكأنَّ الشَّق فعل» (٧٦٠).

والم تأمل لكلتا القراءتين يجد أنَّ القراءتين ترسمان صورة حية للمشقة الحاصلة، وكأن المرء شيء يُشَق ويُصدع، فالقراءة بفتح الشين على معنى المصدر ترسم صورة حدوث الفعل أي: الشَّق، أما القراءة بالكسر فترسم صورة الشيء وقد حدث فيه الشَّق أي: الصدع، أو صورته وقد شُق قسمين وذهب أحد النصفين. ويمكن القول إنَّ القراءة بالفتح أفادت حدوث المشقة الشديدة والقراءة بالكسر أفادت ما ينتج عن هذه المشقة من ذهاب للقوة وحدث للضعف. والله تعالى أعلم.

٢ - ﴿لَرْوُفٌ﴾، ﴿لَرْوُفٌ﴾، لغتان بمعنى واحد وهو أشد الرحمة، والأولى بزيادة مبناها بحرف المد توحى باتساع هذه الرحمة وشمولها، والثانية وهي أقل مبني في الحروف توحى بسرعة تنزل هذه الرحمة على جميع الخلق. والله تعالى أعلى وأعلم.

٤ - ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١].

القراءات:

١ - قرأ شعبة ﴿يُنْبِتُ﴾ بنون العظمة.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُنْبِتُ﴾ بياء الغيبة (٧٦١).

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿يُنْبِتُ﴾: يُخرج النبات من الأرض، يقال أنبت الله النبات من الأرض إنباتاً، ويقال أنبت البقل (لازماً) أي نبت (٧٦٢). قال الراغب: «نبت): النبت والنبات ما يخرج من الأرض من الناميات سواء كان له ساق

(٧٦٠) لسان العرب ج٣ ص٢٣٠٢.

(٧٦١) انظر: النشر ج٢ ص٣٠٢، البدور الزاهرة ص١٧٨.

(٧٦٢) انظر: لسان العرب ج٦ ص٤٣١٧، ٤٣١٨.

كالشجر أو لم يكن له ساق كالنجم، لكن اختص في التعارف بما لا ساق له بل قد اختص عند العامة بما يأكله الحيوان، وعلى هذا قوله: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ [النبا: ١٥]، ومتى اعتبرت الحقائق فإنه يستعمل في كل نام نباتاً كان أو حيواناً أو إنساناً، والإنبات يستعمل في كل ذلك، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ﴾ [النحل: ١١] (٧٦٣).

التفسير:

ذكر الله تبارك وتعالى في الآيات السابقة نعمته على خلقه في إنزال الماء من السماء، ويبين في هذه الآية نعمته عليهم في إخراج النبات من الأرض بصنوف مختلفة بهذا الماء، حيث أنبت لهم الزرع، والزيتون والنخيل والأعنان، ومن كل الثمرات غير ذلك أرزاقاً لهم وأقواتاً وفاكهة، تفضلاً منه وحجة على من كفر منهم. وذلك إنما هو دلالة واضحة وحجة دامغة، وعلامة بينة لقوم يعتبرون مواعظ الله، ويتفكرون في حججه، فيذكرون وينيبون (٧٦٤).

قال أبو حيان: «وبدأ بالزرع لأنه قوت أكثر العالم، ثم بالزيتون لما فيه من فائدة الاستصباح بدهنه، وهي ضرورة مع منفعة أكله، ثم بالنخل لأن ثمرته من أطيب الفواكه وقوت في بعض البلاد، ثم بالأعنان لأنها فاكهة محضة ثم قال: ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾، أتى بلفظ ﴿مِنْ﴾ التي للتبعية، لأن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة، وختم ذلك تعالى بقوله: ﴿لَا يَذُوقُ فِيهَا الْمَوْتَ﴾، لأن النظر في ذلك يحتاج إلى فضل تأمل واستعمال فكر» (٧٦٥).

(٧٦٣) المفردات في غريب القرآن ص ٤٨٠، وانظر: القاموس المحيط ص ٢٠٦.

(٧٦٤) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ٨٧، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٨، صفوة التفاسير ج ٢ ص ١٢٠.

(٧٦٥) البحر المحيط ج ٥ ص ٤٦٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بالياء إجراء للكلام على لفظ الغيبة، على نسق ما قبله وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكَرُّ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠]، والقراءة بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم^(٧٦٦). «والقيمة الفنية في أسلوب الالتفات هنا تكمن في تفخيم المعنى، واستحضار المقام الأسنى لأسماء الله الحسنى»^(٧٦٧). وعليه فإن فائدة تنوع القراءة في هذه الآية فائدة بلاغية، فإجراء الكلام على نسق ما قبله على الأصل وهو حسن، والتنوع في أسلوب الخطاب يجذب انتباه السامع ليعقل ما يلقى إليه من البيان، إضافة إلى ما تحمله القراءة بالنون من معاني التعظيم لله ﷻ. والله تعالى أعلى وأعلم.

٥ - ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢].

القراءات:

١ - قرأ ابن عامر ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾ برفع الأسماء الأربعة.

٢ - قرأ حفص ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ بالنصب فيهما، ﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾ بالرفع فيهما.

٣ - قرأ الباقون ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾ بنصب الأربعة ولا يخفى أن نصب ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ يكون بالكسرة لكونه جمعاً بألف وتاء^(٧٦٨).

(٧٦٦) انظر: الكشف ج ٢ ص ٣٤، الملخص في إعراب القرآن ص ١٣١، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٣١٧، ٣١٨.

(٧٦٧) التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة عاصم ص ٢٧٢.

(٧٦٨) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٢، ٣٠٣، البدور الزاهرة ص ١٧٨.

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿والشمس﴾: (الشمس) يقال لقرص الشمس، وللضوء المنتشر عنها، والجمع شُموِس، وشَمَسَ يومنا وأشمس صار ذا شمس، وشَمَس فلان شِماساً إذا ندَّ ولم يستقر، تشبيهاً له بالشمس في عدم استقرارها^(٧٦٩).

٢ - ﴿والقمر﴾: (القمر) قمر السماء، يكون في الليلة الثالثة، وسُمي بذلك لأنه يَقْمُرُ^(٧٧٠) ضوء الكواكب ويفوز به، والقمراء: ضوء القمر، والأقمر: الأبيض^(٧٧١).

٣ - ﴿والنجوم﴾: النجوم جمع نجم، وأصل النجم: الكوكب الطالع، ونَجْم نُجوماً ونَجْماً: طلع، فصار النجم مرة اسماً ومرة مصدرأ، ومنه شبه به طلوع النبات والرأي، ف قيل نجم النبات، ونَجْم لي رأي نَجْماً ونُجوماً، والنجم: ما لا ساق له من النبات، ونَجَّمت المال: وزَّعته. ويجمع النجم على أَنْجَم ونُجُوم وأَنْجَام ونُجْم^(٧٧٢).

٤ - ﴿مسخرات﴾: مسخرات: أي مذلللات، يقال: سَخَره سِخْرِيّاً، بالكسر وبالضم: كلفه ما لا يريد، وقهره، وسَخَره تَسْخِيراً: ذلَّله، وكلفه عملاً بلا أجره، والتسخير سياقة إلى الغرض المختص قهراً، والمُسَخَّر هو المقيض للفعل، والسُّخْرِيّ هو الذي يُقْهَر فَيَتَسَخَّر بإرادته^(٧٧٣).

التفسير:

يقول تعالى: ومن نِعَمه عليكم أيها الناس أن سخر لكم الليل والنهار يتعاقبان وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ اللَّتَجُومَ نوراً وضياءً، ولتهدتوا بها في ظلمات البرّ

(٧٦٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٦٧.

(٧٧٠) يقمر: يراهن فيغلب، يقال قامره مقامرة وقماراً فقمرة أي: راهنه فغلبه. (انظر: القاموس المحيط ص ٥٩٨).

(٧٧١) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٤١٢، القاموس المحيط ص ٥٩٨.

(٧٧٢) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٤٨٣، القاموس المحيط ص ١٤٩٩.

(٧٧٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٢٧، القاموس المحيط ص ٥١٩.

والبحر، إِنَّ في تسخير الله ذلك لدلالات واضحات لقوم يعقلون حجج الله (٧٧٤).

قال الشوكاني: «﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾» معنى تسخيرهما للناس: تصييرهما نافعين لهم بحسب ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه حاجاتهم، يتعاقبان دائماً، كالعبد الطائع لسيدته لا يخالف ما يأمره به ولا يخرج عن إرادته ولا يهمل السعي في نفعه. وكذا الكلام في تسخير الشمس والقمر والنجوم، فإنها تجري على نمط متحد يستدل بها العباد على مقادير الأوقات، ويهتدون بها ويعرفون أجزاء الزمان» (٧٧٥).

وقال الشنقيطي: «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه سخر لخلقه خمسة أشياء عظام، فيها من عظيم نعمته ما لا يعلمه إلا هو، وفيها الدلالات الواضحات لأهل العقول على أنه الواحد المستحق لأن يعبد وحده» (٧٧٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة حفص بنصب ﴿وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ على أنهما معطوفان على ﴿الْأَيَّامَ﴾ لأنه في محل نصب مفعول لـ ﴿وَسَخَّرَ﴾، ورفع ﴿وَالنُّجُومَ﴾ على الابتداء و﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ على الخبر (٧٧٧).

قال أبو السعود: «وحيث لم يكن عَوْدُ منافع النجوم إليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من المَلَوَيْنِ (٧٧٨) والقَمَرَيْنِ لم يُنسَبْ تسخيرها إليهم بأداة

(٧٧٤) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ٨٧، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٨.

(٧٧٥) فتح القدير ج ٣ ص ١٥٢.

(٧٧٦) أضواء البيان ج ٣ ص ٢٠٥.

(٧٧٧) انظر: الكشف ج ٢ ص ٣٥، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٨٣، ٨٤، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٣١٩.

(٧٧٨) المَلَوَانِ: الليل والنهار وهو كالصفة لهما لكثرة تكررها واتساع مدتهما، والمَلَا: ما اتَّسَعَ من الأرض، وقيل هي: الفلاة وألفه منقلبة عن وار من المَلَاة وهو: الوقت من الدهر وفي التنزيل: ﴿وَأَنبِئْهُمْ إِنَّ كَيْدِي يَبِينُ﴾ [الأعراف: ١٨٣]، أي أَوْسَع لهم وأنهلهم. (انظر: القاموس المحيط ص ١٧٢١).

الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر ولذلك عُدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث إلى الاسم المفعلة للدوام والاستمرار، وإنما ذلك أدلة التوحيد من حيث إن مَنْ هذا شأنه لا يتوهم أن يشاركه شيء في شيء فضلاً عن أن يشاركه الجماذ في الألوهية^(٧٧٩)، قلت: لما كان أكثر ضلال الناس بالنجوم وأن لها تصرفاً في شئون الخلق فقد أكدت قراءة الرفع في ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ مع نصب السابق، على كون النجوم مسخرة بأمر الله وتحت إمرته وقدرته، وأنها ليست أهلاً لأن تُعبد.

وقراءة ابن عامر برفع الأسماء الأربعة على أن ﴿والشمس﴾ مبتدأ، ﴿والقمر والنجوم﴾ معطوفان على ﴿والشمس﴾، و﴿مسخرات﴾ خبر^(٧٨٠). ويتأتى على هذه القراءة عدم نسبة تسخير الشمس والقمر والنجوم للناس بأداة الاختصاص، بل ذكرها على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى. «واعتبار عدم كون ظهور المنافع بمثابة السابق بالنظر إلى المجموع. ومن الناس من قال في ذلك: إن المراد بتسخير الليل والنهار لهم نفعهم بهما من حيث إنهما وقتا سعي في المصالح واستراحة، ومن حيث ظهور ما يترتب عليه منافعهم مما نيط به صلاح المكونات التي من جملتها ما فُصل وأجمل، مثلاً كالشمس والقمر فيهما، ويؤل ذلك بالآخرة إلى النفع بذلك، وهو معنى تسخيرهم لهم، فيكون تسخير الليل والنهار لهم متضمناً لتسخير ذلك لهم، فحيث أفاده الكلام أولاً، استغنى عن التصريح به ثانياً وصرح بما هو أعظم شأناً منه، وهو أن تلك الأمور لم تزل ولا تزال مقهورة تحت قدرته منقادة لإرادته ومشيتته سواء كنتم أو لم تكونوا فليتدبر»^(٧٨١). قلت: وقد أفادت هذه القراءة أن الله ﷻ قد خلق هذه الأشياء العظام وهي:

(٧٧٩) تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٢٥١، وانظر: روح المعاني ج ١٤ ص ١٠٩.

(٧٨٠) انظر: الكشف ج ٢ ص ٣٥، الملخص في إعراب ص ١٣١، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٨٣، ٨٤، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٣١٩.

(٧٨١) روح المعاني ج ١٤ ص ١٠٩.

الشمس، والقمر، والنجوم مذلة منقادة لأمره، لئلا يظن ظان أنها لعظمتها لها تصرف في أمور الخلق أو أنها تضر وتنفع أو أنها أهل لأن تُعبد.

وقراءة الباقيين بنصب الأسماء الأربعة على أَنَّ ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾ معطوفة على ﴿الْأَيُّ﴾، و﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ حال مؤكدة كقوله ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١] ^(٧٨٢). والمعنى: ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بأمره وقدرته ^(٧٨٣).

قال ابن عاشور: «وهذا انتقال للاستدلال بإتقان الخلق على وحدانية الخالق وعلمه، وإدماج بين الاستدلال والامتنان. وقرأ الجمهور جميع هذه الأسماء منصوبة على المفعولية لفعل سخر. وقرأ ابن عامر ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾ بالرفع على الابتداء ورفع ﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ على أنه خبر عنها. فنكتة اختلاف الإعراب الإشارة إلى الفرق بين التسخيرين. وقرأ حفص برفع ﴿النُّجُومُ﴾ و﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾. ونكتة اختلاف الأسلوب الفرق بين التسخيرين من حيث إن الأول واضح والآخر خفي لقلة من يرقب حركات النجوم» ^(٧٨٤).

وبالجمع بين القراءات في الآية يُفهم أَنَّ الله تعالى قد سخر للناس هذه الأشياء وجعلها موافقة لمصالحهم حال كونها مسخرة تحت قدرة الله عز وجل وأمره وإذنه، كما أَنَّ تلك الأشياء لم تزل ولا تزال مقهورة تحت قدرة الله تعالى منقادة لإرادته ومشيتته سواء أكان الخلق أم لم يكونوا، وفي ذلك امتنان على الخلق واستدلال على وحدانية الله تعالى وأنه الواحد الأحد المستحق للعبادة. والله تعالى أعلى وأعلم.

فائدة:

«إن قيل إِنَّ التسخير عبارة عن القهر والقسر، ولا يليق ذلك إلا بمن

(٧٨٢) انظر: حجة القراءات ص ٣٨٦، الكشف ج ٢ ص ٣٥، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٨٣، ٨٤، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٣١٩.

(٧٨٣) انظر: الكشف ج ٢ ص ٤٠٣، تفسير الفخر الرازي ج ٢٠ ص ٤.

(٧٨٤) التحرير والتنوير ج ١٤ ص ١١٦.

هو قادر يجوز أن يُقهر، فكيف يصح ذلك في الليل والنهار وفي الجمادات والشمس والقمر؟

والجواب: أنه تعالى لما دبر هذه الأشياء على طريقة واحدة مطابقة لمصالح العباد صارت شبيهة بالعبد المتقاد المطوع، فلهذا المعنى أطلق على هذا النوع من التدبير لفظ التسخير^(٧٨٥).

٦ - ﴿أَمَّنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].

القراءات:

١ - قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.

٢ - قرأ الباقون ﴿تَذَكَّرُونَ﴾^(٧٨٦).

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤]^(٧٨٧).

٧ - ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠].

القراءات:

١ - قرأ عاصم ويعقوب ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء.

٢ - قرأ الباقون ﴿تَدْعُونَ﴾ بالتاء^(٧٨٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

(دعا) الدُّعاء: العبادة، قال الله ﷻ ﴿أَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات: ١٢٥] أي

(٧٨٥) تفسير الفخر الرازي ج ٢٠ ص ٤ - باختصار وتصرف يسير.

(٧٨٦) انظر: النشر ج ٢ ص ٢١٦.

(٧٨٧) انظر ص ٢٥ من هذا البحث.

(٧٨٨) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٣، البدور الزاهرة ص ١٧٨.

أَتَعْبُدُونَ رَبًّا سِوَى اللَّهِ، وقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [القصص: ٨٨] أي: لا تعبد. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي...﴾» [غافر: ٦٠] (٧٨٩) (٧٩٠).

قال الراغب: «(دعا): الدعاء كالنداء إلا أن النداء قد يقال بيا أو أيا ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو يا فلان، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [البقرة: ١٧١]، ويستعمل استعمال التسمية نحو: دعوت ابني زيدا أي: سميته، قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] حشاً على تعظيمه، وذلك مخاطبة من كان يقول يا محمد ﷺ. ودعوته إذا سأله وإذا استغثته، قال تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [البقرة: ٦٨] أي سلّه، وقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٤٠] [الأنعام: ٤٠] تنبيهاً أنكم إذا أصابكم شدة لم تفرعوا إلا إليه، وقوله ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [١٤] [الفرقان: ١٤] هو أن يقول: يا لهفاه ويا حسرتاه ونحو ذلك من ألفاظ التأسف، والمعنى: يحصل لكم غموم كثيرة، والدعاء إلى الشيء الحث على قصده، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]، وقوله ﴿لَا جَرَمَ أَنَّكَ تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَكَ دَعْوَةٌ﴾ [غافر: ٤٣] أي رِفْعَةٌ وَتَنْوِينَةٌ (٧٩١).

التفسير:

هذه الآية شروع في تحقيق وتوضيح كون الأصنام بمعزل من استحقاق العبادة، بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب، وذلك بتعداد أوصافها وأحوالها

(٧٨٩) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة ح (٢٩٨٠) ج ٤ ص ٤٥٢،

٤٥٣، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٧٩٠) انظر: لسان العرب ج ٢ ص ١٣٨٥.

(٧٩١) المفردات في غريب القرآن ص ١٦٩، ١٧٠ - باختصار وتصرف يسير.

المنافية لذلك منافاة ظاهرة، وتلك الأحوال وإن كانت غنية عن التوضيح والبيان إلا أنها شُرحت للتنبيه على كمال حماقة من يعبد هذه الأصنام، وأنهم لا يعرفون ذلك إلا بالتصريح، فهذه الأصنام التي يعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ لا تستطيع أن تخلق شيئاً من الأشياء أصلاً بل شأؤها ومقتضى ذاتها أنها مخلوقة صنعها البشر بأيديهم. فكيف يكون إلهاً ما كان مخلوقاً، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً^(٧٩٢).

قال الألوسي: «والمراد بالخلق منفيًا ومثبتًا المعنى المتبادر منه^(٧٩٣). وَجُوزَ أن يراد من الثاني النحت والتصوير بناءً على أنَّ المراد من الذين يدعونهم الأصنام»^(٧٩٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

على اعتبار أنَّ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ١٩] موجه إلى الكفار، فإنَّ القراءة بتاء الخطاب تكون جرياً على الخطاب قبلها^(٧٩٥)، وفيها مزيد تبكيت وتقريع للمشركين على فعلهم بتوجيه الكلام مباشرة إليهم^(٧٩٦) حيث إنَّ «أسلوب الخطاب أخص من أسلوب الغيبة»^(٧٩٧).

والقراءة بالياء إخبار عن أهل الكفر^(٧٩٨)، وذلك على الالتفات^(٧٩٩)

(٧٩٢) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ٩٣، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١١، تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٢٥٥، ٢٥٦، المقتطف من عيون التفاسير ج ٣ ص ١١٢، صفوة التفاسير ج ٢ ص ١٢٢.

(٧٩٣) وهو: إبداع الشيء من غير مثال سابق. (انظر: المفردات في غريب القرآن ص ١٥٧).

(٧٩٤) روح المعاني ج ١٤ ص ١١٩، ١٢٠، وانظر: تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٢٥٦.

(٧٩٥) انظر: الدر المصون ج ٤ ص ٣١١، فتح القدير ج ٣ ص ١٥٦.

(٧٩٦) انظر: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص ٢٩.

(٧٩٧) الإكسير في علم التفسير ص ١٧٧.

(٧٩٨) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ٧٦، الدر المصون ج ٤ ص ٣١١.

(٧٩٩) انظر: حاشية الشهاب ج ٥ ص ٥٤٦.

حيث عدل عن الخطاب للكفرة إلى الغيبة تحقيراً لهم لفظاً فعلهم، وكأَنهم لقلّة شأنهم غير حريين بالخطاب^(٨٠٠)، كما أنّ حكاية حالهم لغيرهم لينكروا عليهم فعلهم، فيه استعظام لقبح فعلهم، فالإنسان يحب نفسه، ولا ينكر عليها ولا يستعظم منها العظائم بل من غيره^(٨٠١).

وعلى اعتبار أنّ الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾^(٨٠٢) موجه للمؤمنين، فإنّ القراءة بياء الغيبة خطاب للمؤمنين، أجراه على الإخبار عن الكفار وهم غيّب، والقراءة بالتاء على الخطاب للكفار، والمعنى: قل لهم يا محمد والذين تدعون من دون الله^(٨٠٢)، وفي القراءة بياء الغيبة زيادة تبيين لصرف الخطاب إلى المشركين في قراءة من قرأ بتاء الخطاب^(٨٠٣). والله تعالى أعلم.

٨ - ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْكُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٨٠٤) [النحل: ٢٧].

القراءات:

- ١ - قرأ نافع ﴿تُشَاقُونَ﴾ بكسر النون.
- ٢ - قرأ الباقون ﴿تُشْكُونَ﴾ بفتح النون^(٨٠٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

«شق»: الشق الخرم الواقع في الشيء، يقال شققت بنصفين، والشقاق المخالفة وكونك في شق غير شق صاحبك أو من شق العصا بينك وبينه قال

(٨٠٠) انظر: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص ٢٨، ٢٩.

(٨٠١) انظر: الإكسير في علم التفسير ص ١٧٩.

(٨٠٢) انظر: الكشف ج ٢ ص ٣٦.

(٨٠٣) التحرير والتنوير ج ١٤ ص ١٢٦.

(٨٠٤) انظر: الكافي ص ١٢٤، مختصر في مذاهب القراء السبعة ص ١٥٨، النشر ج ٢ ص ٣٠٣، البدور الزاهرة ص ١٧٨.

﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧] أي: مخالفة، ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: صار في شق غير شق أوليائه» (٨٠٥).

التفسير:

وصف الله ﷻ في الآيات السابقة أمر الذين مكروا، وأنبا عما فعل بهم في الدنيا من تعجيل العذاب لهم، ويخبر الحق سبحانه في هذه الآية أنه سيفضح الذين مكروا يوم القيامة، ويظهر ما كانوا يسرونه من المكر، ويخزيهم على رءوس الخلائق، ويقول لهم مقررأ وموبخأ: أين الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي، وكنتم تحاربون وتعادون في سبيلهم، أين هم عن نصركم وخلاصكم هاهنا؟، ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ [الشعراء: ٩٣]. فإذا قامت عليهم الحجة، وحقت عليهم الكلمة، وأسكتوا عن الاعتذار، ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وهم الأنبياء والعلماء، المخبرون عن الحق في الدنيا والآخرة، وقيل هم الملائكة، وقيل المؤمنون، فيقولون حينئذ: إن الفضيحة والعذاب اليوم محيط بالكافرين (٨٠٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

حجة من خفف وفتح النون أنه لم يرد الإضافة إلى ياء المتكلم، فأتى بنون الإعراب الدالة على الرفع مفتوحة على الأصل (٨٠٧)، والمعنى: تشاقون المؤمنين وتعادونهم (٨٠٨). وحجة من قرأ ﴿تُشَاقُونَ﴾ بكسر النون أنه أراد (تشاقونني) على الإضافة إلى ياء المتكلم، فحذفت إحدى النونين استثقلاً للجمع بينهما، ثم حذفت الياء اجتزأ بالكسرة عنها، وياء المتكلم ضمير

(٨٠٥) المفردات في غريب القرآن ص ٢٦٤ - باختصار.

(٨٠٦) انظر: زاد المسير ج ٤ ص ٣٢٢، تفسير الطبري ج ١٤ ص ٩٨، ٩٩، الكشف ج ٢ ص ٤٠٧، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٣، تفسير الثعالبي ج ٢ ص ٢٢٥.

(٨٠٧) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٢٠٦، ٢٠٧، حجة القراءات ص ٣٨٨، الكشف ج ٢ ص ٣٠، ٣١، أضواء البيان ج ٣ ص ٢٣٦.

(٨٠٨) انظر: الكشف ج ٣ ص ٤٠٧، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٥٤٢، التحرير والتنوير ج ١٤ ص ١٦٣.

يعود على الله ﷻ وهي في محل نصب مفعول به^(٨٠٩)، والمعنى: تشاقون الله؛ وذلك لأن مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله^(٨١٠)، وفيها تعظيم لشأن المؤمنين وتهديد لكل من يشاقهم. والله أعلم.

٩ - ﴿الَّذِينَ تَوْفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ فَاَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٢٨].

القراءات:

١ - قرأ حمزة وخلف ﴿يَتَوَفَّاهُمْ﴾ بالياء.

٢ - قرأ الباقون ﴿تَوْفَّيْنَاهُمْ﴾ بالتاء^(٨١١).

المعنى اللغوي للقراءات:

(وفى): الوافي الذي بلغ التمام، يقال: درهم وافي، وكيل وافي، ووفى بعهده يفي وفاء. وتوفية الشيء: بذله وافياً، واستيفأه تناوله وافياً، قال تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [آل عمران: ٢٥]، والوفاة: المنيّة، وتوفي فلان، وتوفاه الله، إذا قبض نفسه. وتوفي الميت، بمعنى: استيفاء مدته التي كتبت من عدد أيامه وشهوره وأعوامه في الدنيا. ويقال: توفيت المال منه، واستوفيته، إذا أخذته كله، وتوفيت عدد القوم، إذا عدّدتهم كلهم^(٨١٢). [قال الزجاج^(٨١٣) في قوله تعالى ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾: هو من توفية العدد، وتأويله: أن يقبض أرواحكم أجمعين فلا

(٨٠٩) انظر: زاد المسير ج ٤ ص ٣٢٢، الحجة في القراءات السبع ص ٢٠٦، ٢٠٧، حجة القراءات ص ٣٨٨، الكشف ج ٢ ص ٣٠، ٣١، أضواء البيان ج ٣ ص ٢٣٦، ٢٣٧.

(٨١٠) انظر: الكشف ج ٣ ص ٤٠٧، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٥٤٢.

(٨١١) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٣، البدور الزاهرة ص ١٧٨.

(٨١٢) انظر: تهذيب اللغة ج ١٥ ص ٥٨٤، ٥٨٥، المفردات في غريب القرآن ص ٥٢٨، ٥٢٩.

(٨١٣) هو: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحق الزجاج، عالم بالنحو واللغة، له معاني القرآن، الاشتقاق، إعراب القرآن وغيرها، توفي في بغداد سنة ٨٥٥ هـ. (انظر: الأعلام ج ١ ص ٤٠).

يَنْقُصُ وَاحِدٌ مِنْكُمْ» (٨١٤).

التفسير:

يخبر الله ﷻ عن حال المشركين الظالمي أنفسهم عند احتضارهم ومجيء الملائكة إليهم لقبض أرواحهم، حيث إنهم استسلموا لأمر الله ﷻ، وانقادوا له حين عاينوا الموت قد نزل بهم، ويخبر عنهم بذلك أنهم كذبوا وقالوا: ما كنا نعصي الله، رجاء أن ينجوا بذلك، فكذبهم الله فقال: بل كنتم تعملون السوء وتصدون عن سبيل الله، إن الله ذو علم بما كنتم تعملون في الدنيا من المعاصي (٨١٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ بالتاء فلتأنيث لفظ الملائكة (٨١٦) ولأنه مسند إلى جماعة (٨١٧)، قال ابن زنجلة: «اعلم أنّ فعل الجميع إذا تقدم يُذكر ويؤنث، فإن ذُكرته أردت جمع الملائكة، وإذا أنثته أردت جماعة الملائكة» (٨١٨)، قال ابن قتيبة: «والتأنيث إنما هو تأنيث الجماعة وليس يلحق الملائكة في التاء تأنيث» (٨١٩)، فلا حجة لمن ادعى تفضيل قراءة التذكير على التأنيث ليخالف قول الكفار الذين أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْئُونَ أَلَلَّهُمْ سُمِّيَ الْأَنْثَى﴾ [النجم: ٢٧] (٨٢٠).

وحجة من قرأ ﴿يَتَوَفَّاهُمْ﴾ بياء المضارعة التي للمذكر أنه ذكر على المعنى، كما يقوي التذكير أنه قد فُرق بين المؤنث اللفظي وفعله بالضمير

(٨١٤) تهذيب اللغة ج ١٥ ص ٥٨٥.

(٨١٥) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ٩٩، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٣، أضواء البيان ج ٣ ص ٢٣٧.

(٨١٦) انظر: الكشف ج ١ ص ٣٤٢، حاشية زاده ج ٥ ص ٢٦٥.

(٨١٧) انظر: الحجة للقراء السبعة ج ٥ ص ٦٣، تفسير البغوي ج ١ ص ٢٨٤.

(٨١٨) حجة القراءات ص ٣٨٨، وانظر تفسير الطبري ج ٣ ص ٢٤٩.

(٨١٩) الكشف ج ٢ ص ٣٧.

(٨٢٠) انظر: المرجع السابق ج ٢ ص ٣٦، ٣٧.

المتصل (هم) (٨٢١).

يلاحظ مما سبق أن اختلاف القراءة جاء على قاعدة نحوية مشتهرة عند العرب، في تذكير الفعل وتأنيثه، فأكد صحة هذه القاعدة، دون ترجيح لوجه على الآخر. وقراءة ﴿يَتَوَفَّاهُمْ﴾ بالياء على الأصل لأن المَلَك يُذَكَّر، كما أن الذي يتولى قبض الروح هو ملك الموت، وإن حضر معه جمع من الملائكة لهذا الغرض، وأيضاً فإن التذكير قد ناسب رهبة الموقف وشدته لما في التذكير من معاني القوة^(٨٢٢)، أما القراءة ﴿تَوَفَّاهُمْ﴾ بتاء التأنيث، وفي التأنيث معنى الكثرة، فقد أفادت كثرة حدوث الفعل - فالتوفي مستمر إلى يوم القيامة، وحال الملائكة مع الكافرين في هذا الموقف سواء - أو كثرة عدد الملائكة، وفيه تأكيد على شدة الموقف ورهبته. والله تعالى أعلم.

١٠ - ﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٣٢).

القراءات:

١ - قرأ حمزة وخلف ﴿يَتَوَفَّاهُمْ﴾ بالياء.

٢ - قرأ الباقون ﴿تَوَفَّاهُمْ﴾ بالتاء^(٨٢٣).

والحديث عن هاتين القراءتين كالحديث عن القراءتين في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ أَنْفُسُهُمْ فَالْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يَكُونُونَ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٢٨). مع مراعاة الاختلاف بين حال الكافرين، وحال المؤمنين^(٨٢٤).

١١ - ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (النحل: ٣٣).

(٨٢١) انظر: المرجع السابق ج ١ ص ٣٤٢.

(٨٢٢) انظر: التأنيث في اللغة العربية ص ٢٧.

(٨٢٣) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٣، البدور الزاهرة ص ١٧٨.

(٨٢٤) انظر ص ٢٣٨ من هذا البحث.

القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ﴾ بالياء.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ بالتاء^(٨٢٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

«الْإِنْيَانُ: المجيء. وقد أَتَيْتُهُ أَتِيًّا وَأَتَوْتُهُ أَتَوَةً لغة فيه. وتقول: أَتَيْتُ الأمر من مَاتَاتِهِ، أي من مَاتَاه، أي من وجهه الذي يُؤْتَى منه. وتقول: أَتَيْتُهُ على ذلك الأمر مواتةً، إذا وافقته وطاوعته»^(٨٢٦).

التفسير:

يقول تعالى مهدداً المشركين على اغترارهم بالدنيا وتماديهم في الباطل: هل ينتظر هؤلاء الكفار إلا أن تجيء الملائكة لقبض أرواحهم أو يأتي أمر الله ﷻ بالعذاب المُستأصل لهم أو بحشرهم ليوم القيامة. ومثل ذلك الفعل من التماذي في الشرك والتكذيب، فعل أسلافهم من المشركين بالله، حتى استحقوا عقاب الله ﷻ، فعُجل لهم، وما ظلمهم الله ﷻ بتدميرهم وإحلال سخطه عليهم، ولكنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم ومعاصيهم^(٨٢٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

سبق توجيه تذكير الفعل وتأنيثه قبل لفظ ﴿الْمَلَائِكَةِ﴾ عند بيان العلاقة التفسيرية بين القراءات في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْفَوْا سَلَامًا مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٢٨]^(٨٢٨).

(٨٢٥) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٣، ٣٠٤، البدور الزاهرة ص ١٧٩.

(٨٢٦) الصحاح ج ٦ ص ٢٢٦١، ٢٢٦٢ - باختصار، وانظر: المفردات في غريب القرآن ص ٨، ٩.

(٨٢٧) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٠٣، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٥، تفسير البياض ج ١ ص ٥٤٣.

(٨٢٨) انظر ص ٢٣٨ من هذا البحث.

والقراءة ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ بالياء على تذكير الفعل - وفي التذكير معنى القوة والرهبة^(٨٢٩) - ناسبت رهبة الموقف وشدته، أما القراءة ﴿تَأْتِيهِمْ﴾ بالتاء على تأنيث الفعل - وفي التأنيث معنى الكثرة^(٨٣٠) - فقد أفادت كثرة عدد الملائكة، وفيها أيضاً تأكيد لشدة الموقف ورهبته. والله تعالى أعلم.

١٢ - ﴿إِنْ تَحَرَّضَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ (النحل: ٣٧).

القراءات:

١ - قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿لَا يَهْدِي﴾ بفتح الياء وكسر الدال وياء بعدها.

٢ - قرأ الباقون ﴿لَا يُهْدِي﴾ بضم الياء وفتح الدال وألف بعدها^(٨٣١).

المعنى اللغوي للقراءات:

«هدى: الهداية دلالة بلطف ومنه الهدية وهوادى الوحش أي متقدماتها الهادية لغيرها، وخص ما كان دلالة بهديت وما كان إعطاء بأهديت نحو أهديت الهدية وهديت إلى البيت. وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه:

الأول: الهداية التي عم بجنسها كل مكلف من العقل والفتنة والمعارف الضرورية التي أعم منها كل شيء بِقَدْرٍ فيه حسب احتماله كما قال: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء وإنزال القرآن ونحو ذلك وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤].

(٨٢٩) انظر: التأنيث في اللغة العربية ص ٢٧.

(٨٣٠) انظر: المعني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٢٨٦.

(٨٣١) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٤، البدور الزاهرة ص ١٧٩.

الثالث: التوفيق الذي يختص به من اهتدى وهو المَعْنِي بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة المَعْنِي بقوله: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٥]. والإنسان لا يقدر أن يهدي أحداً إلا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر أنواع الهدايات، وإلى الأول أشار بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وإلى سائر الهدايات أشار بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]. وكل هداية ذكر الله تعالى أنه منع الظالمين والكافرين فهي الهداية الثالثة وهي التوفيق الذي يختص به المهتدون، والرابعة التي هي الثواب في الآخرة وإدخال الجنة نحو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٧]، وكل هداية نفاها الله عن النبي ﷺ وعن البشر، وذكر أنهم غير قادرين عليها فهي ما عدا المختص من الدعاء وتعريف الطريق، وذلك كإعطاء العقل والتوفيق وإدخال الجنة، كقوله عز ذكره: ﴿إِنْ تَحَرَّضَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧] (٨٣٢).

«والهدى والهداية في موضوع اللغة واحد لكن قد خص الله ﷻ لفظة الهدى بما تولاه وأعطاه واختص هو به دون ما هو إلى الإنسان نحو: ﴿إِنْ تَحَرَّضَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]، والاهتداء يختص بما يتحرراه الإنسان على طريق الاختيار إما في الأمور الدنيوية أو الأخروية قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾ [النحل: ٩٧]، وقال: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة: ١٣٧]» (٨٣٣).

التفسير:

إن تطلب يا محمد ﷺ هداية كفار قريش بجهدك، لم ينفعك فرط

(٨٣٢) المفردات في غريب القرآن ص ٥٣٨، ٥٣٩ - باختصار.

(٨٣٣) المفردات في غريب القرآن ص ٥٣٩ - باختصار.

حرصك، فإن الله تعالى شأنه وأمره أنه لا يهدي من يُضِلُّ، فلا تجهد نفسك في أمرهم، وبلغهم ما أرسلت به لتتم عليهم الحجة، وما لهم من الله ﷻ من ناصرين، ينصرونهم في الهداية أو يدفعون عنهم العذاب إذا أراد الله ﷻ عقوبتهم^(٨٣٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿يَهْدِي﴾ بالبناء للفاعل تحتمل وجهين: الأول: أن يكون الفعل ﴿يَهْدِي﴾ بمعنى ﴿يَهْدِي﴾ و﴿مَنْ﴾ هو الفاعل، كما تقول العرب: قد هدى الرجل، يريدون: قد اهتدى، أي: لا يهتدي مَنْ أضله الله، والمعنى: فإن الله مَنْ أضله لا يهتدي. والثاني: أن يكون الفعل ﴿يَهْدِي﴾ من (هَدَيْتَهُ)، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى، و﴿مَنْ﴾ مفعول ﴿يَهْدِي﴾، أي: لا يهدي الله مَنْ أضله، والمعنى: أن من أضله الله فإن الله لا يهديه^(٨٣٥). وعلى القراءة ﴿يَهْدِي﴾ بالبناء للمفعول، تكون ﴿مَنْ﴾ نائب الفاعل، أي: لا يُهدي من أضله الله، والمعنى: أن من حكم الله ﷻ بإضلاله وتكذيبه فلا يُهدي من أي أحد كان^(٨٣٦).

وعلى الوجه الأول - وهو أن ﴿يَهْدِي﴾ بمعنى يهتدي - القراءتان بمعنى، إلا أن القراءة بالبناء للمفعول صريحة في عموم الفاعل بخلاف القراءة بالبناء للفاعل^(٨٣٧). وعلى الوجه الثاني - وهو أن ﴿يَهْدِي﴾ من هديته - فإن القراءة بالبناء للفاعل تدل على أن من أضله الله تعالى لا يهديه الله

(٨٣٤) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٠٤، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٦، المقتطف من عيون التفاسير ج ٣ ص ١٢١، تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٢٦٤.

(٨٣٥) انظر: معاني القرآن للكسائي ص ١٧٨، تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٠٤، حجة القراءات ص ٢٨٩، الدر المصون ج ٤ ص ٣٢٦، حاشية زاده ج ٥ ص ٢٧٣، روح المعاني ج ١٤ ص ١٣٩.

(٨٣٦) انظر: حجة القراءات ص ٢٨٩، الحجة للقراء السبعة ج ٥ ص ٦٤، الملخص في إعراب القرآن ص ١٣٦، الدر المصون ج ٤ ص ٣٢٦، حاشية زاده ج ٥ ص ٢٧٣، تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٢٦٤، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٣٢٢.

(٨٣٧) انظر: روح المعاني ج ١٤ ص ١٤٠.

تعالى وهو الذي لا يهديه فقط^(٨٣٨)، ومعلوم أن أحداً لا يستطيع أن يهدي من لا يريد الله هدايته، وبناء القراءة للفاعل - وهو ضمير يعود على الله ﷻ - فيه تفخيم وتهويل، وفي هذه القراءة تأكيد على أن الهداية بيد الله ﷻ وأن الرسل والدعاة ما هم إلا أسباب جعلها الله لتحقيق ذلك. والقراءة بالبناء للمفعول تدل على أن من أضله الله ﷻ لا يهديه أحد أي كان، وإن كان معلوماً أن من لم يَهْدِ الله فلا هادي له، وهذه القراءة أبلغ^(٨٣٩) في نفي الهداية عن أضله الله^(٨٤٠). والله تعالى أعلم.

١٣ - ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل:

٤٠].

القراءات:

١ - قرأ ابن عامر، والكسائي ﴿فَيَكُونُ﴾ بنصب النون.

٢ - قرأ الباقون ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ برفع النون^(٨٤١).

المعنى اللغوي للقراءات:

الكون: الحدث، تقول: كان يكون كوناً وكيونة^(٨٤٢)، «و(كان) تكون بمعنى مضى وتقصى وهي التامة، وتأتي بمعنى اتصال الزمان من غير انقطاع وهي الناقصة، ويُعبر عنها بالزائدة أيضاً، وتأتي زائدة، وتأتي بمعنى يَكُون في المستقبل من الزمان، وتكون بمعنى الحدوث والوقوع»^(٨٤٣).

(٨٣٨) انظر: المرجع السابق ج ١٤ ص ١٣٩.

(٨٣٩) استخدام عبارة: (أبلغ في نفي الهداية ...) لا يعني تفضيل قراءة على أخرى، ولكن المراد أن هذه القراءة تناولت هذه القضية بشكل أساسي، ولا يُنقص هذا من القراءة الأولى فإنها قد أكدت قضايا أخرى كما بيّنت. (الباحثة).

(٨٤٠) انظر: تفسير البيضاوي ج ١ ص ٥٤٤، حاشية زاده ج ٥ ص ٢٧٣، روح المعاني ج ١٤ ص ١٣٩.

(٨٤١) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٢٠، البدور الزاهرة ص ١٧٩.

(٨٤٢) انظر: لسان العرب ج ٥ ص ٣٩٥٩، النواسخ الفعلية والحرفية ص ٤٣.

(٨٤٣) لسان العرب ج ٥ ص ٣٩٦١.

قال الراغب: «(كان) عبارة عما مضى من الزمان وفي كثير من وصف الله تعالى تنبئ عن معنى الأزلية، قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وما استعمل منه في جنس الشيء متعلقاً بوصف له هو موجود فيه فتنبه على أن ذلك الوصف لازم له، قليل الانفكاك منه نحو قوله في الإنسان: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤] وإذا استعمل في الزمان الماضي فقد يجوز أن يكون المُستعمل فيه بقي على حالته كما تقدم ذكره آنفاً، ويجوز أن يكون قد تغير نحو كان فلان كذا ثم صار كذا ولا فرق بين أن يكون الزمان المستعمل فيه كان قد تقدم تقدماً كثيراً أو تقدم بأن واحد عن الوقت الذي استعملت فيه كان» (٨٤٤).

التفسير:

لَمَّا أَنْكَرَ الْكَفَّارَ الْمَعَادَ، ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَنْتَعِثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل: ٨٣]، ورد الله عليهم كذبهم بقوله: ﴿بَلَىٰ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [النحل: ٨٣]، أخبر الله ﷻ عن قدرته على ما يشاء، وأنه لا يتعاصى على قدرته شيء في الأرض ولا في السماء، وإذ يقول للشيء ﴿كُنْ﴾ فإنه يكون بلا تأخير ولا كلفة ولا معاناة، والمعاد من ذلك، إذا أراد كونه فإنما يأمر به مرة واحدة، فيكون كما يشاء، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] (٨٤٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿فَيَكُونُ﴾ بفتح النون منصوباً بالعطف على قوله: أن نقول، وقيل: منصوب بـ(أن) المضمرة بعد الفاء في جواب الأمر (٨٤٦). وتبين هذه

(٨٤٤) المفردات في غريب القرآن ص ٤٤٤ - باختصار وتصرف يسير.

(٨٤٥) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٠٦، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٧، أضواء البيان ج ٣ ص ٢٤٨.

(٨٤٦) انظر: حجة القراءات ص ٣٩٠، الملخص في إعراب القرآن ص ١٣٧، أضواء البيان ج ٣ ص ٢٤٨.

القراءة التلازم بين (القول) و(الكون)، وأنه لا يمكن أن يكون الله أمراً شيئاً بالوجود إلا ويوجد.

والقراءة بالرفع على أن ﴿فَيَكُونُ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: فهو يكون^(٨٤٧)، وعلى أن قوله تعالى ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ﴾ كلام تام مكتف بنفسه عما بعده، ثم يُبتدأ فيقال: ﴿فَيَكُونُ﴾^(٨٤٨)، وهذه القراءة تؤكد حتمية وجود الشيء بمجرد القول. قال الطبري: «أما من رفع فإنه رأى أن الخبر قد تم عند قوله: ﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ﴾، إذ كان معلوماً أن الله إذا حتم قضاءه على شيء كان المحتوم عليه موجوداً، ثم ابتدأ بقوله: فيكون»^(٨٤٩). والقراءتان معاً تؤكدان كمال قدرة الله تعالى وأنه لا يتعذر عليه شيء أراده، إنما يقول له كن فيكون كما أراده وشاءه. والله تعالى أعلم.

١٤ - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ فَنَسْتَلُواْ اَهْلَ الدِّيَارِ اِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾ [النحل: ٤٣].

القراءات:

١ - قرأ حفص ﴿نُوْحِيْ﴾ بالنون وكسر الحاء وياء بعدها.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُوْحِيْ﴾ بالياء وفتح الحاء وألف بعدها^(٨٥٠).

تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ مِنْ اَهْلِ الْقُرُوءِ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الْاَرْضِ فَيَنْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْاٰخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِيْنَ اتَّقَوْاْ

(٨٤٧) انظر: حجة القراءات ص ٣٩٠، مشكل إعراب القرآن ج ١ ص ٤١٨، الملخص في إعراب القرآن ص ١٣٧.

(٨٤٨) انظر: القطع والائتناف ص ٢٩٥، تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٠٦، المكتفى في الوقف والابتدا ص ١٧٢.

(٨٤٩) تفسير الطبري ج ١ ص ٥١١.

(٨٥٠) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٩٦، البدور الزاهرة ص ١٧٩.

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾ [يوسف: ١٠٩] (٨٥١).

١٥ - ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٧].

القراءات:

١ - قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر ﴿لَرَّؤُفٌ﴾

٢ - قرأ الباقون ﴿لَرَّؤُفٌ﴾ (٨٥٢).

تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا تَكُونُوا بِلَاغِهِ إِلَّا نَفْثَ الْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٧] (٨٥٣).

١٦ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَنْفَتَوْا ظِلَّلُهُ عَنِ اليمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨].

القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿أَوَلَمْ تَرَوْا﴾ بقاء الخطاب.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بقاء الغيبة (٨٥٤).

٣ - قرأ أبو عمرو، ويعقوب ﴿تَنْفَتَوْا﴾ بقاء التانيث.

٤ - قرأ الباقون ﴿يَنْفَتَوْا﴾ بقاء التذكير (٨٥٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾:

(٨٥١) انظر ص ١٣٦ من هذا البحث.

(٨٥٢) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٢٣.

(٨٥٣) انظر ص ٢٢٤ من هذا البحث.

(٨٥٤) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٤، البدور الزاهرة ص ١٧٩.

(٨٥٥) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٤، البدور الزاهرة ص ١٧٩.

«الرُّؤْيَةُ: النَّظَرُ بِالْعَيْنِ وَبِالْقَلْبِ. وَرَأَيْتُهُ رُؤْيَةً وَرَأْيًا وَرَاءَةً وَرَأْيَةً وَرُئِيَانًا وَازْتَأَيْتُهُ وَاسْتَزَأَيْتُهُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى رِيَّتِكَ، أَيِ رُؤْيَتِكَ. وَالرَّءَاءُ، الْكَثِيرُ الرُّؤْيَةِ»^(٨٥٦). والرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين^(٨٥٧).

قال ابن عَبَّاد: «وَرَأَيْتُ بِعَيْنِي رُؤْيَةً. وَرَأَيْتُهُ رَأْيَ الْعَيْنِ: أَيِ حَيْثُ يَقَعُ الْبَصَرُ عَلَيْهِ، وَازْتَأَيْتُ أَيْضًا. وَتَرَأَى الْقَوْمُ: رَأَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَتَرَأَى لِي فَلَانٌ: تَصَدَّى لِي لِأَرَاهُ»^(٨٥٨).

٢ - ﴿يَتَفَيَّؤُ﴾ :

فَاءٌ يَفْيُ فَيًّا: رَجَعَ، وَأَفَاءَهُ غَيْرُهُ: رَجَعَهُ. وَإِنَّهُ لِحَسَنُ الْفَيْئَةِ، أَيِ حَسَنُ الرُّجُوعِ. وَالْفَيْئَةُ: الْجَمَاعَةُ الْمَتَظَاهِرَةُ الَّتِي يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي التَّعَاوُضِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٩]. وَالْفَيْءُ: الْغَنِيمَةُ الَّتِي لَا يَلْحَقُ فِيهَا مَشَقَّةٌ. تَقُولُ: أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَالَ الْكُفَّارِ يُفْيُ إِفَاءَةً، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧]. وَاسْتَفَاءْتُ هَذَا الْمَالَ، أَيِ أَخَذْتُهُ فَيًّا. وَالْفَيْءُ: الظِّلُّ، وَالْجَمْعُ أَفْيَاءٌ وَفُيُوءٌ، وَإِنَّمَا سَمِّيَ الظِّلُّ فَيًّا لِرُجُوعِهِ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ. وَقَدْ فَيَّاتِ الشَّجَرَةُ تَفْيَةً، وَتَفْيَاتُ أَنَا فِي فَيْئِهَا. وَتَفْيَاتِ الظَّلَالُ، أَيِ تَقَلَّبْتُ^(٨٥٩).

قال السمين الحلبي: «واختلف في الفيء فقيل هو مطلق الظل سواء كان من قبل الزوال أو بعده وهو الموافق لمعنى الآية ههنا، وقيل: ما كان قبل الزوال فهو ظل فقط، وما كان بعده فهو ظل وفيء، فالظل أعم،

(٨٥٦) القاموس المحيط ص ١٦٥٨ - بتصرف يسير، وانظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٠٠، لسان العرب ج ٣ ص ١٥٣٧.

(٨٥٧) انظر: لسان العرب ج ٣ ص ١٥٣٧.

(٨٥٨) المحيط في اللغة ج ١ ص ٢٩٨.

(٨٥٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٨٩.

وقيل: بل يختص الظل بما قبل الزوال والفيء بما بعده» (٨٦٠).

التفسير:

يقول تعالى: هؤلاء الشاكون في توحيد ربهم وعظمته وكماله، أولم ينظروا بعيون الأبصار متفكرين بالبصائر إلى مخلوقات الله، وكيف تتفياً أظلتها، أي: ترجع من جانب إلى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارق الشمس ومغاربها، عَنْ يَمِينِ الْأَجْرَامِ وَشَمَائِلِهَا، أي: عن جانبي كل واحد منها، كلها منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له، لما قُدِّرَ لها من التفَيُّؤِ، أو واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد، والأجرام في أنفسها خاضعة أيضاً، صاغرة منقادة لأفعال الله ﷻ فيها» (٨٦١).

وقد اختلف أهل التأويل في تفسير قوله ﷻ: ﴿يَنْفَتُونَ ظِلَّهُمْ﴾ على أربعة أوجه: أحدها: يرجع ظلّاه، لأن الفيء الرجوع، الثاني: تميل ظلّاه، الثالث: تدور ظلّاه، الرابع: تتحول ظلّاه.

أما قوله تعالى: ﴿عَنْ أَيْمَنِ وَالشَّمَائِلِ﴾ ففيه وجهان: أحدهما: يعني تارة إلى جهة اليمين، وتارة إلى جهة الشمال، لأن الظل يتبع الشمس حيث دارت، الثاني: أن اليمين أول النهار، والشمال آخر النهار.

وأما قوله تعالى: ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ ففيه ثلاثة تأويلات: أحدها: أن ظل كل شيء سجوده، الثاني: أن سجود الظلال سجود أشخاصها، الثالث: أن سجود الظلال كسجود الأشخاص تسجد لله ﷻ خاضعة» (٨٦٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ - قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾:

(٨٦٠) الدر المصون ج٤ ص٣٣٠، وانظر: البحر المحيط ج٥ ص٤٨١.
(٨٦١) انظر: الكشف ج٢ ص٤١٢، نظم الدرر ج٤ تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٦٩، التفسير المنير ج١٤ ص١٤٧.
(٨٦٢) انظر: تفسير الماوردي ج٣ ص١٩١.

القراءة بتاء الخطاب على نسق ما قبله^(٨٦٣)، وذلك على معنى مخاطبة المشركين وتقريرهم بآيات الله ﷻ، والقراءة بالياء إخبارٌ عن غُيْبٍ وتوبيخٍ لهم فكأنه قال: ويجهم، كيف يكفرون بالله ﷻ وينكرون البعث وهم يرون هذه الآيات البينات^(٨٦٤). كما أنَّ الالتفات من الخطاب إلى التكلم يحمل في طياته معنىً لطيفاً أشار إليه البقاعي فقال: «ولمَّا كان حقهم المبادرة بالتوبة فلم يفعلوا، أعرض عنهم في قراءة الجماعة تخويفاً فقال تعالى: ﴿يَرَوْا﴾ بالياء التحتية»^(٨٦٥). إلى غير ذلك من المعاني الدقيقة التي تستفاد من تنوع القراءة بين الغيبة والخطاب، والتي سبق الحديث في أكثر من موضع عنها^(٨٦٦).

ويمكن حَمَل القراءة بالخطاب على إرادة جميع الناس، فكل مكلف مأمور أن ينظر في آيات الله ليعتبر، وحَمَل القراءة بالغيبة على إرادة المشركين فقط^(٨٦٧)، وفيها ما سبق ذكره من معاني التخويف والتوبيخ. والله تعالى أعلم.

٢ - قوله تعالى: ﴿يَتَفَقَّهُوا﴾:

«الحجة لمن قرأ بالتاء أنَّ لفظ (ظلال) جمع (ظل)، وكل جمع خالف الآدميين فهو مؤنث، وإن كان واحده مذكراً. ودليله قوله ﷻ في الأصنام: ﴿رَبِّ إِنْهُمْ أَصْلَلْنَ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، والحجة لمن قرأه بالياء: أنَّ (ظلال) وإن كان جمعاً فلفظه لفظ الواحد، كقولك جدار، ولذا ناسب جمع التكسير الواحد، لأنه معرب بالحركات مثله»^(٨٦٨)، كما أنَّ تأنيث هذا الجمع غير

(٨٦٣) انظر: الملخص في إعراب القرآن ص ١٣٨، نظم الدرر ج ٤ ص ٢٧٤.

(٨٦٤) انظر: حجة القراءات ص ٣٩١، الحجة في القراءات السبع ص ٢١١.

(٨٦٥) نظم الدرر ج ٤ ص ٢٧٤.

(٨٦٦) انظر ص ٢٢٨، ٢٣٥ من هذا البحث.

(٨٦٧) انظر: الحجة للقراء السبعة ج ٥ ص ٦٧، الكشف ج ٢ ص ٣٧.

(٨٦٨) الحجة في القراءات السبع ص ٢١١ - باختصار وتصرف يسير، وانظر: حجة القراءات ص ٣٩١.

حقيقي^(٨٦٩)، أضف إلى ذلك أَنَّ الفعل إذا تقدم جاز التذكير منه^(٨٧٠). والقراءة بالتذكير وما توحى من معنى القلة؛ لمناسبتها للفظ الواحد، تبين أَنَّ تفيؤ ظلال كل شيء على حده هو عبرة في ذاته، والقراءة بالتأنيث وما توحى من معنى الكثرة تبين أَنَّ تعدد هذه الأشياء على كثرتها وتفيؤ ظلالها عبرة بالمجموع. والله تعالى أعلم.

١٧ - ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكِذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جُرْمَ أَنْ لَهُمُ النَّارُ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

القراءات:

- ١ - قرأ نافع ﴿مُفْرَطُونَ﴾ بكسر الراء مخففة.
- ٢ - قرأ أبو جعفر ﴿مُفْرَطُونَ﴾ بكسر الراء مشددة.
- ٣ - قرأ الباقون ﴿مُفْرَطُونَ﴾ بفتح الراء مخففة^(٨٧١).

المعنى اللغوي للقراءات:

فَرَطَ في الأمر يَفْرُطُ فَرَطًا، أي قَصُرَ فيه وضيَّعه حتَّى فات. وفَرَطَ فيه تفريطاً مثله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ بكسر الراء وتشديدها. وفَرَطَ عليه، أي عَجَلَ وعدا. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَىٰ﴾ [طه: ٤٥]. وفَرَطَ إليه مَنِي قول، أي سبق. وفَرَطْتُ القوم أفرطهم فَرَطًا، أي سبقتهم إلى الماء، والفارِط المتقدم إلى الماء وغيره، ومنه قول النبي ﷺ: «أنا فَرَطُكم على الحوض»^(٨٧٢). وأفرطه، أي أعجله، وفَرَطْتُهُ: تركته وتقدَّمته وما أفرطت من القوم أحداً، أي: ما تركت. وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾، أي متروكون في النار منسيئون، أو مُقَدَّمُونَ مُعَجَّلُونَ إليها.

(٨٦٩) انظر: الكشف ج ٢ ص ٣٨.

(٨٧٠) انظر: حجة القراءات ص ٣٩١.

(٨٧١) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٤، البدور الزاهرة ص ١٨٠.

(٨٧٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح (٦٥٧٦) ص ١٢٥٨، ومسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، ح (٥٨٧٢) ص ١١٤٩.

وَقُرِءَ بِكسرِ الراءِ، أي: مُجَاوِزُونَ لما حُدَّ لهم، من أَفْرَطَ في الأمرِ، إذا جاوز فيه الحدَّ. والاسمُ منه الْفَرْطُ بالتسكين. يقال: إِيَّاكَ وَالْفَرْطُ في الأمرِ^(٨٧٣).

التفسير:

يقول تعالى: وينسب هؤلاء المشركون إلى الله ما يأنفون أن ينسب إليهم من البنات والشركاء، وتنطق ألسنتهم الكذب، حيث يدعون مع ذلك أن لهم الحسنى في الدنيا، وإن كان ثمَّ معاد ففيه أيضا لهم الحسنى، وهو الجنة، فجمعوا بين عمل السوء وتمني الباطل، بأن يجازوا على افترائهم هذا حسناً. والحق أن لهم النار، يُقَدِّمُونَ وَيُعَجِّلُونَ إليها قبل غيرهم، ثم يتركون ويُنسَوْنَ فيها^(٨٧٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿مُفْرِطُونَ﴾ بكسر الراء، اسم فاعل من (أفراط) اللازم، إذا تجاوز الحدَّ، فالمعنى: أنهم متجاوزون الحدَّ في المعاصي، والقراءة ﴿مُقَرِّطُونَ﴾ بكسر الراء مشددة من قَرَّطَ في كذا أي قَصَّرَ أي: أنهم مقصرون. أمَّا القراءة ﴿مُقَرِّطُونَ﴾ بفتح الراء، اسم مفعول من (أفراطه) المتعدي، وفيه معنيان: الأول: أنه من أفراطه خلفي، أي تركته ونسيته، والمعنى: أنهم منسيون متروكون في النار. والثاني: أنه من أفراطه، أي قَدَّمته إلى كذا والمعنى: أنهم مقدمون إلى النار معجلون إليها^(٨٧٥).

ويلاحظ أن كل قراءة قامت مقام آية، وبمجموع القراءات يصبح

(٨٧٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٧٦، ٣٧٧، القاموس المحيط ٨٧٩، لسان العرب ج ٥ ص ٣٣٨٩، ٣٣٩٠.

(٨٧٤) انظر: تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٣، نظم الدرر ج ٤ ص ٢٨٢، صفوة التفاسير ج ٢ ص ١٣٢.

(٨٧٥) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٢٨، الكشف ج ٢ ص ٢٨، الحجة للقراء السبعة ج ٥ ص ٧٣، الملخص في إعراب القرآن ص ١٤١، البحر المحيط ج ٥ ص ٥٠٦، الدر المصون ج ٤ ص ٣٣٩، إتحاف فضلاء البشر ص ٣٥٢، روح المعاني ج ١٤ ص ١٧٣.

المعنى: لا جرم أنهم مقصرون، ومتجاوزون في المعاصي، وسيقدمون إلى النار ويعجلون إليها، ثم يتركون فيها ويُنسَوْنَ أي يُحْلَدُونَ فيها. والله تعالى أعلم.

١٨ - ﴿وَإِنَّ لَكَ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِذُوا بِطُونَهُمْ مِنْ بَيْنِ قَرْبٍ وَدَمٍ لِّبَنَاءٍ خَالِصًا سَائِبًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦].

القراءات:

١ - قرأ نافع، وابن عامر، وشعبة، ويعقوب ﴿نُسْقِيكُمْ﴾ بنون مفتوحة.

٢ - قرأ أبو جعفر ﴿نُسْقِيكُمْ﴾ بقاء مفتوحة.

٣ - قرأ الباقون ﴿شُقِّيكُمْ﴾ بنون مضمومة^(٨٧٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

سَقَى يَسْقِي سَقِيًّا وَسُقِيًّا: أعطاه ما يشرب، وأسقى يُسْقِي إسْقَاءً: جعل له ذلك حتى يتناوله كيف شاء. فالإسقاء أبلغ من السقي لأن الإسقاء هو أن تجعل له ما يسقي منه ويشرب، تقول: أسقيته نهراً. قال تعالى في السقي: ﴿وَسَقَنَّهُمْ رَبُّهُمْ سَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] وقال في الإسقاء: ﴿وَأَسْقَيْنُكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧] وقال: ﴿فَأَسْقَيْنُكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢] أي جعلناه سقياً لكم^(٨٧٧).

قال الفراء: «العرب تقول لكل ما كان من بطون الأنعام ومن السماء أو نهر يجري لقوم: أسقيت. فإذا سقاك الرجل ماءً لشفيتك قالوا: سقاه، ولم يقولوا: أسقاه؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَسَقَنَّهُمْ رَبُّهُمْ سَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] وقال: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩]، وربما قالوا لِمَا فِي بَطُونِ الْأَنْعَامِ وَلِمَاءِ السَّمَاءِ سَقَى وَأَسْقَى»^(٨٧٨)، «وقال الليث: (الإسقاء

(٨٧٦) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٤، البدور الزاهرة ص ١٨٠.

(٨٧٧) المفردات في غريب القرآن ص ٢٣٥، ٢٣٦ - بتصرف يسير.

(٨٧٨) معاني القرآن للفراء ج ٢ ص ١٠٨، وانظر: تهذيب اللغة ج ٩ ص ٢٢٨.

من قولك أَسْقَيْتُ فلاناً نَهراً أو ماءً إذا جعلت له سِقْيًا وفي القرآن ﴿وَسُقِيَهُمْ مِّمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا﴾ [الفرقان: ٤٩] من سَقَى، وقُرئ ﴿وَسُقِيَهُمْ﴾ من أَسْقَى وهما لغتان بمعنى واحد^(٨٧٩). وعن ابن السكيت^(٨٨٠): «السقاء يكون للبن وللماء ... ويقال: سقيته لِشَفْتِهِ، وأسقيته لماشيته وأرضه»^(٨٨١).

التفسير:

يقول تعالى: إِنَّ لَكُمْ أيها الناس في الأنعام، وهي: الإبل والبقر والغنم، لآية، إذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرة الخالق ﷻ وحكمته ولطفه ورحمته، حيث أسقاكم من بطونها لبناً يتخلص بياضه وطعمه وحلاوته من بين فرث ودم في باطن الحيوان، ولا يغص به أحد^(٨٨٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿سُقِيَكُمْ﴾ بنون مضمومة مضارع (أسقى) الرباعي، والقراءة ﴿تَسْقِيَكُمْ﴾ بنون مفتوحة مضارع (سقى) الثلاثي، والفاعل على هاتين القراءتين ضمير مستتر تقديره (نحن) يعود على الله تعالى بلفظ العظمة^(٨٨٣). قال الطبري: «تُسْقِيَكُمْ» بضم النون. بمعنى: أنه أسقاكم شراباً دائماً. وكان الكسائي يقول: العرب تقول: أسقيناكم نَهراً، وأسقيناكم لبناً: إذا جعلته

(٨٧٩) تهذيب اللغة ج٩ ص٢٢٨.

(٨٨٠) هو يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف، ابن السكيت - بكسر السين المهملة والكاف المشددة - إمام في اللغة والأدب، من أصحاب الكسائي، اتصل بالخليفة المتوكل، وعهد إليه بتأديب أولاده، ويقال إن المتوكل ناله شيء حتى مات سنة ٢٤٤هـ، وقيل سنة ٢٤٦هـ، وقيل غير ذلك. من كتبه: إصلاح المنطق، الألفاظ، وغيرها. (انظر: الفهرست ص٧٩، وفيات الأعيان ج٦ ص٣٩٥ - ٤٠١، الأعلام ج٨ ص١٩٥).

(٨٨١) الصحاح ج٦ ص٢٣٧٩.

(٨٨٢) انظر: تفسير الخازن ج٤ ص٩٩، تفسير ابن كثير ج٣ ص٢٤، تفسير السعدي ص٤٢٢.

(٨٨٣) انظر: الكشف ج٢ ص٣٨، ٣٩، إتحاف فضلاء البشر ص٣٥٢، المذهب في القراءات العشر ج١ ص٣٧٢، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٣٢٨.

شرباً دائماً، فإذا أرادوا أنهم أعطوه شربة قالوا: سقيناهم فنحن نَسْقِيهِمْ بغير ألف؛ و(نَسْقِيكُمْ) بفتح النون من سَقَاهُ الله، فهو يَسْقِيهِ، والعرب قد تدخل الألف فيما كان من السَّقْيِ غير دائم، وتنزعها فيما كان دائماً، وإن كان أشهر الكلامين عندها ما قال الكسائي^(٨٨٤).

والقراءة بفتح النون فيها امتنان على الخلق بتقديم اللبن الخالص لهم ليشربوه وتهيئته لهم، كما يكرم الضيف ضيفه بتقديم الشراب له، أما القراءة بضم النون ففيها امتنان على الخلق بجعل هذا اللبن دائماً للسقيا غير منقطع يشربون منه متى شاءوا ويسقون غيرهم، وإسناد الفعل إلى الله ﷻ بلفظ العظمة، فيه صرف الاهتمام إلى المنعم العظيم المستحق للعبادة، فإنه تعالى هو الذي يسر لهم هذه النعمة، كما أن فيها إشارة إلى كون لبن الأنعام في حد ذاته آية عظيمة. وفيه أيضاً إشارة إلى عظيم فضل الله ﷻ ومنته على خلقه حيث أكرمهم بهذه النعمة كما يكرم المضيف ضيفه بنفسه ويقدم له الشراب، أو يجعله في متناوله للشرب، قال ابن عاشور: «وقع البيان بـ ﴿تَسْقِيكُمْ﴾ دون أن يقال: تشربون أو نحوه، إدماجاً للمنة مع العبرة»^(٨٨٥).

والقراءة ﴿تَسْقِيكُمْ﴾ بقاء مفتوحة من سقى الثلاثي، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هي) يعود على الأنعام^(٨٨٦)، أي تقدم لكم هذه الأنعام ما تشربونه من اللبن، وفي هذه القراءة صرف الاهتمام إلى شأن هذه الأنعام وبخاصة ما تنتجه من لبن، ليتأمل المتأمل، ويرى بعين بصيرته فيعتبر ويدرك قدرة الله ﷻ. والله تعالى أعلم.

١٩ - ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].

(٨٨٤) تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٣١، وانظر: تفسير الفخر الرازي ٦٦.

(٨٨٥) التحرير والتنوير ج ١٤ ص ٢٠٠.

(٨٨٦) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٣٢٨.

القراءات:

١ - قرأ ورش، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿يُوتَا﴾ بضم الباء.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُوتَا﴾ بكسر الباء^(٨٨٧).

٣ - قرأ ابن عامر، وشعبة ﴿يَغْرُشُونَ﴾ بضم الراء.

٤ - قرأ الباقون ﴿يَغْرِشُونَ﴾ بكسر الراء^(٨٨٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

١. ﴿يُوتَا﴾: سبق بيانه^(٨٨٩).

٢ - ﴿يَغْرِشُونَ﴾: عَرَشَ: بنى بِنَاءً من خَشَبٍ، وَعَرَشَ الْبَيْتَ سَقَفَهُ، وعَرَشَ الرَّجُلُ: قَوَّامٌ أَمْرَهُ. وَإِذَا زَالَ قِيلَ: ثُلَّ عَرَشُهُ أَي: وَهِيَ أَمْرُهُ وَذَهَبَ عَرْهُ، وَالْعَرْشُ سَرِيرُ الْمَلِكِ سَمِيَ بِذَلِكَ اعْتِبَاراً بَعْلُوهُ، وَالْعَرِيشُ وَالْعَرْشُ: مَا تُعْرَشُ بِهِ الْكُرُومُ، وَقَدْ اغْتَرَشَ الْكَزْمُ: عَلَا عَلَيْهَا، وَالْعَرِيشُ: شِبْهُ هَوْدَجٍ يَتَّخِذُ لِلْمَرْأَةِ تَقَعُدُ فِيهِ عَلَى بَعِيرِهَا^(٨٩٠).

قال ابن قتيبة: «كل شيء عَرِشٌ من كَزَمٍ أو نَبَاتٍ أو سَقَفٍ: فهو عَرِشٌ وَمَعْرُوشٌ»^(٨٩١).

التفسير:

أَلْهَمَ اللَّهُ ﷻ النحل وأرشدنا أن تتخذ من الجبال بيوتاً، تأوي إليها،

(٨٨٧) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٢٦، مصحف الصحابة للقراءات العشر ص ٢٦٦.

(٨٨٨) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٤، البدور الزاهرة ص ١٨٠.

(٨٨٩) انظر ص ٢١٧ من هذا البحث.

(٨٩٠) انظر: العين ج ١ ص ٢٤٩، ٢٥٠، المحيط في اللغة ج ١ ص ٢٨٤، ٢٨٥، المفردات

في غريب القرآن ص ٣٢٩.

(٨٩١) تفسير غريب القرآن ص ٢٤٦.

ومن الشجر، ومما بينه الناس من أكوار^(٨٩٢)، أو يعرشونه من كروم. وأصل البيت مأوى الإنسان واستعمل هنا في وكر النحل الذي تبنيه تشبيهاً له بما بينه الإنسان لما فيه من إتقان الصنعة^(٨٩٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ - القراءتان ﴿بَيُوتًا﴾ بكسر الباء وضمها على لغتين من لغات العرب، كما سبق بيانه^(٨٩٤). وقد ناسب الضم وما به من قوة، لإحكام صنع البيوت التي يبنها النحل من الشمع، وبراعة إتقانها، وناسب الكسر وما به من ضعف، طبيعة هذه البيوت فقد جعلت بحكمة الله رغم إحكام صنعها وبراعة إتقانها ضعيفة يسهل للإنسان استخلاص العسل منها بدرجة حرارة ليست بالمرتفعة. والله تعالى أعلم.

٢ - القراءتان ﴿يَعْرِشُونَ﴾ بكسر الراء وضمها على لغتين من لغات العرب^(٨٩٥). وقد ناسب تنوع القراءة بين الضم وما به من قوة والكسر وما به من ضعف، تنوع ما بينه الناس للنحل، من أكوار محكمة قوية أو عرش غير محكمة من الكرم أو غيره، والنحل تتخذ جميع ذلك بيوتاً لها دون استثناء. والله تعالى أعلم.

٢٠ - ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْيِ رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١].

(٨٩٢) أَكْوَارُ: جمع (كُور) بالضم وهو بيت النحل والزنابير. (انظر: لسان العرب ج٥ ص٣٩٥٣).

(٨٩٣) انظر: تفسير الطبري ج١٤ ص١٣٩، الملخص في إعراب القرآن ص ١٤٣، تفسير ابن كثير ج٣ ص٢٥، تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٧٦، أيسر التفاسير ج٣ ص١٠٤، صفوة التفاسير ج٢ ص١٣٣.

(٨٩٤) انظر: ص ٢١٨ من هذا البحث.

(٨٩٥) انظر: حجة القراءات ص٣٩٢، الحجة للقراء السبعة ج٥ ص٧٦، زاد المسير ج٤ ص٣٣٩.

القراءات:

١ - قرأ شعبة، ورويس ﴿تَجْحَدُونَ﴾ بتاء الخطاب.

٢ - قرأ الباقون ﴿يَجْحَدُونَ﴾ بياء الغيبة^(٨٩٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

الجُحُودُ: ضِدُّ الإِقْرَارِ، وَجَحَدَ الرَّجُلُ يَجْحَدُ جُحُوداً وَجَحْداً، إِذَا أَنْكَرَ مَا عَلَيْهِ مِنْ حَقٍّ، وَالْجَحْدُ: الْقِلَّةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْجُحْدُ: لُغَةٌ فِيهِ^(٨٩٧).

قال الراغب: «الجحود نفى ما في القلب إثباته وإثبات ما في القلب نفيه، قال ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]، ويجحد يختص بفعل ذلك يقال: رجل جحد شحيح قليل الخير يُظهر الفقر، وأرض جحدة قليلة النبت، ويُقال جَحْداً له ونكداً، وأجحد: صار ذا جحد»^(٨٩٨).

التفسير:

يبين الله ﷻ للمشركين جهلهم وكفرهم فيما زعموه لله من الشركاء، وهم يُقَرُّون أنها عبيد له، فقال تعالى منكرأ عليهم: أنتم مشتركون بأنكم مخلوقون مرزوقون إلا أنه ﷻ ﴿فَضَّلَ بَعْضُكُمُ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فجعل منكم أحراراً لهم مال وثروة، ومنكم أرقاء لهم لا يملكون شيئاً من الدنيا، وسادتكم الذين فضلهم الله على المماليك بالرزق ليسوا بمشركي ممالئكم فيما رزقهم الله ﷻ من الأموال، ويرون هذا من الأمور الممتنعة، فإذا كنتم لا ترضون بإشراك عبيدكم معكم في أموالكم فكيف تشركون معي في سلطاني، هل هذا إلا من أعظم الظلم والإنكار لنعم الله، فإنه يرزقكم ويعافيك، وأنتم تجعلون له الشركاء في العبادة^(٨٩٩).

(٨٩٦) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٤، البدور الزاهرة ص ١٨٠.

(٨٩٧) انظر: جمهرة اللغة ج ٢ ص ٥٣، المحيط في اللغة ج ٢ ص ٣٩٥.

(٨٩٨) المفردات في غريب القرآن ص ٨٨ - باختصار وتصرف يسير.

(٨٩٩) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٤٢، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٨، أضواء البيان ج ٣ ص ٢٨٧، تفسير السعدي ص ٤٨٢.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿تجحدون﴾ بالتاء الفوقية، على الخطاب، رداً على لفظ الخطاب قبله وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ أي: فعل بكم ذلك وتجحدون بنعمة الله ﷻ، أو على معنى: قل لهم يا محمد ﷺ أفبنعمة الله تجحدون؟، فهو خطاب للكفار ويحمل معنى التوبيخ والتقريع لهم، والقراءة بالياء على الغيبة رداً على لفظ الغيبة قبله، وهو قوله: ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾، وقوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ ولفظ الغيبة أقرب إليه من لفظ الخطاب^(٩٠٠)، وفيه معنى الإعراض عنهم تحقيراً لهم لفظاً وفعلهم، وكأنهم لقلة شأنهم ليسوا حريين بالخطاب^(٩٠١). وقد سبق الحديث عن فائدة تنوع الأسلوب بين الغيبة والخطاب في القراءات القرآنية وأثره في المعاني في غير موضع، فأغنى عن الإعادة^(٩٠٢).

٢١ - ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الظَّنِّ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل: ٧٩).

القراءات:

١ - قرأ ابن عامر، وحمزة، ويعقوب، وخلف ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ بتاء الخطاب.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ بياء الغيبة^(٩٠٣).

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ أَلْفَ ظَنٍّ يَنْقَرُوا بِهَا أَسَافَةً وَكِبَافًا يَدْعُرُونَ﴾ (النحل: ٤٨) [٤٨] (٩٠٤).

(٩٠٠) انظر: الكشف ج ٢ ص ٣٩، ٤٠، الملخص في إعراب القرآن ص ١٤٤.

(٩٠١) انظر: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص ٢٨، ٢٩.

(٩٠٢) انظر ص ٢٢٨، ٢٣٥ من هذا البحث.

(٩٠٣) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٤، البدور الزاهرة ص ١٨١.

(٩٠٤) انظر ص ٢٤٨ من هذا البحث.

٢٢ - ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَادِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَتَمَّتْكُمْ وَمَتَّلَتْ إِلَى حِينٍ﴾ (النحل: ٨٠).

القراءات:

١ - قرأ ورش، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿بُيُوتِكُمْ﴾، ﴿بُيُوتًا﴾ بضم الباء.

٢ - قرأ الباقون ﴿بُيُوتِكُمْ﴾، ﴿بُيُوتًا﴾ بكسر الباء (٩٠٥).

٣ - قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿ظَعْنِكُمْ﴾ بفتح العين.

٤ - قرأ الباقون ﴿ظَعْنِكُمْ﴾ بإسكان العين (٩٠٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿بُيُوتِكُمْ﴾: سبق بيانه (٩٠٧).

٢ - ﴿ظَعْنِكُمْ﴾: «ظَعَنَ يَظْعُنُ ظَعْنًا وَظَعْنًا بِالْتَحْرِيكِ وَظُعُونًا: ذَهَبَ وَسَارَ، وَأَظْعَنَهُ هُوَ سَيْرُهُ، وَالظُّعْنُ سَيْرُ الْبَادِيَةِ لُتْجَعَةٍ أَوْ حُضُورِ مَاءٍ أَوْ طَلَبِ مَرْبَعٍ أَوْ تَحَوُّلٍ مِنْ مَاءٍ إِلَى مَاءٍ أَوْ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَقَدْ يُقَالُ لِكُلِّ شَاخِصٍ لَسَفَرٍ فِي حِجٍّ أَوْ غَزْوٍ أَوْ مَسِيرٍ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى أُخْرَى ظَاعِنٌ وَهُوَ ضَدُّ الْخَافِضِ وَيُقَالُ أَظَاعِنَ أَنْتَ أَمْ مُقِيمٌ؟ وَالظُّعْنَةُ السَّفَرَةُ الْقَصِيرَةُ، وَالظُّعِينَةُ الْجَمْلُ يَظْعُنُ عَلَيْهِ وَالظُّعِينَةُ الْهُودُجُ تَكُونُ فِيهِ الْمَرْأَةُ وَقِيلَ هُوَ الْهُودُجُ كَانَتْ فِيهِ أَوْ لَمْ تَكُنْ، وَالظُّعِينَةُ: الْمَرْأَةُ فِي الْهُودُجِ سَمِيَتْ بِهِ عَلَى حَدِّ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِاسْمِ الشَّيْءِ لِقُرْبِهِ مِنْهُ، وَقِيلَ سَمِيَتْ الْمَرْأَةُ ظُعِينَةً لِأَنَّهَا تَظْعُنُ مَعَ زَوْجِهَا وَتَقِيمُ بِإِقَامَتِهِ كَالْجَلِيسَةِ. وَقِيلَ: كُلُّ امْرَأَةٍ ظُعِينَةٌ فِي هُودُجٍ كَانَتْ أَوْ

(٩٠٥) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٢٦، مصحف الصحابة للقراءات العشر ص ٢٦٦.

(٩٠٦) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٤، البدور الزاهرة ص ١٨١.

(٩٠٧) انظر ص ٢١٧ من هذا البحث.

غيره والجمع ظَعَانُ وَظُعْنٌ وَظُعْنٌ وَأَظْعَانٌ وَظُعُنَاتٌ - الأخيرتان جمع الجمع - . وَالظُّعَانُ: الحبل الذي يشدُّ به اليهودج» (٩٠٨).

التفسير:

يذكر تبارك وتعالى تمام نعمه على عباده، بما جعل لهم من البيوت سكناً لهم، يأوون إليها، ويستترون بها، ويستفدون بها سائر وجوه الانتفاع، فذكر أولاً بيوت التمدن المبنية من الحجارة وغيرها، وهي التي للإقامة الطويلة، ثم ذكر بيوت التنقل والترحال وهي التي جعلها لهم ﴿مَنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ﴾ يجدونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل، يوم يرحلون يخف عليهم حملها ونقلها، ويوم ينزلون ويقيمون في مكان يسهل عليهم ضربها. وامتن عليهم بما جعل لهم مِنْ أَصْوَابِ الْغَنَمِ، وَأَوْبَارِ الْإِبِلِ، وَأَشْعَارِ الْمَعَزِ، ما يتخذونه أثاثاً ومتاعاً في هذه الحياة الدنيا (٩٠٩).

قال ابن عاشور: «والأثاث بفتح الهمزة اسم جمع للأشياء التي تفرش في البيوت كالوسائد والبسط، والمتاع أعم من الأثاث، فيشمل الرحائل والعُقل وغيرها، فالمتاع: ما يتمتع به ويستفد، وهو مشتق من المَتَعَ، وهو الذهاب بالشيء، ولملاحظة اشتقاقه تعلق به ﴿إِلَى جِئِنِ﴾. والمقصود من هذا المتعلق الوعظ بأنها أو أنهم صائرون إلى زوال يحول دون الانتفاع بها ليكون الناس على أهبة واستعداد للآخرة فيتبعوا ما يرضي الله تعالى» (٩١٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ - ﴿يُؤْتِيكُمْ^٤﴾: سبق بيانه (٩١١).

(٩٠٨) لسان العرب ج٤ ص٢٧٤٨ - باختصار وتصرف يسير، وانظر: الصحاح

ج٦ ص٢١٥٩، مختار الصحاح ص٤٠٤، القاموس المحيط ص١٥٦٦.

(٩٠٩) انظر: تفسير الطبري ج١٤ ص١٥٣، ١٥٤، تفسير ابن عطية ج٣ ص٤١٢، البحر

المحيط ج٥ ص٥٠٧، تفسير ابن كثير ج٣ ص٣٢، ٣٣، تفسير الجلالين ص٢٣٨،

المقتطف من عيون التفاسير ج٣ ص١٥٤، التفسير المنير ج١٤ ص١٩٨.

(٩١٠) التحرير والتنوير ج١٤ ص٢٣٩ - باختصار وتصرف يسير.

(٩١١) انظر ص٢١٨ من هذا البحث.

٢ - ﴿ظَعْنَكُمْ﴾: ﴿ظَعْنَكُمْ﴾ بفتح العين، و﴿ظَعْنَكُمْ﴾ بسكون العين لغتان في الكلمة كالسَّمْع والسَّمْع، والنَّهْر والنَّهْر^(٩١٢). وقيل الإسكان المصدر، و(الظَّعْن) اسم لهذا العمل كقولهم: الطلب الهرب^(٩١٣). والمتأمل لكنا الكلمتين يجد أن السكون بما يوحيه من دوام واستقرار ناسب الأسفار الطويلة، والفتح بما يوحيه من خفة وسرعة، ناسب الأسفار القصيرة، فهذه البيوت التي يتخذها الناس من جلود الأنعام تصلح للاستخدام في الأسفار الطويلة والقصيرة، وهذا من تمام نعمة الله ﷻ على خلقه. والله تعالى أعلم.

٢٣ - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

القراءات:

١ - قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال.

٢ - قرأ الباقون ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتشديد الذال^(٩١٤).

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْنَى وَالْأَصْبَرِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤]^(٩١٥).

٢٤ - ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

(٩١٢) انظر: حجة القراءات ٣٩٣، الكشف ج ٢ ص ٤٠، تفسير ابن عطية ج ٣ ص ٤١٢، البحر المحيط ج ٥ ص ٥٠٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج ٢ ص ٣٣٢.

(٩١٣) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٢١٢، ٢١٣، الملخص في إعراب القرآن ص ١٤٦.

(٩١٤) انظر: النشر ج ٢ ص ٢١٦، البدور الزاهرة ص ١٨٢.

(٩١٥) انظر ص ٢٥ من هذا البحث.

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وابن ذكوان بخلفه، وعاصم، وأبو جعفر ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾ بالنون.

٢ - قرأ الباقون ﴿وَلَيَجْزِيَنَّ﴾ بالياء^(٩١٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

«(جزاء): الجزاء العناء والكفاية قال الله تعالى: ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨]، والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، يقال جزيته كذا وبكذا قال الله تعالى: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه: ٧٦]، والجزية ما يؤخذ من أهل الذمة وتسميتها بذلك للاجتزاء بها في حقن دمهم قال الله تعالى: ﴿حَتَّى يَقُطُوا الْحِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]. ويقال: جازيك فلان أي: كافيك، ويقال جزيته بكذا وجازيته، ولم يجيء في القرآن إلا جزی دون جازى، وذاك أن المجازاة هي المكافأة وهي المقابلة من كل واحد من الرجلين، والمكافأة هي مقابلة نعمة بنعمة هي كفؤها ونعمة الله تعالى ليست من ذلك ولهذا لا يستعمل لفظ المكافأة في الله ﷻ وهذا ظاهر»^(٩١٧).

التفسير:

يقول تعالى: ما عندكم أيها الناس مما تملكونه من الدنيا زائل وإن كثر، وما عند الله ﷻ من ثواب في الجنة باقٍ لا يزول ولا ينقطع، وليشبن الله ﷻ الذين صبروا على طاعتهم إياه في السراء والضراء، بأحسن ما كانوا يعملون من الأعمال، وليغفرن الله ﷻ لهم سيئاتهم بفضله^(٩١٨).

(٩١٦) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٤، ٣٠٥ (وقد ذكر عن هشام أيضاً القراءة بالنون)، البدور الزاهرة ص ١٨٢.

(٩١٧) المفردات في غريب القرآن ص ٩٣.

(٩١٨) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٧٠، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٠، تفسير السعدي ص ٤٧٧، التفسير المنير ج ١٤ ص ٢٢٣.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بالنون على الإخبار من الله ﷻ عن نفسه بالجزاء الذي أكده بالقسم، وهو خروج من غيبة إلى إخبار، والقراءة بياء الغيبة على نسق ما قبله وهو قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(٩١٩).

قال ابن زنجلة: «فالحجة لمن قرأه بالياء أنه رده على قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾، والحجة لمن قرأه بالنون أنه أراد أن يأتي الكلام محمولاً على آخره، فوافق بين قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ﴾، وقوله ﴿فَلَنَجْزِيَنَّهُ﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ [النحل: ٩٧] والوقف على قوله تعالى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ كاف على قراء من قرأ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ﴾ بالنون، وحسن على قراءة من قرأ ﴿وَلَيَجْزِيَنَّهُ﴾ بالياء^(٩٢١).

والمأمل للقراءة بالياء يجد أن قلبه قد تعلق بالمعنى السابق: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾، لذا إن سأل العقل، ما ميزة هذا الجزاء، أجيب السؤال بلا تردد، هو جزاء من الله وما عند الله باق لا ينفد. وعلى القراءة بالنون نجد أن اهتمام القلب، يلتفت إلى معنى آخر، وهو معنى التفخيم والتعظيم لله سبحانه وتعالى الذي تعهد بنفسه وبلفظ العظمة، فقال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ﴾، فإن سأل العقل ما ميزة هذا الجزاء، أجيب السؤال بلا تردد، ذلك جزاء من الله وحسب، وكفى به جزاء. وفي هذه القراءة بيان لرفع شأن هذا الجزاء.

فالقراءتان معاً بيتان أن هذا الجزاء الذي وعد الله ﷻ عباده، يتميز بأنه لا يضاهيه جزاء، فهو جزاء عظيم الشأن وهو باق لا ينفد. وأيضاً فإن لاختلاف القراءة هنا فائدة بلاغية تظهر في تنوع الأسلوب، وحمله مرة على ما قبله، ومرة على ما بعده، فجاءت الآيتان على القراءتين كأنهما لحمة واحدة. كما أن تنوع الأسلوب بين الخطاب، والغيبة، أضفى على الكلام

(٩١٩) انظر: الكشف ج٢ ص٤٠، حاشية الشهاب ج٥ ص٦٤٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٣٣٣.

(٩٢٠) الحجة في القراءات السبع ص٢١٣.

(٩٢١) انظر: المكتفى في الوقف والابتدا ص٣٥٦.

طراوة وحسناً على حُسن. والله تعالى أعلم.

٢٥ - ﴿وَإِذَا بَدَأْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفَتِّرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل: ١٠١].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو ﴿يُنَزِّلُ﴾ بإسكان النون وتخفيف الزاي.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُنَزِّلُ﴾ بفتح النون وتشديد الزاي (٩٢٢).

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق بيانه (٩٢٣).

التفسير:

يخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين، وأنه لا يُتصور منهم الإيمان، وذلك أنهم إذا رأوا تغيير الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا للرسول ﷺ: إنما أنت كاذب تقول الباطل على الله ﷻ. والحال أن الله أعلم بالذي هو أصح لخلقه فيما يبدل ويغير من أحكامه، وهؤلاء المشركون أكثرهم سفهاء يجهلون بأن الذي تأتيهم به كله من عند الله، ناسخه ومنسوخه، ويجهلون أن في النسخ حكماً بالغة (٩٢٤).

قال ابن عاشور: «وحكاية طعنهم في النبي ﷺ بصيغة قصر الموصوف على الصفة، فجعلوه لا صفة له إلا الافتراء، وهذا من مجازفتهم وسرعتهم في الحكم الجائر فلم يقتصروا على أن تبديله افتراء بل جعلوا الرسول ﷺ مقصوراً على كونه مفترياً لإفادة أن القرآن الوارد مقصور على كونه افتراء» (٩٢٥).

(٩٢٢) انظر: النشر ج ٢، البدور الزاهرة ص ١٨٢.

(٩٢٣) انظر ص ٢٠٠ من هذا البحث.

(٩٢٤) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٧٦، التسهيل ج ١ ص ١٦٣، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٢، المقتطف من عيون التفاسير ج ٣ ص ١٥٨.

(٩٢٥) التحرير والتنوير ج ١٤ ص ٢٨٣ - باختصار.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿يُنْزَلُ﴾ بالتشديد من نَزَلَ، يُنْزَلُ، و﴿يُنْزِلُ﴾ بالتخفيف من أنزل، يُنْزَلُ^(٩٢٦). وهما لغتان في الفعل^(٩٢٧)، وهما بمعنى واحد هنا^(٩٢٨) وكل كلمة تحمل دلالات في المعنى، فالقراءة بالتشديد تحمل معنى التكرير في النزول، وذلك أَنَّ القرآن كان ينزل على النبي ﷺ شيئاً فشيئاً^(٩٢٩)، فأشار بهذه القراءة إلى «تفصيل المنزل وتنجيته بحسب الدواعي»^(٩٣٠). كما أَنَّ التشديد يفيد معنى استقرار المنزل وتنفيذ حكمه^(٩٣١)، وكذلك فقد أفادت هذه القراءة أيضاً الاهتمام بشأن المنزل والمبالغة في رفع قدره^(٩٣٢) أما القراءة بالتخفيف فإنها أفادت مطلق النزول سواء أكان دفعة واحدة أم كان منجماً، وإن كان «لفظ التضعيف أقوى في إعطاء معنى التنجيم والتفصيل»^(٩٣٣)، فعلم الله جل شأنه شامل لكل وللجزئيات. والله تعالى أعلم.

٢٦ - ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير ﴿الْقُدُسِ﴾ بإسكان الدال.

٢ - قرأ الباقون ﴿الْقُدُسِ﴾ بضم الدال^(٩٣٤).

(٩٢٦) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٨٥، الكشف ج ١ ص ٢٥٤.

(٩٢٧) انظر: حجة القراءات ص ١٠٦.

(٩٢٨) انظر: ملاك التأويل ج ١ ص ١٤٣.

(٩٢٩) انظر: الكشف ج ١ ص ٢٥٤.

(٩٣٠) ملاك التأويل ج ١ ص ١٤١.

(٩٣١) انظر: المرجع السابق ج ١ ص ١٤٢.

(٩٣٢) المرجع نفسه ج ١ ص ١٤٣.

(٩٣٣) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص ٦٤.

(٩٣٤) انظر: النشر ج ٢ ص ٢١٥، البدور الزاهرة ص ١٨٢.

المعنى اللغوي للقراءات:

التقديس: التطهير والتبريك، والقُدُس: البركة^(٩٣٥)، وروح القُدُس: جبريل عليه السلام^(٩٣٦)، لأنه خُلِقَ من طهارة^(٩٣٧).

التفسير:

أمر الله ﷻ نبيه محمد ﷺ في هذه الآية الكريمة أن يقول للمشركين: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ - الذي تزعمون أنه افتراء بسبب تبديل الله آية مكان آية - إِنَّمَا نَزَّلَهُ عَلَيَّ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ من ربي تثبيتاً للمؤمنين، ولizardادوا بتصديقهم بما أنزل أولاً وثانياً إيماناً مع إيمانهم، وهدى لهم من الضلالة، ويُشِرَى للذين استسلموا لله، وانقادوا لأمره ونهيه، وما أنزله في كتابه، فأقرؤا بكل ذلك، وصدقوا به قولاً وعملاً^(٩٣٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿الْقُدُس﴾ بإسكان الدال تخفيفاً، لتوالي ضمتين، وهي لغة، والقراءة بالضم على الأصل^(٩٣٩). وقد ناسب الضم وما به من قوة وفخامة، قوة وفخامة التقديس والتطهير الذي اتصف به جبريل عليه السلام، وناسب السكون وما به من استقرار، استقرار هذه الصفة في جبريل عليه السلام. والله تعالى أعلم.

٢٧ - ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبُوا وَهَذَا لِسَانُ عَزِزٍ مُّبِينٍ﴾ [النحل: ١٠٣].

(٩٣٥) انظر: لسان العرب ج٥ ص٣٥٥٠.

(٩٣٦) انظر: غرر التبيان ص٣٠٤، لسان العرب ج٥ ص٣٥٥٠.

(٩٣٧) انظر: لسان العرب ج٥ ص٣٥٥٠.

(٩٣٨) انظر: تفسير الطبري ج١٤ ص١٧٧، تفسير ابن كثير ج٣ ص٤٢، أضواء البيان (١٠٢)، المقتطف من عيون التفاسير ج٣ ص١٥٨، ١٥٩.

(٩٣٩) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٨٥، حجة القراءات ص١٠٥، ١٠٦.

القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿يُلْحَدُونَ﴾ بفتح الياء والحاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء^(٩٤٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

أصل الإلحاد الميل والغدول عن الشيء. وَلَحَدَ يُلْحَدُ، وَالْحَدَ: مال وعدل. وقيل: لَحَدَ، مال وجار، وَالْحَدَ، ماري وجادل^(٩٤١). والمُلْحِدُ: العادل عن الحق، المُدْخِل فيه ما ليس فيه واللحد: الشق في جانب القبر، وقد لحد القبر: حفره، كذلك وألحده وقد لحدت الميت وألحدته جعلته في اللحد، ويسمى اللحد مُلْحِداً وذلك اسم موضع من ألحدته، ولحد بلسانه إلى كذا مال^(٩٤٢).

قال ابن دريد: «وألحد الرجل إلحاداً إذا مال عن القصد فهو مُلحد، ولا يقال له لاحد وملحد حتى يميل عن حق إلى باطل»^(٩٤٣).

وقال الفراء: «لَسَاثُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ»: يميلون إليه ويهوونه»^(٩٤٤).

التفسير:

يقول تعالى: قد علمنا ما يقول هؤلاء المشركون كذباً وافتراءً وبهتاناً: إنما يعلم محمد ﷺ هذا القرآن بشر من بني آدم، ويشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم، غلام لبعض بطون قريش. يقول الله ﷻ مكذباً لهم في قيلهم ذلك: ألا تعلمون كذب ما تقولون، إن لغة ذلك الرجل -

(٩٤٠) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٧٣، البدور الزاهرة ص ١٨٢.

(٩٤١) انظر: لسان العرب ج ٥ ص ٤٠٠٦.

(٩٤٢) انظر: المحيط في اللغة ج ٣ ص ٤١، تهذيب اللغة ج ٤ ص ٤٢١ المفردات في غريب القرآن ص ٤٤٨.

(٩٤٣) جمهرة اللغة ج ٢ ص ١٢٥.

(٩٤٤) معاني القرآن للفراء ج ٢ ص ١١٣.

الذي تميلون إليه القول عن الاستقامة وتقولون بأنه يعلم محمداً ﷺ -
أعجمية غير بينة، وهذا القرآن عربي في غاية الفصاحة والبلاغة، فكيف
للأعجمي أن يعلم محمداً ﷺ هذا الكتاب العربي المبين^(٩٤٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء من ألحد يلحد إلحاداً، والقراءة
﴿يُلْحِدُونَ﴾ بفتح الياء من لحد يلحد لحداً ولحوداً. وهما لغتان بمعنى الميل
والعدول^(٩٤٦). وقيل إنَّ ألحد بمعنى: اعترض، ولحد بمعنى: مال
وعدل^(٩٤٧).

قال الطبري: «واختلف القراء في قراءة قوله: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ فقرأته عامة
قراء المدينة والبصرة: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ بضم الياء من (ألحد
يلحد إلحاداً)، بمعنى: يعترضون، ويعدلون إليه، ويعرجون إليه. وقرأ ذلك
عامة قراء أهل الكوفة: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ بفتح الياء، يعني:
يميلون إليه، من (لحد فلان إلى هذا الأمر يُلْحِدُ لَحْداً وَلُحُوداً)، وهما
عندي لغتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فيهما الصواب»^(٩٤٨).

وقال الكسائي: «إنَّ كل واحد من (لحدت وألحدت) يأتي بمعنى غير
معنى الآخر، وذلك أنَّ (ألحد يُلْحِد) معناه اعترض، وأنَّ (لَحَدَ يُلْحِد) معناه
مال وعدل، فلما ولي (ألحد) ما يلي الاعتراض الذي هو بمعناه قرأه بألف
فقال: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، و﴿إِنَّ الَّذِينَ
يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ [السجدة: ٤٠] بمعنى: يعترضون، إذ كان من عادة (في)
أن تصحب الاعتراض الذي بمعنى الإلحاد، فلما ولي الفعل ما ليس من

(٩٤٥) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٧٩، الكشف ج ٢ ص ٤٢٩، تفسير ابن كثير
ج ٣ ص ٤٢، تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٢٩٤، صفوة التفسير ج ٢ ص ١٤٣.

(٩٤٦) الحجة في القراءات السبع ص ١٦٧، الحجة للقراء السبعة ج ٥ ص ٧٨، البحر المحيط
ج ٥ ص ٥١٩، روح المعاني ج ١٤ ص ٢٣٤، التحرير والتنوير ج ١٤ ص ٢٨٧.

(٩٤٧) انظر: حجة القراءات ص ٣٩٤، تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٧٩.

(٩٤٨) تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٧٩، ١٨٠.

عادة الاعتراض أن يليه وهو (إلى) دلّ على أنّ معناه غير معنى الاعتراض وأنه بمعنى الميل، فقرأه ﴿يَلْحَدُونَ﴾ بفتح الياء إذ كانت بمعنى يميلون فحسن ذلك، وكان مشهوراً من كلام العرب (لحد فلان إلى كذا) إذا مال إليه^(٩٤٩). قلت: اختار الكسائي في قراءته الفتح في موضع النحل وذلك لأن التعدية بحرف (إلى) تفيد أنّ المعنى المراد للفعل هنا هو: الميل والعدول وليس الاعتراض. ويمكن القول إنّ لحد وألحد لغتان بمعنى، وقد تستعمل كل واحدة منهما لمعنى مختلف، ولكنها في هذه الآية جاءت بمعنى وهو الميل، وإيراد القراءة بأكثر من لفظ مع اتحاد المعنى فيه توكيد لهذا المعنى، وقد ناسب الفتح بخفته سفاهة عقولهم بزعمهم هذا ولو كان عندهم مسكة عقل ما قالوا ذلك، وناسب الضم بثقله عظيم افتراءهم وشدة ميلهم عن الصواب. والله تعالى أعلم.

٢٨ - ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبِّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠].

القراءات:

١ - قرأ ابن عامر ﴿فَتَنُوا﴾ بفتح الفاء والتاء.

(٩٤٩) حجة القراءات ص ٣٩٤. وقد أورد الطبري عند تفسير قوله تعالى ﴿وَدُّوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي أَصْحَابِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠] قولاً آخر للكسائي يعارض ما ذكر أعلاه حيث قال: «وقد ذكر عن الكسائي أنه كان يفرّق بين (الإلحاد) و(اللحد)، فيقول في (الإلحاد): إنه العدول عن القصد، وفي (اللحد) إنه الركون إلى الشيء. وكان يقرأ جميع ما في القرآن: ﴿يَلْحَدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء، إلا التي في النحل، فإنه كان يقرؤها: ﴿يَلْحَدُونَ﴾ بفتح الياء والحاء، ويزعم أنه بمعنى الركون» (تفسير الطبري ج ٩ ص ١٣٤) وقد علق الطبري على ذلك فقال: «وأما سائر أهل المعرفة بكلام العرب، فيرون أن معناه واحد، وأنهما لغتان جاءت في حرف واحد بمعنى واحد» (تفسير الطبري ج ٩ ص ١٣٤) وقد أثرت الباحثة عدم ذكر هذا القول لأنها لم تجد ما يعضده في كتب اللغة التي اطلعت عليها، بخلاف القول المثبت في المتن والذي له ما يؤيده في كتب اللغة على ما هو مبين في المعنى اللغوي للقراءات.

٢ - قرأ الباقون ﴿فَتَنُوا﴾ بضم الفاء وكسر التاء (٩٥٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال الخليل الفراهيدي: «(فتن): فَتَنَ فلانٌ يَفْتِنُ فهو فَاتِنٌ أي مُفْتِنٌ، والفُتُونُ مصدره، ويقال: فَتَنَ غيره. والفَتْنُ: إحراق الشيء بالنار كالوَرَقِ الفتين أي المحترق، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]، أي يُحَرَّقُونَ، وكان أصحابُ النبي ﷺ يُفْتَنُونَ بدينهم، أي يُعَذَّبُونَ ليرُدُّوا عن دينهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، والْفِتْنَةُ: العذاب. والفِتْنَةُ: أن يَفْتِنَ الله قوماً أي يَبْتَلِيَهُمْ. والفِتْنُ: ما يَقَعُ بين الناس من الحرب، ويقال في أمر العِشْقِ: فُتِنَ بها وافتتنَ بها أي عَشِقَهَا» (٩٥١).

التفسير:

تحدث الآيات عن صنف من المؤمنين كانوا مستضعفين بمكة، مهانين في قومهم المشركين، فوافقوهم على النطق بالكفر ظاهراً، ثم أمكنهم الخلاص بالهجرة، فانظموا في سلك المؤمنين، وجاهدوا المشركين بأيديهم بالسيف وبألسنتهم بالبراءة منهم، ومما يعبدون من دون الله، وصبروا على جهادهم، فأخبر الله تعالى أنه تعالى من بعد فعلتهم هذه لذو ستر على ما كان منهم من إعطاء المشركين ما أرادوا منهم من كلمة الكفر بألسنتهم، وهم لغيرها مضمرون، وللإيمان معتقدون، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها مع توبتهم وإنابتهم إلى الله تبارك وتعالى (٩٥٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

(٩٥٠) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٥، البدور الزاهرة ص ١٨٣.

(٩٥١) العين ج ٨ ص ١٢٧، ١٢٨، وانظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٧١، لسان العرب ج ٥ ص ٣٣٤٤.

(٩٥٢) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٨٣، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٦، التفسير الواضح ج ١٤ ص ٧١، التفسير المنير ج ١٤ ص ٢٤٤.

القراءة ﴿فَتَنُّوْا﴾ بفتح الفاء والتاء، على معنى: من بعد ما فتنوا غيرهم، أي: عذبوا غيرهم ليرتدوا عن الإسلام، ثم أسلموا هم أنفسهم وهاجروا، فالله ﷻ غفور لهم، ويجوز أن يكون المعنى: فتنوا أنفسهم بإظهار ما أظهروا من الكفر. والقراءة ﴿فُتِنُوْا﴾ بضم الفاء وكسر التاء، على البناء للمفعول، أي: عذبوا في الله ﷻ وحملوا على الارتداد عن دينهم وقلوبهم مطمئنة بالإيمان، فالله ﷻ غفور لهم لما حملوا عليه وأكروهوا من الارتداد^(٩٥٣). فكل قراءة من القراءتين قد سدت مسد آية. والله تعالى أعلم.

٢٩ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلَ لِنَعْرِ اللَّهَ يَدُ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٥].

القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر ﴿المَيْتَةَ﴾ بتشديد الياء مكسورة.

٢ - قرأ الباقر ﴿الْمَيْتَةَ﴾ بتخفيف الياء ساكنة^(٩٥٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال الفيروزآبادي: «مَاتَ يَمُوتُ فهو مَيِّتٌ وَمَيِّتٌ ضِدُّ حَيٍّ. ومَاتَ سَكَنَ، ونَامَ، وَبَلِيَ، أو المَيِّتُ، مُحَقَّقَةٌ الذي مَاتَ، والمَيِّتُ والمَائِتُ الذي لم يَمُتْ بعدُ، والجمع أَمْوَاتٌ ومَوْتَى ومَيِّتُونَ ومَيِّتُونَ، وهي مَيِّتَةٌ ومَيِّتَةٌ ومَيِّتٌ. والمَيِّتَةُ ما لم تَلَحِقْهُ الذِّكَاةُ، وبالكسر للثَّوْع. وما أَمْوَتَهُ، أي ما أَمْوَتَ قَلْبَهُ، لِأَنَّ كُلَّ فَعْلٍ لَا يَنْزِيذُ، لَا يُتَعَجَّبُ مِنْهُ. والمَوَاتُ: المَوْتُ. والمَوَاتُ: ما لا رُوحَ فيه، وأَرْضٌ لَا مَالِكَ لَهَا. والمَوَاتَانُ، بالتحريك خِلَافُ الْحَيَوَانِ، أو أَرْضٌ لَمْ تُحْيَ بعدُ، وبالضم مَوْتُ يَقَعُ فِي الماشية، وَيُفْتَحُ. وأمَاتَتْ

(٩٥٣) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٢١٣، الكشف ج ٢ ص ٤١، الملخص في إعراب القرآن ص ١٥٢.

(٩٥٤) انظر: النشر ج ٢ ص ٢٢٤، البدور الزاهرة ص ١٨٣.

المرأة والناقة مات ولدها» (٩٥٥).

التفسير:

يقول تعالى: إنما حرم الله تعالى عليكم أيها الناس الميتة وهي كل ما كان موته على غير ذكاة مشروعة ويستثنى منه السمك والجراد، والدم المسفوح، ولحم الخنزير لقذارته وخبثه، وما دُبِح للأصنام والقبور ونحوها، فمن دعت الضرورة وألجأته إلى تناول شيء من هذه المحرمات لجوع غلب على ظنه الهلاك منه، غير باغ على غيره، ولا متجاوز قدر الضرورة، وهو ما يسد الرمق، فإن الله ﷻ غفورٌ رحيمٌ لا يؤاخذة على ذلك (٩٥٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان على لغتين معروفتين من لغات العرب، والتشديد مع الكسر هو الأصل، والتخفيف مع الإسكان فرع منه لاستثقال الكسر والتشديد على الياء (٩٥٧). قال ابن خالويه: «الحجة لمن شدد: أن الأصل فيه عن الفراء: (مَوت)، وعن سيويه: (ميوت)، فلما اجتمعت الواو والياء، والسابق منهما ساكن قُلبت الواو ياءً، وأدغمت في الياء فالتشديد لأجل ذلك. والحجة لمن خفف: أنه كره الجمع بين ياءين، والتشديد ثقیل فخفف باختزال إحدى الياءين، إذ كان اختزالها لا يخل بلفظ الاسم، ولا يحيل معناه» (٩٥٨).

وقد اتفق القراء على التشديد في ما لم يمت، واختلفوا فيما عداه، قال الشاطبي:

(٩٥٥) القاموس المحيط ص ٢٠٦ - بتصرف يسير.

(٩٥٦) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٨٨، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٧، تفسير السعدي ص ٤٨٠، التفسير المنير ج ١٤ ص ٢٥٦.

(٩٥٧) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ١٠٧، حجة القراءات ص ١٥٩، الكشف ج ١ ص ٢٣٩.

(٩٥٨) الحجة في القراءات السبع ص ١٠٧، وانظر: الكشف ج ١ ص ٢٣٩.

وما لم يمت لكل جاء مثقلاً^(٩٥٩)

قال مكي: «وعلى ذلك أجمعوا على التشديد فيما لم يمت، للجمع بين اللغتين، والتخفيف فيما مات وما لم يمت جائز، وكذلك التخفيف والتشديد في ﴿بَلَدَةٌ مَيِّتًا﴾ يجوز»^(٩٦٠).

مما سبق يتبين أنّ القراءتين جاءتا على لغتين من لغات العرب، وقد ناسبت قراءة ﴿الْمَيِّتَةِ﴾ بالتشديد وما به من ثقل ما يجتمع في الميِّتة من شُرور كثيرة ومضار جسيمة، أمّا قراءة ﴿الْمَيِّتَةِ﴾ بالتخفيف فإنها توحى بحقارة الميِّتة وانعدام فائدتها، وكأنّ الحق تبارك وتعالى قد أخبر أنه حرم الميِّتة لحقارتها ورداءتها وعدم فائدتها، وما يسببه أكلها من مضار جسيمة. والله تعالى أعلم.

٣٠ - ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير ﴿ضَيْقٍ﴾ بكسر الضاد.

٢ - قرأ الباقون ﴿ضَيْقٍ﴾ بفتح الضاد^(٩٦١).

المعنى اللغوي للقراءات:

«ضيق»: الضيق ضد السعة، ويقال الضيق أيضاً: والضَيْقَةُ يُستعمل في الفقر والبخل والغم ونحو ذلك، قال: ﴿وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [هود: ٧٧] أي: عجز عنهم، وقال: ﴿وَصَاقِيَّ بِهِ صَدْرُكَ﴾ [هود: ١٢]، ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ [الشعراء: ١٣]، ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧] كل ذلك

(٩٥٩) متن الشاطبية ص ٤٤.

(٩٦٠) الكشف ج ١ ص ٢٣٩، ٢٤٠، وانظر: من قضايا اللغة والنحو في كتاب النشر ص ٢١، التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة عاصم ص ٨٤.

(٩٦١) انظر: النشر ج ٢ ص ٣٠٥، البدور الزاهرة ص ١٨٣.

عبارة عن الحزن وقوله: ﴿وَلَا تُضَاوِرُنَّ لِمُضِيقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ ينطوي على تضيق النفقة وتضيق الصدر، ويقال في الفقر ضاق وأضاق فهو مُضِيق واستعمال ذلك فيه كاستعمال الوُسع في ضده^(٩٦٢).

التفسير:

يقول الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ: واصبر يا محمد - ﷺ - على ما أصابك من أذى في الله، وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله ﷻ، وتوفيقه إياك لذلك، ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذبونك وينكرون ما جئتهم به من الحق ويعرضون عن النصيحة، وَلَا تَكُ فِي غَمٍ مِمَّا يَجْهَدُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي عداوتك وإيصال الشر إليك، فإن الله كافيك وناصرك، ومؤيدك، ومظفرك بهم^(٩٦٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف في توجيه القراءتين فقليل: هما لغتان بمعنى واحد^(٩٦٤). وقيل بل هناك فرق بينهما، «وفي الفرق بينهما قولان: أحدهما: أنه بالفتح ما قلّ، وبالكسر ما كثر.

الثاني: أنه بالفتح ما كان في الصدر، وبالكسر ما كان في الموضع الذي يتسع ويضيق^(٩٦٥).

قال الفراء: «الضيق - بالفتح - ما ضاق عنه صدرك، والضيق - بالكسر - ما يكون في الذي يتسع؛ مثل الدار والثوب وأشباه ذلك، وإذا رأيت الضيق وقع في موقع الضيق كان على وجهين: أحدهما أن يكون جمعاً

(٩٦٢) المفردات في غريب القرآن ص ٣٠٠ - باختصار.

(٩٦٣) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٩٧، ١٨٠، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٢، التفسير المنير ج ١٤ ص ٢٧٢.

(٩٦٤) انظر: الملخص في إعراب القرآن ص ١٥٦.

(٩٦٥) تفسير الماوردي ج ٣ ص ٢٢٢، وانظر: الفروق في اللغة ص ٣٠٨، الحجة في القراءات السبع ص ٢١٢.

واحدته ضَيْقَةً، والوجه الآخر أن يراد به شيء ضَيِّق، فيكون مخففاً، وأصله التشديد مثل هَيْنَ لَيْنَ تريد هَيْنَ لَيْنَ^(٩٦٦).

قلت: مفاد القراءتين نفي الضيق بشتى صوره، فتنوع القراءة بين الفتح وما به من خفة، والكسر وما به من ثقل، أفاد النهي عن حصول الضيق قلّ أو كثر. وهذا الاستنتاج يوافق القول الأول في الفرق بين الكلمتين. كما أن الله ﷻ نهى حبيبه المصطفى ﷺ أن يضيق صدره أو يضيق عيشه من هؤلاء الكفار. والله تعالى أعلم.

(٩٦٦) معاني القرآن للقراء ج ٢ ص ١١٥، وانظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٩٨.

الفهارس

* فهرس المصادر والمراجع.

* فهرس الموضوعات.

فهرس المراجع

١. القرآن الكريم.
١. الإبانة عن معاني القراءات - أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) - تحقيق: محيي الدين رمضان - دار المأمون للتراث - دمشق - ط ١ - ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
٢. إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع للإمام الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) - عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي (ت ٦٦٥هـ) - تحقيق وتقديم وضبط: إبراهيم عطية عوض - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر - الطبعة الجديدة - ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
٣. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر - أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إتحاف فضل الغني الدمياطي الشهير بالبناء (ت ١١١٧هـ) - رواه وصححه وعلق عليه علي محمد الضباع - ملتزم الطبع والنشر عبدالحميد أحمد حنفي - مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني.
٤. اتفاق المباني وافتراق المعاني - سليمان بن بنين الدقيقي النحوي (ت ٦١٤هـ) تحقيق: يحيى عبدالرؤوف جبر - دار عمار للنشر والتوزيع - عمان - ط ١ - ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
٥. إتقان البرهان في علوم القرآن - الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس - دار الفرقان - عمان - الأردن - ط ١ - ١٩٩٧م.
٦. الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - ط ٤ - ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
٧. آثار البلاد وأخبار العباد - زكرياء بن محمد بن محمود القزويني - دار صادر - بيروت - (بدون رقم طبعة).

٨. أحكام قراءة القرآن الكريم - شيخ المقارئ المصرية: محمود خليل الحصري (ت ١٤٠١هـ) - ضبط نصه: محمد طلحة بلال منيار - المكتبة المكية - مكة المكرمة - السعودية - ط ١ - ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
٩. اختلاف أبنية الأسماء والأفعال في القراءات المنقولة في تفسير أبي حيان البحر المحيط - محمد أحمد خاطر - مطبعة الأمانة - مصر - القاهرة - (بدون رقم طبعة) - ١٩٩٠م.
١٠. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ) - دار الفكر - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
١١. إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر - أبو العز محمد بن الحسين بن بُندار الواسطي القلانسي (ت ٥٢١) - تحقيق ودراسة: عمر حمدان الكبيسي - المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة - ط ١ - ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
١٢. أساس البلاغة - جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - دار صادر - بيروت - ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
١٣. الأساس في التفسير - سعيد حوى - دار السلام - القاهرة - ط ١ - ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
١٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب - أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبرّ القرطبي (ت ٤٦٣هـ) - تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
١٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة - عز الدين بن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري - دار الفكر - بيروت - لبنان - طبعة مجددة - ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
١٦. الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية - جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (٩١١هـ) - تحقيق: خالد عبدالفتاح شبل أبو سليمان - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط ٣، (بدون سنة نشر).
١٧. أحكام القرآن - أبو بكر أحمد الرازي الجصاص (ت ٣٧٠هـ) - دار الفكر - (لا يوجد بيانات أخرى).
١٨. أسباب النزول - أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ) - دار الفكر - (لا يوجد بيانات أخرى).
١٩. الإصابة في تمييز الصحابة - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) - تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرين - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ٢ - ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٢٠. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي - مكتبة ابن تيمية - القاهرة - (بدون رقم طبعة) - ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
٢١. الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - ط ٨ - ١٩٨٩م.
٢٢. إعراب القرآن - أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨)، تحقيق: زهير غازي زاهد - عالم الكتب - ط ٢ - ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٢٣. إعراب القرآن وبيانه - محيي الدين الدرويش - دار الإرشاد - حمص - سورية - ط ٤ - ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
٢٤. الإفصاح في فقه اللغة - حسين يوسف موسى وعبدفتاح الصعيدي - دار الفكر العربي - (بدون رقم طبعة، أو سنة نشر).
٢٥. الإقناع في القراءات السبع - أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري (ت ٥٤٠هـ) - تحقيق: أحمد فريد المزيدي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
٢٦. الإكسير في علم التفسير - سليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم الصرصري البغدادي (ت ٧١٦هـ) - تحقيق: عبدالقادر حسين - دار الأوزاعي للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - (بدون رقم طبعة) - ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
٢٧. الأمثال في القرآن - الشريف منصور بن عون العبدلي - عالم المعرفة - جدة - ط ١ - ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.
٢٨. إملأ ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن - أبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري (ت ٦١٦هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
٢٩. الإنصاف في مسائل الخلاف - كمال الدين أبي البركات عبدالرحمن ابن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي (ت ٥٧٧هـ) - المكتبة العصرية - بيروت - ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٣٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل - القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاءوي (ت ٧٩١هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
٣١. أيسر التفاسير لكلام علي الكبير - أبو بكر جابر الجزائري - المكتبة العصرية - بيروت - ط ٢ - ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٣٢. بحر العلوم - أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) - تحقيق: علي محمد معوض وآخرين - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
٣٣. البحر المحيط - محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) - تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرين - منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
٣٤. البداية والنهاية - أبو الفداء الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) - دار الفكر - بيروت - لبنان - طبعة جديدة منقحة - ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
٣٥. البدر الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة - عبدالفتاح القاضي - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
٣٦. البسط في القراءات العشر - سمر العشا - مكتبة دار البشائر - دمشق - ط ١ - ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.
٣٧. بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل للإمام الشاطبي - عبدالفتاح القاضي - المكتبة المحمودية التجارية - مصر - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٣٨. البرهان في علوم القرآن - بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة - بيروت - ط ٢ - (بدون سنة نشر).
٣٩. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) - تحقيق: محمد علي النجار - المكتبة العلمية - بيروت - لبنان - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٤٠. البلاغة العربية في ثوبها الجديد (الجزء الثاني - علم البيان) - بكري شيخ أمين - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - ط ٥ - ١٩٩٥م.
٤١. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني - فاضل صالح السامرائي - عمان - ط ١ - ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٤٢. البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث - أبو البركات بن الأنباري - تحقيق: رمضان عبدالنواب - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط ٢ - ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
٤٣. التأنيث في اللغة العربية - إبراهيم إبراهيم بركات - المكتبة العلمية بالمنصورة - ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
٤٤. تاج العروس من جواهر القاموس - محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٣٠٦هـ.

٤٥. التاريخ الكبير - أبو عبدالله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (ت ٢٥٦هـ) - مؤسسة الكتب الثقافية (بدون رقم طبعة).
٤٦. التبيان في تفسير غريب القرآن - شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري (ت ٨١٥هـ) - تحقيق: فتحي أنور الدابولي - دار الصحابة للتراث بطنطا - القاهرة - ط ١ - ١٩٩٢م.
٤٧. تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة - محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري (ت ٨٣٣هـ) - تحقيق: عبدالفتاح القاضي، محمد الصادق قمحاي - دار الوعي - حلب - سورية - ط ١ - ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.
٤٨. التحبير في علم التفسير - جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) - دار الفكر - بيروت - ط ١ - ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
٤٩. التحرير والتنوير - محمد الطاهر ابن عاشور - دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٥٠. تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب - أثير الدين أبو حيان الأندلسي - تحقيق: سمير المجذوب - المكتب الإسلامي - بيروت - ط ١ - ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
٥١. التذكرة في القراءات الثمان - أبو الحسن طاهر بن عبدالمنعم بن غُلَيُّون المقرئ الحلبي (ت ٣٩٩هـ) - تحقيق: أيمن رشدي سويد - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٥٢. الترادف في صيغ الأفعال بين الصرفيين والمعاجم - إبراهيم الدسوقي - مكتبة الأنجلو المصرية - ٢٠٠١م.
٥٣. التسهيل لعلوم التنزيل - محمد بن أحمد بن جَزِي الكلبلي (٧٤١هـ) - دار الكتاب العربي - بيروت - ط ٢ - ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.
٥٤. التعبير القرآني - فاضل السامرائي - دار عمار - عمان - ط ١ - ١٩٩٨م.
٥٥. تفسير الجلالين - جمال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجمال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي - مكتبة مصر - الفجالة - القاهرة - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٥٦. تفسير غريب القرآن - أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) - تحقيق: أحمد صقر - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - (بدون رقم طبعة) - ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٥٧. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب - محمد الزاري فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري - دار الفكر - لبنان - بيروت - ط ١ - ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
٥٨. تفسير القرآن - الإمام عبدالرازق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق: مصطفى مسلم محمد - مكتبة الراشد - الرياض - ط ١٠١٤هـ، ١٩٨٩م.
٥٩. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار - محمد رشيد رضا - دار المعرفة - بيروت - لبنان.
٦٠. التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن - عبدالعزيز إبراهيم المطعني - مكتبة وهبة - القاهرة - ط ١ - ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٦١. تفسير القرآن العظيم - الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي - تحقيق: حامد أحمد الطاهر - دار الفجر للتراث - القاهرة - ط ١ - ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
٦٢. التفسير المنير في العقيدة والشرعية المنهج - وهبة الزحيلي - دار الفكر - دمشق - سورية - ط ١ - ١٩٩١م - إعادة ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
٦٣. التفسير الواضح - محمد محمود حجازي - دار الجيل - بيروت - ط ٤ - ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.
٦٤. تقريب التهذيب - الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) - تحقيق: محمد عوامة - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٦٥. التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام - محمد بن علي الخضر أبو عبدالله المعروف بابن عسكر (ت ٦٣٦هـ) - تحقيق: حسن إسماعيل مروة - دار الفكر - دمشق - ط ١ - ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
٦٦. تناسق الدرر في تناسب السور - جلال الدين عبدالرحمن السيوطي - دراسة وتحقيق: عبدالقادر أحمد عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
٦٧. تهذيب اللغة - أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠هـ) - تحقيق: عبدالسلام هارون - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٦٨. التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم - صبري المتولي المتولي - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - (بدون رقم طبعة) - ١٩٩٨م.

٦٩. التيسير في القراءات السبع - أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) - تحقيق: أوتو يرتزل - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
٧٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبدالرحمن بن ناصر السعدي - دار المغني - الرياض - ط ١ - ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
٧١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) دار الفكر - بيروت - ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
٧٢. الجامع لأحكام القرآن - أبو عبدالله محمد الأنصاري القرطبي - تصحيح: أحمد عبدالعليم البرديني - ط ٢ - ١٣٧٢هـ، ١٩٥٢م.
٧٣. الجرح والتعديل - أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي (ت ٣٢٧هـ) - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد الدكن - الهند - ط ١ - ١٣٧٢هـ، ١٩٥٢م.
٧٤. جمال القراء وكمال الإقراء - علم الدين السخاوي علي بن محمد (ت ٦٤٣هـ) - تحقيق: علي حسين البواب - مكتبة التراث - مكة المكرمة - ط ١ - ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.
٧٥. جمهرة اللغة - أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - (بدون رقم طبعة) - ١٣٤٥هـ.
٧٦. الجواهر الحسان في تفسير القرآن - عبدالرحمن الثعالبي - تحقيق: أبي محمد الغماري الإدريسي الحسني - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
٧٧. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (المسماة عناية القاضي وكفاية الرازي) - شهاب الدين أحمد بن محمد ابن عمر الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ) - تحقيق: عبدالرزاق المهدي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
٧٨. حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي - محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي (ت ٩٥١هـ) - تحقيق: محمد عبدالقادر شاهين - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
٧٩. الحجة في القراءات السبع - ابن خالويه - تحقيق عبدالعال سالم مكرم - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٦ - ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٨٠. حجة القراءات - أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة - تحقيق: سعيد الأفغاني - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٥ - ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
٨١. الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد - أبو علي الحسن بن عبدالغفار الفارسي (ت ٣٧٧هـ) - تحقيق: علي القهوجي ويشير جويجاني - دار المأمون للتراث - دمشق - ط ١ - ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
٨٢. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - عبدالقادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) - المطبعة الميرية - بولاق - ط ١ - (بدون سنة نشر).
٨٣. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية - عبدالعظيم إبراهيم محمد المطعني - مكتبة وهبة - القاهرة - ط ١ - ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
٨٤. دراسات لأسلوب القرآن الكريم - محمد عبدالخالق عزيمة - دار الحديث - مصر - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٨٥. دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر (٣) في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي، والنفي اللغوي، وأسلوب الاستفهام - خليل أحمد عمارة - مكتبة المنار - الأردن - الزرقاء - ط ١ - ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٨٦. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) - دار الجيل - بيروت - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٨٧. الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون - شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمد ابن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي - تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض وآخرين - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
٨٨. الدرر المثنور في التفسير بالمأثور - عبدالرحمن بن الكمال جمال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٩٩٣هـ، ١٤١٤م.
٨٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧هـ) - دار الفكر - بيروت - طبعة جديدة ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
٩٠. الريح والرياح في القرآن الكريم وفي كلام العرب - علي محمد حسن العماري - مجلة الأزهر - شوال ١٤١٧هـ.

٩١. زاد المسير في علم التفسير - أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧هـ) - تحقيق: محمد عبدالرحمن عبدالله - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط ١ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٩٢. زهرة التفاسير - الإمام محمد أبو زهرة (ت ١٣٩٤هـ، ١٩٨٤م) - دار الفكر العربي - القاهرة - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٩٣. السبعة في القراءات - أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي - تحقيق: شوقي ضيف - دار المعارف - القاهرة - ط ٢.
٩٤. سفر السعادة وسفير الإفادة - علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٢هـ) - تحقيق محمد أحمد الدالي - دار صادر - بيروت - ط ٢ - ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
٩٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - طبعة جديدة منقحة - ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
٩٦. سنن أبي داود - أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) - تحقيق صدقي جميل البيطار - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط ٣ - ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٩٧. سنن الترمذي وهو الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل - أبو عيسى بن محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ) - تحقيق: صدقي محمد العطار - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
٩٨. سنن الترمذي وهو الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل - أبو عيسى بن محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ) - حكم على أحاديثه وعلق عليه: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - ط ١ - (لا يوجد سنة نشر).
٩٩. سنن النسائي - أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي (ت ٣٠٣هـ) - حكم على أحاديثه وعلق عليه: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - ط ١ - (لا يوجد سنة نشر).
١٠٠. سورة يوسف دراسة تحليلية - أحمد نوفل - دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - ط ٢ - ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
١٠١. سير أعلام النبلاء - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) - مؤسسة الرسالة - تحقيق كامل الخراط - ط ٦ - ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

تمهيد القرآن بالعقائد القرآنية العشر

١٠٢. شذا العرف في فن الصرف - أحمد الحملاوي - دار الفكر - ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
١٠٣. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله ابن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت ٧٦٩هـ) - دار الخير - دمشق - ط ١ - ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
١٠٤. شرح طيبة النشر في القراءات العشر - شهاب الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي (ت ٨٣٥هـ) - ضبطه وعلق عليه: أنس مهرة - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٨هـ.
١٠٥. شرح طيبة النشر في القراءات العشر - أبو القاسم النويري - تحقيق وتعليق: عبدالفتاح السيد سليمان أبو سئة - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
١٠٦. شرح مشكل الآثار - أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت ٣٢١هـ) - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١ - ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
١٠٧. شعب الإيمان - الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) - تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
١٠٨. الصاحبي - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) - تحقيق أحمد صقر - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
١٠٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - إسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق أحمد عبدالغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت - ط ٢ - ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
١١٠. صحيح ابن خزيمة - أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة السلمى النيسابوري (ت ٣١١هـ) - تحقيق محمد مصطفى الأعظمي - المكتب الإسلامي - ط ١ - ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.
١١١. صحيح البخاري - أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) - اعتنى به أبو صهيب الكرمي - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
١١٢. صحيح مسلم وهو المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ - أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) - اعتنى به: صدقي جميل العطار - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤٢٤، ٢٠٠٣م.

١١٣. الصحيح المسند من أسباب النزول - أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - ط ٢ - ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
١١٤. صفوة التفاسير - محمد علي الصابوني - دار القرآن الكريم - بيروت - ط ٤ - ١٤٠٢هـ، ١٩٨١م.
١١٥. الطبقات الكبرى - محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد (٢٣٠هـ) - تحقيق: محمد عبدالقادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
١١٦. طبقات المفسرين - شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي (ت ٩٤٥هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
١١٧. طلائع البشر في توجيه القراءات العشر - محمد الصادق قمحاوي - مطبعة النصر - مصر - ط ١ - (بدون سنة نشر).
١١٨. العباب الزاخر واللباب الفاخر - الحسن بن محمد بن الحسن الصنعاني (ت ٦٥٠هـ) - تحقيق: محمد حسن آل ياسين - مطبعة دار المعارف - ط ١ - ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.
١١٩. علم القراءات، نشأته، أطواره - أثره في العلوم الشرعية - نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل - تقديم: عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ - مكتبة التوبة - الرياض - المملكة العربية السعودية - ط ١ - ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
١٢٠. عون المعبود شرح سنن أبي داود - محمد شمس الحق العظيم آبادي - تحقيق: صدقي محمد جميل العطار - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
١٢١. العين - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) - تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي - ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
١٢٢. غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار - أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن الهمداني العطار (ت ٥٦٩هـ) - تحقيق: أشرف محمد فؤاد طلعت - الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم - جدة - ط ١ - ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
١٢٣. الغاية في القراءات العشر - أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري (ت ٣٨١هـ) - تحقيق: محمد غياث الجنباز - ط ١ - ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
١٢٤. غاية المريد في علم التجويد - عطية قابل نصر - دار الحرمين للطباعة - القاهرة - ط ٤ - ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

تفسير القرآن بالفراغات القرآنية العشر

١٢٥. غاية النهاية في طبقات القراء - شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ) - عني بنشره: ج. برجستراسر G. BERGSTRAESSER - مكتبة المتنبي - القاهرة.
١٢٦. غرر التبيان في من لم يُسم في القرآن - بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكنانى الحموي الشافعي (ت ٧٣٣هـ) - تحقيق عبدالجواد خلف - دار قتيبة - دمشق - ط ١ - ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
١٢٧. غريب القرآن وتفسيره - أبو عبدالرحمن عبدالله بن يحيى بن المبارك العدوي البغدادي المعروف بابن اليزيدي (ت ٢٣٧هـ) - تحقيق: عبدالرزاق حسين - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١ - ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
١٢٨. فتح الباري بشرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) - رقم كتبه، وأبوابه، وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي - قام بإخراجه: محب الدين الخطيب - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
١٢٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
١٣٠. الفروق في اللغة - أبو هلال العسكري (ت ٣٨٢هـ) - تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة - دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط ٥ - ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
١٣١. الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم - محمد بن عبدالرحمن بن صالح الشايع - مكتبة العبيكان - الرياض - ط ١ - ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
١٣٢. الفريد في إعراب القرآن المجيد - المنتجب حسين بن أبي العز الهمذاني (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: فهمي حسن العمر وفؤاد علي مخيمر - دار الثقافة - الدوحة - قطر - ط ١ - ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
١٣٣. فنون الأفنان في عيون علوم القرآن - أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ت ٥٩٧هـ - تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
١٣٤. الفهرست - النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق المعروف بالوزّاق - تحقيق: رضا تجدد بن علي بن زين العابدين الحائري المازندي - دار المسيرة - ط ٣ - ١٩٨٨م.

١٣٥. في ظلال القرآن - سيد قطب - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ط ٧ - ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.
١٣٦. القاموس المحيط - العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) - تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٢ - ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
١٣٧. القراءات أحكامها ومصادرها - شعبان محمد إسماعيل - دار الأصفهاني للطباعة - جدة - (بدون رقم طبعة) - ١٤٠٢هـ.
١٣٨. القراءات وأثرها في علوم العربية - محمد سالم محيسن - دار الجيل - ط ١ - ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
١٣٩. القراءات العشر المتواترة في هامش القرآن الكريم - إعداد محمد كريم راجح (شيخ القراء في الديار الشامية) - فكرة علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه - دار المهاجر - المدينة المنورة - تريم - حضرموت - ط ٣ - ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
١٤٠. القراءات القرآنية، تاريخ وتعريف - د. عبدالهادي الفضلي - دار القلم - بيروت - لبنان - ط ٣ - ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
١٤١. القراءات القرآنية تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها - عبدالحليم بن محمد الهادي قابة - إشراف ومراجعة وتقديم مصطفى سعيد الخن - دار الغرب الإسلامي - ط ١ - ١٩٩٩م.
١٤٢. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث - عبدالصبور شاهين - مكتبة الخانجي - القاهرة - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
١٤٣. القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية - د. فضل حسن عباس - مجلة دراسات - المجلد الرابع عشر - العدد السابع - ١٩٨٧م.
١٤٤. القراءات القرآنية وموقف النحو والاستشراق منها - راضي نواصره - مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع - إربد - الأردن - ٢٠٠٣م.
١٤٥. القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية - محمد الحبش - دار الفكر - دمشق - سورية - ط ١ - ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
١٤٦. القراءات وأثرها في التفسير والأحكام - رسالة دكتوراة - إعداد محمد بن عمر بن سالم بازمول - إشراف عبدالستار فتح الله سعيد - دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض - ط ١ - ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
١٤٧. قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية - رسالة دكتوراة - إعداد: عبدالهادي الفضلي - إشراف دكتور أمين علي السيد - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر

١٤٨. القطع والانتناف أو الوقف والابتداء - أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ) - تحقيق: أحمد فريد المزيدي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
١٤٩. قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر - قاسم أحمد الدجوي ومحمد الصادق قمحاوي - مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده - ط ٣ - (بدون سنة نشر).
١٥٠. القواعد والإشارات في أصول القراءات - القاضي أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا الحموي (ت ٧٩١هـ) - تحقيق: عبد الكريم بن محمد الحسن بكار - دار القلم - دمشق - ط ١ - ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
١٥١. القواعد والفوائد في الإعراب - جمال الإسلام أبو الحسن محمد بن محمد الخاوراني الشوكاني - تحقيق: عبدالله بن حمد الخثران - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية - مصر - ط ١ - ١٩٩٣م.
١٥٢. الكتاب - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٠هـ) - تحقيق: عبدالسلام محمد هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط ٣ - ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
١٥٣. الكافي في القراءات السبع - أبو عبدالله محمد بن شريح (ت ٤٧٦هـ) - تحقيق: جمال الدين محمد شرف - دار الصحابة للتراث - طنطا - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
١٥٤. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - (ت ٥٣٨هـ) - تحقيق: محمد الصادق قمحاوي - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - الطبعة الأخيرة - ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.
١٥٥. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها - أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) - تحقيق: محيي الدين رمضان - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.
١٥٦. الكنز في القراءات العشر - نجم الدين الواسطي (ت ٧٤٠هـ) - دراسة وتحقيق عبدالرحمن يوسف أحمد الجمل - رسالة دكتوراة - جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
١٥٧. اللامات دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات القرآنية - عبدالهادي الفضلي - دار القلم - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٩٨٠م.
١٥٨. لباب التأويل في معاني التنزيل - علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادى الشهير بالخازن (ت ٧٢٥هـ) - شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر - ط ٢ - ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م.

١٥٩. اللباب في علل البناء والإعراب - أبو البقاء عبدالله بن الحسين العُكبري (ت٦١٦هـ) - تحقيق غازي مختار طليمات - دار الفكر - دمشق - ط ١ - ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
١٦٠. لسان العرب - محمد بن عبيد الله ابن منظور (ت٧٥٠هـ) - تحقيق: عبدالله علي الكبير، وآخرين - دار المعارف - طبعة جديدة - (بدون سنة نشر).
١٦١. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - فاضل صالح السامرائي - دار عمان للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - ط ١ - ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
١٦٢. اللُمع في العربية - أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) - تحقيق: حسين محمد محمد شرف - ط ١ - ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
١٦٣. اللهجات العربية في القراءات القرآنية - عبده الرجحي - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية - ١٩٩٧م.
١٦٤. ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي - عبدالقادر الهيتي - منشورات جامعة قاريونس - بنغازي - ط ١ - ١٩٩٦م.
١٦٥. المبسوط في القراءات العشر - أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (ت٣٨١هـ) - تحقيق: سبيع حمزة حاكمي - مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
١٦٦. متن الشاطبية المسمى حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع - القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعيني الأندلسي (ت٥٩٠هـ) - ضبطه وصححه وراجعته: محمد تميم الزعبي - مكتبة دار الهدى للنشر والتوزيع - المدينة المنورة - ط ٣ - ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
١٦٧. مجمع البيان في تفسير القرآن - أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
١٦٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
١٦٩. مجمل اللغة - أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي (ت٣٩٥هـ) - دراسة وتحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان - مؤسسة الرسالة - ط ١ - ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
١٧٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي وساعده ابنه محمد - إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين - المملكة العربية السعودية - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

تفسير القرآن بالفراغات القرآنية العشر

١٧١. محاسن التأويل - جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) - وقف على طبعه وتصحيحه: محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر - بيروت - ط ٢ - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
١٧٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأنديلسي (ت ٥٤٦هـ) - تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
١٧٣. المحيط في اللغة - صاحب إسماعيل بن عبّاد (ت ٣٨٥هـ) - تحقيق: محمد حسن آل ياسين - عالم الكتب - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
١٧٤. مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ت ٧٢١هـ) - تحقيق: محمود خاطر - دار الفكر - بيروت - لبنان - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
١٧٥. مختصر في مذاهب القراء السبعة بالأمصار - أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) - تحقيق أحمد محمود عبدالسميع الشافعي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
١٧٦. مدارك التنزيل وحقائق التأويل - أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي - تحقيق: سيد زكريا - مكتبة نزار مصطفى الباز - ط ١ - ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
١٧٧. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز - شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ) - تحقيق: طيار آتي قولاج - دار صادر - بيروت - (بدون رقم طبعة) - ١٣٩٥هـ.
١٧٨. المزهر في علوم اللغة وأنواعها - عبدالرحمن جلال الدين السيوطي - تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين - دار الفكر - (لا يوجد رقم طبعة أو سنة نشر).
١٧٩. المسائل العسكرية في النحو العربي - أبو علي النحوي (ت ٢٧٧هـ) - تحقيق: علي جابر المنصوري - الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - ط ١ - ٢٠٠٢م.
١٨٠. المستدرك على الصحيحين - الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري - دراسة وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
١٨١. المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية - حامد صادق قنبي - مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن - ط ١ - ١٩٨٤م.

١٨٢. مشكل إعراب القرآن - مكّي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) - تحقيق: حاتم صالح الضامن - مؤسسة الرسالة - بيروت - (بدون رقم طبعة) - ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
١٨٣. مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرّة - جمال الدين محمد شرف - دار الصحابة للتراث - طنطا - ط ١ - ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
١٨٤. معالم التنزيل في التفسير والتأويل - أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٠هـ) - دار الفكر - لبنان - بيروت - ط ١ - ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
١٨٥. معاني القراءات - الإمام أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرّي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد فريد المزيدي - قدم له: د. فتحي عبدالرحمن حجازي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
١٨٦. معاني القرآن - أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) - عالم الكتب - بيروت - ط ٣ - ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
١٨٧. معاني القرآن - الأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي - تحقيق عبدالأمير محمد أمين الورد - عالم الكتب - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
١٨٨. معاني القرآن - علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ) - أعاد بناءه وقدم له: عيسى شحاتة عيسى - دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - (بدون رقم طبعة) - ١٩٩٨م.
١٨٩. معاني القرآن وإعرابه - الزجاج أبو إسحق إبراهيم السّري (ت ٣١١هـ) - شرح وتحقيق: عبدالجليل عبده شلبي - دار الوليد - جدة - ط ١ - ١٤١٤ - ١٩٩٤م.
١٩٠. معجم البلدان - شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ) - تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
١٩١. معجم حروف المعاني في القرآن الكريم مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات - محمد حسن الشريف - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١ - ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
١٩٢. المعجم الكبير - الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) - تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي - مكتبة ابن تيمية - القاهرة - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
١٩٣. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر - عادل نويهض - مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر - ط ١ - ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر

١٩٤. معجم مقاييس اللغة - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) - تحقيق: عبدالسلام محمد هارون - دار الفكر - بيروت - (بدون رقم طبعة) - ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
١٩٥. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار - شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) - تحقيق بشار عواد معروف وآخرون - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١ - ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
١٩٦. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة - د. سالم محمد سالم محيسن - دار الجيل - بيروت - لبنان - ط ٢ - ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
١٩٧. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري المصري (ت ٧٦١هـ) - تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
١٩٨. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة - أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية - نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
١٩٩. مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني - أبي علاء الكرماني (ت ٥٦٣هـ) - دراسة وتحقيق عبدالكريم مصطفى مدلج - دار ابن حزم - بيروت - ط ١ - ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
٢٠٠. المفردات في غريب القرآن - أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢ هـ) - تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني - دار المعرفة - بيروت - لبنان (بدون رقم طبعة).
٢٠١. المَفْصَل في شرح المَفْصَل - علم الدين علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣هـ) - تحقيق: يوسف الحشكي - إصدار وزارة الثقافة - عمان - المملكة الأردنية الهاشمية - ٢٠٠٢م.
٢٠٢. المقتضب - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) - تحقيق: محمد عبدالخالق عزيمة - وزارة الأوقاف المجلس الأعلى لشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث - جمهورية مصر العربية - ١٣٨٦هـ.
٢٠٣. المقتطف من عيون التفاسير - مصطفى المنصوري - تحقيق: محمد علي الصابوني - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - ط ١ - ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
٢٠٤. المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله عز وجل - الإمام المقرئ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (ت ٤٤٤هـ) - تحقيق: يوسف عبدالرحمن المرعشلي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٢ - ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٢٠٥. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل - أحمد بن الزبير الغرناطي - تحقيق: محمود كامل أحمد - دار النهضة العربية - بيروت - ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
٢٠٦. الملخص في إعراب القرآن - أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن المعروف بالخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) - تحقيق: يحيى مراد - دار الحديث - القاهرة - ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
٢٠٧. منار الهدى في بيان الوقف والابتدا - أحمد بن محمد بن عبدالكريم الأشموني - دار المصحف للعناية بطبعه ونشر علومه - دمشق - ط ٢ - ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
٢٠٨. مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبدالعظيم الزرقاني - دار الفكر - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٢٠٩. المنتخب في تفسير القرآن الكريم - لجنة القرآن والسنة - وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - جمهورية مصر العربية - مؤسسة الأهرام - القاهرة - ط ١٨ - ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
٢١٠. منجد المقرئين ومرشد الطالبين - شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
٢١١. من قضايا اللغة والنحو في كتاب النشر لابن الجزري - فؤاد أحمد السيد الحطاب - دار الطباعة المحمدية بالأزهر - القاهرة - ط ١ - ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
٢١٢. منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسير - رسالة ماجستير - إعداد: عبدالرحمن يوسف الجمل - إشراف: الدكتور فضل حسن عباس - الجامعة الأردنية - ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
٢١٣. موسوعة القرآن العظيم - عبدالمنعم الحفني - مكتبة مدبولي - القاهرة - ط ١ - ٢٠٠٤م.
٢١٤. النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغوية المتجددة - عباس حسن - دار المعارف بمصر - القاهرة - ط ٥ - (بدون سنة نشر).
٢١٥. النشر في القراءات العشر - أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري - (ت ٨٣٣هـ) - دار الفكر - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٢١٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) - خرج آياته وأحاديثه ووضع هوامشه عبدالرزاق غالب المهدي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٢١٧. النكت والعيون (تفسير الماوردي) - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت ٤٥٠هـ) - مراجعة وتعليق: السيد بن عبدالمقصود بن عبد الرحيم - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
٢١٨. النهاية في غريب الحديث والأثر - أبو السعادات بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير - تحقيق: طاهر أحمد المزوي، ومحمود محمد الطناحي - دار إحياء الكتب العربية - مصر - القاهرة - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٢١٩. نهاية القول المفيد في علم التجويد - محمد مكي نصر الجريسي - راجعه وقدم له: طه عبدالرؤف سعد - مكتبة الصفا - القاهرة - ط ١ - ١٤٢٠، ١٩٩٩م.
٢٢٠. النهر الماد من البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) - تقديم وضبط: بوران وهديان الضناوي - دار الفكر - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٢٢١. النواسخ الفعلية والحرفية «دراسة تحليلية مقارنة» - أحمد سليمان ياقوت - دار المعارف - الإسكندرية - (بدون رقم طبعة) - ١٩٨٤م.
٢٢٢. الهادي شرح النشر في القراءات العشر، والكشف عن علل القراءات وتوجيهها - محمد سالم محيسن - دار الجيل - بيروت - ط ١ - ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
٢٢٣. وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن - محيي الدين رمضان - دار الفرقان - عمان - الأردن - ط ١ - ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
٢٢٤. وحي القلم - مصطفى صادق الرافعي - راجعه: درويش الجويدي - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - طبعة جديدة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
٢٢٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان - تحقيق إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - لبنان - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٢٢٦. الباءات المشدّدات في القرآن وكلام العرب - مكي بن أبي طالب القيسي - تحقيق أحمد حسين فرحات - دار عمار للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - طبعة عمار الأولى - ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

خامساً: فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
شكر وتقدير	٥
الفصل الأول: تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سورتي هود	
ويوسف عليهما السلام	١٥
المبحث الأول: سورة هود <small>عليه السلام</small>	١٧
المطلب الأول: تعريف عام بسورة هود <small>عليه السلام</small>	١٧
المطلب الثاني: تفسير سورة هود <small>عليه السلام</small> بالقراءات القرآنية العشر	٢١
المبحث الثاني: سورة يوسف <small>عليه السلام</small>	٧٦
المطلب الأول: تعريف عام بسورة يوسف <small>عليه السلام</small>	٧٦
المطلب الثاني: تفسير سورة يوسف <small>عليه السلام</small> بالقراءات القرآنية العشر	٧٩
الفصل الثاني: تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سورتي	
الرعد وإبراهيم <small>عليهما السلام</small>	١٤٧
المبحث الأول: سورة الرعد	١٤٩
المطلب الأول: تعريف عام بسورة الرعد	١٤٩
المطلب الثاني: تفسير سورة الرعد بالقراءات القرآنية العشر	١٥٢
المبحث الثاني: سورة إبراهيم <small>عليه السلام</small>	١٧٠
المطلب الأول: تعريف عام بسورة إبراهيم <small>عليه السلام</small>	١٧٠
المطلب الثاني: تفسير سورة إبراهيم <small>عليه السلام</small> بالقراءات القرآنية العشر	١٧٣
الفصل الثالث: تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سورتي الحجر	
والنحل	١٩٣

١٩٥	المبحث الأول: سورة الحجر
١٩٥	المطلب الأول: تعريف عام بسورة الحجر
١٩٧	المطلب الثاني: تفسير سورة الحجر بالقراءات القرآنية العشر
٢١٩	المبحث الثاني: سورة النحل
٢١٩	المطلب الأول: تعريف عام بسورة النحل
٢٢١	المطلب الثاني: تفسير سورة النحل بالقراءات القرآنية العشر
٢٧٩	الفهارس
٢٨١	فهرس المصادر والمراجع
٣٠١	فهرس الموضوعات



